T
1038

مدينة القدس في العهد المملوكي

رشاد محيي الدين الامام

رسالة مقدمة الى دائرة التاريخ في الجامعة الاميركية ببيروت
لاتمام المطلوب للحصول على درجة استاذ في الآداب .

بيروت ، لبنان

تموز سنة ١٩٦٦

مدينة القدس في العهد المملوكي

رشاد محيي الدين الامام

انني اتقدم بالشكر والتقدير الجزيلين لاستاذي الفاضل الدكتور نقولا زيادة الذي تفضل واشرف على كتابة هذه الرسالة . وكان لي من توجيهاته وملاحظاته السديدة اكبر عون في اتمام هذا العمل .

كما انني اشكر لاستاذي الدكتور نبيه امين فارس ما احاطني به من عناية ورعاية .

وفي الختام فانني اشكر جميع الذين ساعدوني وخصوصا زوجتي هيفاء الامام ، لمساعدتها اياي في رسم الخريطة .

المقدمة

ان مدينة القدس تهم المسلمين بقدر ما تهم اليهود والنصارى . فهي عاصمة النبي سليمان ، والمدينة التي صلب فيها المسيح عليه السلام . اما في العهد الاسلامي فقد كانت في بداية العهد النبوي قبلة المسلمين ، ومنها أسري بالنبي (صلعم) الى السماء . ومدحها الله تعالى في تنزيله بقوله (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) .(١)

وبعد وفاة النبي (صلعم) وتنظيم حركة الفتح على أيدي خلفائه كانت القدس من المدن التي قصدها العرب المسلمون بجيوشهم ولكنها استعصت عليهم بالرغم من طول الحصار حتى رضي اهلها بتسليم مدينتهم الى الخليفة عمر بن الخطاب نفسه . ونظرا لاهمية القدس سعى الفاروق بنفسه سنة ١٥/ ٦٣٦ لاستلام المدينة واعطى اهلها عهدا يتضمن امانا يحفظ عليهم ارواحهم واموالهم ، ويضمن لهم ممارسة طقوسهم الدينية مقابل دفعهم للجزية . وبقي المسلمون سادة هذه المدينة المقدسة الى سنة ٤٩٣/ ١٠٩٩ عندما دخلتها جيوش الصليبيين مسترجعة قبر السيد المسيح من ايدي المسلمين . واستمرت تلك المدينة تحت ايدي السادة الجدد مدة تقارب القرن ، الى ان استرجعها صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٣/ ١١٨٧ . ودام حكم الايوبيين لمدينة القدس الى ان سيطر المماليك عليها ، من جملة ما سيطروا عليه ، من بلاد مصر وسوريا . وذلك من سنة ٦٤٨/ ١٢٥٠ الى سنة ٩٢٣/ ١٥١٧ عندما تغلب عليهم الاتراك العثمانيون .

---

١. قرآن كريم ، سورة ١٧ ، آية ١ .

في هذه الدراسة التي موضوعها مدينة القدس في العهد المملوكي ، سنبحث تاريخ تلك المدينة من نواح مختلفة. سنذكر اولا اهم المصادر والمراجع التي رجعنا لها في كتابة هذه الدراسة ونقيمها . ونذكر في الفصل الثاني الوقائع التاريخية التي حصلت بالقدس من فتح صلاح الدين الايوبي لها سنة ٥٨٣/ ١١٨٧ الى سنة ٦٥١/ ١٢٥٣ وهي السنة التي بدأ فيها حكم المماليك لمدينة القدس . اما الفصل الثالث فسنفرده لذكر تاريخ تلك المدينة في العهد المملوكي ٦٥١-٩٢٢/ ١٢٥٣-١٥١٦. ومن خلال هذا الفصل يظهر لنا اهتمام سلاطين المماليك ، والملوك النصارى بتلك المدينة المقدسة . ثم نفرد فصلا ، وهو الفصل الرابع للادارة . اما الفصل الخامس فنبحث فيه مختلف فئات السكان والطوائف الدينية القاطنة في تلك المدينة في ذلك العهد من جهة ، وعلاقات هؤلاء ببعضهم البعض من جهة اخرى . وهذا يقودنا للحديث عن حياة القدس الاقتصادية وذكر مواردها وهو الفصل السادس . اما الفصل السابع فسنذكر فيه النشاط العمراني بمدينة القدس في العهد المملوكي الذي تركز اكثر ما يكون على المباني الدينية وذلك انعكاسا لطبيعة المدينة . اما الفصل الثامن والاخير فسنذكر فيه ما لمدينة القدس من اهمية علمية ، الشيء الذي اكد استمرار الصبغة الدينية والعلمية لمدينة القدس في ذلك العصر .

فهرس المحتويات

		صفحة
٠١	الفصل الاول : المصادر والمراجع	١ ـ ٢١
	أ ـ كتب التاريخ العامة	٣ ـ ١٢
	ب ـ كتب الجغرافية	١٢ ـ ١٤
	جـ ـ كتب التراجم	١٤ ـ ١٥
	د ـ كتب الرحلات	١٥ ـ ١٩
	هـ ـ المراجع الثانوية	٢٠ ـ ٢١
٠٢	الفصل الثاني : لمحة موجزة عن تاريخ مدينة القدس قبيل العهد المملوكي ٠	٢٢ ـ ٢٨
٠٣	الفصل الثالث : لمحة عن احداث القدس في العهد المملوكي	٢٩ ـ ٥٣
	أ ـ التعريف بمدينة القدس ، تسميتها وموقعها	٢٩ ـ ٣٠
	ب ـ اهتمام السلاطين المماليك بمدينة القدس	٣٠ ـ ٤١
	جـ ـ اهتمام الدول المسيحية بمدينة القدس في العهد المملوكي	٤١ ـ ٤٧
	د ـ قناصل الممالك المسيحية بالقدس في العهد المملوكي	٤٧ ـ ٤٨
	هـ ـ الاحداث الخارجية والغارات	٤٨ ـ ٥٣
٠٤	الفصل الرابع : الادارة والوظائف في مدينة القدس	٥٤ ـ ٦٤
	أ ـ ارباب السيوف	٥٥ ـ ٦٠
	(١) نائب السلطنة	٥٥ ـ ٥٨
	(٢) والي القلعة	٥٨ ـ ٥٩
	(٣) والي مدينة القدس	٥٩ ـ ٦٠
	(٤) الحاجب	٦٠

صفحة

ب – ارباب الاقلام : المحتسب ٦٠ – ٦١

جـ – الوظائف الدينية ٦١ – ٦٤

(١) القضاة ٦١ – ٦٢

(٢) ناظر الحرمين ٦٢ – ٦٣

(٣) خطيب القدس ٦٣

(٤) مشيخة المدرسة الصلاحية ٦٣

(٥) مشيخة الخانقاه الصلاحية ٦٣

(٦) مشيخة الزاوية الامينية ٦٤

(٧) ائمة المساجد ٦٤

(٨) المؤذنون ٦٤

٥٠ الفصل الخامس : سكان مدينة القدس والحياة الدينية فيها ٦٥ – ٨٥

أ – القطاع الاسلامي ٦٥

(١) العرب ٦٥ – ٦٦

(٢) الاكراد ٦٦

(٣) المغاربة ٦٦ – ٦٧

(٤) الهنود ٦٧

(٥) المنفيون ٦٧ – ٧٢

ب – القطاع المسيحي بالقدس ٧٢ – ٧٧

(١) البطرك ٧٢ – ٧٣

(٢) المسيحيون ومذاهبهم الدينية ٧٤

أ – الاحباش والهنود ٧٤

ب – الارمن ٧٤

ج – النوبيون ٧٥

صفحة

د ـ السريان ٧٥
هـ ـ الاقباط ٧٥
و ـ اليونان ٧٥
ز ـ الافرنج ٧٦
ح ـ الكرج ٧٦ ـ ٧٧
(٣) الحجاج النصارى وزياراتهم لمدينة القدس ٧٧ ـ ٨٠
جـ ـ السكان اليهود ٨٠
د ـ العلاقات بين هذه الفئات الثلاث في مدينة القدس في العهد المملوكي ٨٠ ـ ٨٥
٠٦ الفصل السادس : موارد مدينة القدس ٨٦ ـ ١٠٦
أ ـ الوقف ٨٦ ـ ٩٠
ب ـ انتاج مدينة القدس الزراعي والصناعي ٩٠ ـ ٩٤
جـ ـ التجارة والاسواق ٩٤ ـ ٩٩
د ـ الحجاج النصارى مورد رزق لمدينة القدس ٩٩ ـ ١٠١
هـ ـ العملة والمقاييس والاوزان التي كانت مستعملة في مدينة القدس ١٠١ ـ ١٠٣
و ـ مراكز الحمام ١٠٣ ـ ١٠٤
ز ـ الاحداث الطبيعية ١٠٤ ـ ١٠٦
٠٧ الفصل السابع : العمران ١٠٧ ـ ١٣٠
أ ـ مظهر المدينة العمراني اجمالا ١٠٧
ب ـ سورها وابوابها ١٠٨ ـ ١١٠
جـ ـ طرقات المدينة واسواقها ومساكنها ١١٠ ـ ١١٢
د ـ اهم المزارات في مدينة القدس ١١٣ ـ ١٢٨

صفحة

(١) اهم المزارات الاسلامية : الحرم الشريف ١١٣ ـ ١٢١

(٢) اهم المزارات المسيحية : كنيسة القيامة ١٢٢ ـ ١٢٨

هـ ـ القنوات والحمامات والبرك ١٢٨ ـ ١٣٠

٠٨ الفصل الثامن : الحياة العلمية في القدس ١٣١ ـ ١٧٨

أ ـ المدرسون ، المواد الدراسية ، المدارس ١٣١ ـ ١٤٨

ب ـ المسجد الاقصى وزوايا القدس كأماكن تعليم ١٤٨ ـ ١٥٦

جـ ـ علماء عرفتهم القدس في العهد المملوكي ١٥٧ ـ ١٧٣

د ـ موقف علماء تلك المدينة من بعض المسائل الدينية ، ومن السلطة المملوكية في ذلك العهد . ١٧٣ ـ ١٧٨

٠٩ الفصل التاسع : الخاتمة ١٧٩ ـ ١٨٠

١٠٠ ثبت بالمصادر والمراجع ١٨٠ ـ ١٩١

فهرس الخرائط

طريق الحمام الحامل للبطائق من القاهرة الى القدس ما بين صفحة ١٠٣ ـ ١٠٤

الفصـــــــل الاول

المصـــــادر والمراجـــــع

تتناول هذه الدراسة مدينة القدس في العهد المملوكي ، وبالرغم عما يمتاز به هذا العهد عن العهود الاسلامية الاخرى في وفرة التآليف التاريخية التي وضعت فيه ، فاننا لا نجد مؤرخـــا واحـدا ، باستثناء مجير الدين الحنبلي ، تناول الكتابة عن القدس بشكل جدّي حتى الآن .

أ . الكتـــب العـــربية .

١ . المراجـع الاولية العـربية . يركّز المؤرخون في العصر المملوكي اهتمامهـــم بالدرجـة الاولى على مدينتي القاهرة ودمشق ، ثم على المدن التي كانت مهمة من الناحيتـــين الادارية والسياسية ، ولكنها ليست بمستوى القاهرة ودمشق ، مثل حلب ، وحماة ، وغزة والكـرك . اما مدينة القدس فلم تجد ذلك الاهتمام الكافي من قبل المؤرخين العرب ، وكأنهم يريدون اشعارنا بان الاهتمام بها قد انتهى بانتهاء سيطرة الصليبيين عليها ورجوعها لحوزة الاسلام سنة ١١٨٧/٥٨٣ . ولكن المعلومات الواردة في كتبهم ، بالرغم من ندرتها ، كافية لتمكننا من كتابة هذه الدراسة .

٢ . الكتـب الثانويـة العـربية . اما الكتب الثانوية العربية ، التي حاول اصحابهـــا التأريخ لمدينة القدس ، فاكثرها تبدأ بالخليقة او التاريخ القديم ، وتنتهي بالعصور الحديثة . اما الفصل الذي يخصص للعهد المملوكي ، فهو اقل الفصول بحثا واجدبها فائدة . واذا اخـذنـا كتاب خليل سركيس (ت ١٣٣٣/١٩١٥) كتاب اورشليم اي القدس الشريف : يتضمـن كـل ما جرى فيها منذ عرفت الى الوقت الحاضر ، نجد ان كل ما يذكره عن القدس في عهد المماليـــك هو ما يلي : " الفصل التاسع عشر ـ حالة اورشليم بعد انقراض الدولة الايوبية واستيلاء الجراكسة والتتر عليها الى الفتح العثماني ـ وبعد ذلك انقرضت الدولة الايوبية واصبحت القدس مع غيرهـا بيد الدولة الجركسية احدى فروع الدولة التركية وكانت قد انحطت [القدس] عن قوّتها وضعفـت فلم يعد يحدث فيها شيء يستحق الذكر ... وسنة ١٤٠٠م قدم تيمورلنك المغولي واستولى علـــى سوريـا جميعها فكانت اورشـــليم تابعـة لحكمه مدة الى ان رجعت المماليك واسترجعـــــت

البلاد وبقيت اورشليم مع سورية وغيرها خاضعة لدولة المماليك الى سنة ١٥١٧م ." (١)

اما الفصل الذي كتبه عارف العارف، عن تاريخ القدس في عهد المماليك، في كتابه المفصّل في تاريخ القدس، فانه اكتفى باستقاء المعلومات التي تتعلق بتاريخ القدس في العهد المملوكي من كتاب صبح الاعشى في صناعة الانشاء للقلقشندي (ت ١٤١٨/٨٢١)، وكتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي (ت ١٤٥٠/٨٥٤)، وكتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، لمجير الدين الحنبلي (ت ١٥٢٠/٩٢٧).

ب. الكتب غير العربية.

١. المصادر الأولية. اما المصادر الاولية المتعلقة بمدينة القدس في العهد المملوكي، فهي على غرار المصادر العربية الاولية، تتركّز اهتمامها على التأريخ لمدينة القدس في العهد الصليبي (٤٩٣ـ ١٠٩٩/٥٨٣ ـ ١١٨٧). اما فيما يتعلق بالقدس في العهد المملوكي، فالمعلومات فيها عرضية. واهم تلك الكتب، ما وضعه الحجاج النصارى عند زيارتهم لها. ولقد اهتم المحققون والباحثون بهذا النوع من الكتب حتى يكاد يصحّ القول بانها جميعا قد حققت بشكل علمي يركن اليه. فهي مزوّدة بفهارس مفصّلة للاماكن والاشخاص، بالاضافة الى الخرائط والمراجع المساعدة في التحقيق.

٢. الكتب الثانوية غير العربية. اما هذا النوع من الكتب فهي تركّز جلّ اهتمامها على القدس ابان الاحتلال الصليبي. اما اذا تصدّت للكتابة عن القدس في العهد المملوكي، فتجدها كثيرا ما تهتم بذكر اسماء الحجاج النصارى الذين زاروا هذه المدينة، والكتب التي ألّفوها عنها في ذلك العهد. ثم تذكر ما قام به بعض سلاطين المماليك من بناء او اصلاح لبعض المزارات الدينية والاماكن العلمية فيها. ولعلّ هذا راجع الى اعتقادهم بعدم اهمية القدس في عهد المماليك. والى مثل هذا اشار مارغوليوث في ذكره لمدينة القدس في العهد المملوكي، على انها كانت مدينة ثانوية، واهميتها انحصرت في كونها مدينة منفى او اعتزال.(٢)

---

١. سركيس، خليل، كتاب تاريخ اورشليم اي القدس الشريف: يتضمن كل ما جرى فيها منذ عرفت الى الوقت الحاضر، بيروت، مطبعة المعارف، ١٨٧٤م، ص ١٨٩.

٢. Margoliouth, David Samuel, Cairo Jerusalem, and Damascus, Three Chief Cities of the Egyptian Sultans, New York, Dodd, Mead and Company, 1907, p. 342.

اودّ ان اشير ، قبل ان ابدأ في تقييم المصادر ان ما جمعته من معلومات لم تكن موازية ولا مقاربة لما بذلته من جهد متواصل للحصول عليها وتجميعها . وهذا سببه المرتبة الثانوية لمدينة القدس ، بالنسبة لغيرها من نيابات الشام ومدنها في العهد المملوكي .

لقد ارتأيت تقييم المراجع على التقسيم الآتي : قسمت المصادر الاولية حسب مواضيعها ، مع الاقتصار على ذكر الاهم من هذه المصادر . وسيكون التقييم لها قائما على التقسيم الآتي :

أ . كتب التاريخ العامة .
ب . كتب الجغرافية .
ج . كتب التراجم .
د . كتب الرحلات .

ثم تقيّم اهم المراجع الثانوية ، التي كتبت عن القدس في العهد المملوكي . وسيكون ذلك تحت حرف (هـ) .

أ . كتب التاريخ العامة

اكثر هذا النوع من الكتب يتجه فيها مؤلفوها التاريخ الحولي . وهم يوجّهون جلّ اهتمامهم الى ذكر الحوادث السياسية والعسكرية وقلّ ما يذكرون شيئا عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية . ومن هؤلاء المؤرخين :

١- ابن عبد الظاهر ، محي الدين ، ابو الفضل ، عبد الله ، السعدي (ت ٦٩٢/١٢٩٢) . شغل هذا المؤلف منصب " صاحب ديوان الانشاء " وذلك لثلاثة سلاطين ، هم الظاهر بيبرس وقلاوون والاشرف خليل . وقد هيأ هذا المنصب لابن عبد الظاهر اتصالا مباشرا بشؤون الدولة واسرارها ، وان كثيرا من الحوادث والوثائق والاخبار التي يذكرها في كتابيه ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، وتشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ، كان فيها المؤلف شاهد عيان . وفي كتابه : تشريف الايام ، يأتي المؤلف ببعض المعلومات عن القدس لم يذكرها احد قبله .

فهو يذكر مثلا نص الهدنة التي وقعت بين السلطان المنصور قلاوون والصليبيين في عكا سنة ١٢٨٣/٦٨٢ (١) وقد استفدنا من نص هذه الهدنة في موضوعنا . وكان ابن عبد الظاهر ، نتيجة لتقربه من سلاطين المماليك يبالغ في تمجيدهم والثناء عليهم .

٢ — اليونيني ، قطب الدين ، ابو الفتح ، موسى بن محمد بن احمد (ت ١٣٢٦/٧٢٦) صاحب كتاب ذيل مرآة الزمان ، الذي يبتدئ كتابه بسنة ١٢٥٦/٦٥٤ وينتهي بسنة ١٣١١/٧١١ . والكتاب هو تلخيص لمرآة الزمان لسبط بن الجوزي ، وتكملة له . يؤرخ اليونيني حسب التقليد الحولي ، وكتابه مملوء بالسير وبعض الحوادث التاريخية . والسير التي يذكرها اليونيني اصلية وهامة ، وقد اخذ عن اليونيني مؤرخون كثيرون بعده . اما فيما يتعلق بالقدس فاليونيني لا يهتم بها كثيرا . الا اننا اخذنا عنه بعض التراجم والحوادث التاريخية ، خاصة فيما يتعلق بالقدس في العهد الايوبي .

٣ — ابو الفداء ، الملك المؤيد ، عماد الدين اسماعيل بن السلطان الافضل نور الدين ابن الحسن ، صاحب حماة (ت ١٣٣١/٧٣٢) . عين ابو الفداء اميرا على حماة سنة ١٣١٠/٧١٠ وذلك من قبل السلطان الناصر محمد . وكتابه المختصر في اخبار البشر ، يبدأ بالخليقة وينتهي سنة ١٣٢٨/٧٢٩ . وهو في اغلبه تلخيص لابن الاثير وابن واصل وابن عبد الظاهر ، باستثناء القسم الاخير منه الذي يحتوي على اخبار عهده التي شاهدها معاينة . ولقد افدنا منه في تتبع الاحداث السياسية والادارية في القدس في العهد المملوكي .

وقد وضع زين الدين عمر ، ابن الوردي (ت ١٣٤٨/٧٤٩) ، تتمة لكتاب ابي الفداء ، سماه تتمة المختصر في اخبار البشر ، ينتهي به الى سنة ١٣٤٨/٧٤٩ . وافادنا هذا الكتاب خصوصا فيما يتعلق بالناحية العلمية في القدس وبالبناء فيها خلال العهد المملوكي .

٤ — ابن الدواداري ، ابو بكر بن عبد الله بن ايبك (ت ١٣٣٤/٧٣٤) معين رئيس "ديوان الانشاء" ، ولقب بالدوادار الكبير عوذلك في عهد السلطانين : قلاوون وابنه الناصر محمد .

---

١ . ابن عبد الظاهر ، محي الدين ابو الفضل عبد الله ، تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦١ ، ص ٣٤ — ٤٠ .

وكتابه كنز الدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، يؤرخ فيه كما هو واضح من عنوانه ، لعهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ويتبع فيه التقليد الحولي . ولم يذكر هذا الكاتب عن القدس الا اليسير ، مما يدل على المرتبة الثانوية التي كانت تحتلها تلك المدينة في ذلك الوقت . فهو يذكر مثلا اسماء بعض القضاة فيها واسماء بعض الاشخاص الذين نفوا الى القدس . وبالرغم من ان هذا المؤلف يذكر في كتابه الكثير عن الادارة في الشام في عهد المماليك ، فهو لم يتطرق قط الى القدس في الناحية هذه .

٥ ـ ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين ، ابو العباس احمد بن يحي ، (ت ١٣٤٧/٧٤٨) وكتابه مسالك الابصار في ممالك الامصار ، مخطوط مصور منه نسخة في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت . وهو كتاب تاريخي عام تغلب عليه الصبغة الجغرافية . فالمؤلف يبحث فيه اقاليم الارض واقسامها والمدن وسكانها وانظمة الحكم فيها . ويذكر ايضا عددا كبيرا من العلماء والصالحين ، سواء من المشرق الاسلامي او مغربه . ويتطرق فيه لذكر مدينة القدس ضمن فصل عنوانه " باب عن مملكة مصر والشام والحجاز " . وقد حدد لنا هذا الكتاب ابتداء اهتمام المماليك بمدينة القدس وحدد ذلك بسنة ١٣١٠/٧١٠ م.[1] وذكر اهمية القدس بالنسبة للمسلمين والنصارى واليهود . وكذلك افادنا بمعلومات هامة عن جغرافية القدس وعن مدارسها واربطتها وحماماتها في عصره .

٦ ـ ابن هلال المقدسي ، ابو محمد ، احمد بن محمد بن ابراهيم (ت ١٣٦٤/٧٦٥) . ولد هذا المؤرخ ببيت المقدس سنة ١٣١٤/٧١٤ ، وتوفي فيها . وكتابه : مثير الغرام بفضائل القدس والشام من المصادر الهامة لدراسة تاريخ بيت المقدس في العصور الوسطى ، فقد اعتمد عليه مجير الدين العليمي الحنبلي في كتابه الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، وخاصة في موضوع " فضل بيت المقدس ومزاراته " . ولم تكن المعلومات التي ذكرها المؤلف ذات اهمية كبيرة لموضوعنا ، ولكننا استفدنا منها للمقارنة بين مزارات القدس في العهد الايوبي ومزاراتها في العهد المملوكي .

---

١ . ابن فضل الله العمري ، ابو العباس احمد بن يحي ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، ايا صوفيا ، مخطوطة مصورة في الجامعة الاميركية في بيروت ، في المكتبة ج ٢ـ٦ ، ج ٣ ص ١٨١ ه وسنشير الى هذا الكتاب من الآن فصاعدا بمسالك الابصار .

٧ — ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل القرشي (ت ٧٧٤/ ١٣٧١—١٣٧٢) صاحب كتاب البداية والنهاية في التاريخ ، ولقد عوّلنا على الجزأين الاخيرين منه فقط ، اللذين يؤرخ فيهما للقرنين السابع والثامن هجريين / الثالث عشر والرابع عشر ميلاديين . يتبع المؤرخ في كتابه هذا التقليد الحولي . وفي اول كل سنة هجرية يذكر الحوادث السياسية ، ثم يعرض لتراجم الاشخاص الذين توفوا في تلك السنة . اما بالنسبة للقدس ، فانه افادنا خاصة ، في ذكر تراجم علماء القدس وقضاتها ، وفي ذكر بعض مظاهر العمران فيها ، كبناء الخانات والمدارس والاربطة ، بالاضافة الى ذكره بعض المعلومات التي تتعلق بالادارة .(١)

٨ — ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم الطالب الحنفي (ت ٨٠٧/ ١٤٠٥) ، مؤلف كتاب تاريخ الدول والملوك ، لم ينشر من هذا الكتاب ، حتى الآن ، سوى ثلاثة مجلدات ، تضم حوادث القرن السابع هجرى / الثالث عشر ميلادى ، وحوادث اواخر القرن الثامن هجري / الرابع عشر ميلادي . وهذه المجلدات الثلاثة التي هي الجزء الثامن ، والجزء التاسع بقسميه ، غنية بالمعلومات عن العهد المملوكي . والمؤلف يورد اخباره مسلسلة شهرا فشهرا وسنة فسنة . وفيما يتعلق بالقدس ، فقد افدنا من تراجمه لبعض الرجال ومن ذكره لبعض النشاط العمراني فيها . وافادنا ايضا ببعض الاخبار عن العلاقات بين المسلمين والنصارى في القدس ، وخصوصا سنة ٧٩٥/ ١٣٩٢ .(٢)

---

١. ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر ، البداية والنهاية في التاريخ ، ١٤ ج ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٤٨—١٣٥٨ هـ ، ولقد ذكرت هذه المعلومات في عدّة اماكن ، وعلى سبيل المثال نذكر منها الصفحات التالية : لاخبار بعض رجال القدس وسيرهم ج ١٤ ، ص ١٠٩ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ؛ للمدارس ، ج ١٤ ص ١٢٢ ، ١٢٣ ، ٢٦٧ ؛ للادارة ، ج ١٤ ، ص ١٦٤ ، ١٧٩ . وسنشير الى هذا المصدر من الآن فصاعدا بـ البداية والنهاية .

٢. ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ، تاريخ الدول والملوك ، نشر باسم تاريخ ابن الفرات ، ج ٧ ، ٨ ، ٩ ، حققه قسطنطين زريق ، وشاركت نجلا ابو عز الدين في تحقيق الجزء الثامن والقسم الثاني من الجزء التاسع ، بيروت ، المطبعة الاميركية ، ١٩٣٦ — ١٩٤٢ م ، ج ٩ ، قسم ٢ ، ص ٣٥٠—٣٥١ ، وسنشير الى هذا المصدر من الآن فصاعدا بـ تاريخ .

٩ — ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨/١٤٠٦) وكتابه: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، يبتدئ فيه المؤلف بالخليقة وينتهي في السنوات الاولى من القرن التاسع الهجري ، الموافق لاوائل القرن الخامس عشر الميلادي . وابن خلدون يقسم تاريخه الى مواضيع ودول ، ولا يتبع فيه الترتيب الحولي . وهو مفيد لنا لانه عاصر بعض الاحداث التي ذكرها في مؤلفه هذا . اما بالنسبة لتاريخ مدينة القدس في العصر المملوكي ، فقد افادنا ببعض المعلومات التاريخية ، وخصوصا عن القدس في اول عهد المماليك .(١)

١٠ — القلقشندي ، ابو العباس احمد (ت ٨٢١/١٤١٨) ، شغل هذا المؤرخ رئاسة " ديوان الانشاء " وأرخ لهذا الديوان ، وذكر كل ما يتعلق به من وظائف واحكام . وتسميته لكتابه بـ صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، يدلّ على موضوع هذه الموسوعة . وفي معرض حديثه عمّا يجب على الكاتب ان يعرفه ، ذكر المؤلف الكثير من المعلومات المتعلقة بالتاريخ ، والجغرافية ، والادارة . اما بالنسبة لمدينة القدس فانه ذكر لنا بعض المعلومات التي تلقي ضوءا على النواحي الادارية في القدس ، كذكره لوظيفة النائب ووالي القلعة وقاضي القضاة والمحتسب.(٢) وكذلك زوّدنا بمعلومات عن العملة والموازين والعمران في القدس.(٣) ومما ذكره عن القدس ايضا ، انها كانت محطة لحمام المراسلة.(٤)

---

١. ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، ٧ ج ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٦ — ١٩٥٩ ، مج ٥ ص ٨٠٨ — ٨١٢ ، ٨٣٠ . وسنشير الى هذا الكتاب من الآن فصاعدا بـ العبر .

٢. القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ١٤ ج ، القاهرة ، المطبعة الاميرية ، دار الكتب السلطانية ، ١٩١٣ — ١٩١٨ ، ج ٤ ، ص ١٧٩ ، ١٩٤ ، ج ٥ ، ص ٤٧٢ — ٤٧٣ ، ج ١٢ ، ص ٧ .

٣. المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ١٩٩ ، ٣٧٦ .

٤. المصدر ذاته ، ج ١٤ ، ص ٣٩٢ — ٣٩٣ .

وللقلقشندي كتاب آخر اسمه : نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، هذا الكتاب هام بالنسبة لمعرفة اسماء القبائل العربية ، وما تفرّع عنها ، ومواطنها ، وذلك حتى عهد المؤلف . والكتاب مرتب حسب الحروف الهجائية لاسماء القبائل . وافدنا منه في بحثنا ما ذكره عن بعض القبائل التي استقرت في القدس.(١)

١١ ـ المقريزي ، ابو العباس تقي الدين ، احمد بن علي الشافعي (ت ٨٥٤/١٤٥٠) . هذا المؤرخ يمثل وجها جديدا لكتابة التاريخ في العصر المملوكي ، لانه اهتم بذكر الحوادث الاجتماعية والاقتصادية ، بقدر اهتمامه بذكر الاخبار السياسية . وقد رجعنا لكتبه الآتية : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الذي يبحث فيه جغرافية مصر بكل مظاهرها من مدن وانهار وخلجان وآثار ؛ وكتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، الذي يهتم فيه بذكر الحوادث السياسية ، خاصة فيما يتعلق بالعصر المملوكي . ومع انه كان يركّز على الامور السياسية فانه كان يلتفت ، في بعض الاحيان ، الى الامور العمرانية ، مثل ذكره للاصلاحات التي ادخلها السلطان الظاهر بيبرس على قبة الصخرة في القدس.(٢) وتفقد هذا السلطان لاحوال القدس بنفسه . وافادنا هذا الكتاب ايضا بذكره للامراض والاوبئة التي كانت تصيب اهالي القدس، وبالاخص وباء سنة ٧٤٩/١٣٤٨.(٣) بالاضافة الى ذكره الجراد الذي كان يغزو مدينة القدس،

---

١. القلقشندي ، ابو العباس احمد ، نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، تحقيق ابراهيم الابياري ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٥٩م ، ص١٢٣ـ١٢٤ ، ١٥١ـ١٥٣ ، ٣٩٥.

٢. المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ٢ج في ٦ مجلدات ، حققة محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٤ـ١٩٤٢م ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٤٥ . وسنشير الى هذا الكتاب فيما بعد بـ السلوك .

٣. المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، قسم ٣ ، ص ٧٧٤ .

كما انه ذكر لنا اسماء عدد من الرجال الذين نفوا الى القدس[١] . الا انه يمكننا القول ، على وجه الاجمال ، ان المقريزي لم يهتم بالقدس بشكل رئيسي ، وانما كان تناوله لها عرضا واخباره عنها جانبية .

واما كتابه: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، فقد افادنا في موضوع الادارة بالقدس ، خاصة في عهد الملك الناصر داوود .[٢]

١٢ ـ ابن تغري بردي ، ابو المحاسن ، جمال الدين يوسف (ت ١٤٦٩/٨٧٤) . تيسر لهذا المؤرخ ان يطلع اكثر من غيره على الناحية الادارية والسياسية للحكم المملوكي ، وكان سبب ذلك ان اباه كان اتابكا للعساكر بمصر ، ثم كافلا للمملكة الشامية . وفي كتابه: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، يؤرخ لحكام مصر وسلاطينها ، من سنة ٦٤٠/٢٠ ، الى سنة ١٤٦٧/٨٧٢ . اما بالنسبة للقدس ، فقد افادنا هذا الكتاب عند تناولنا موضوع الادارة والمنشآت التي اقامها السلاطين المماليك فيها .[٣] كما انه زودنا بمعلومات عن العلاقات بين المسلمين والنصارى في القدس .[٤]

١٣ ـ السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي بكر بن عثمان (ت ١٤٩٦/٩٠٢) وكتابه: كتاب التبر المسبوك في ذيل الملوك ، يبدأ من سنة ١٤٤١/٨٤٥ ، يتبع فيه التقليد الحولي . ويمتاز هذا الكتاب بانه الكتاب الوحيد الذي يؤرخ لمدينة القدس من وجهة كونها مدينة شريفة فيذكرها ، بالنسبة للادارة مثلا ، بعد ان يذكر مكة والمدينة مباشرة .[٥]

---

١. على سبيل المثال انظر المقريزي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، قسم ٣ ، ص ٦٢٢ .

٢. المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٥٥م ، ص ٨١ـ٨٢ .

٣. ابن تغري بردي ، جمال الدين ابي المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ ج ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٩ـ١٩٥٦م ، ج ١ ، ص ٥٥ ، ج ٧ ، ص ١٢١ ، ١٩٤ . وسنشير الى هذا الكتاب فيما بعد بـ النجوم الزاهرة .

٤. المصدر ذاته ، ج ٧ ، ص ٤٥ ـ ٤٦ .

٥. السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي بكر بن عثمان ، كتاب التبر المسبوك في ذيل الملوك ، نشره احمد زكي ، القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٨٩٦م ، ص ٦ . وسنشير الى هذا الكتاب فيما بعد بالتبر المسبوك .

وهو يقدم القدس حتى على مدينة دمشق ، غير انه لا يفعل ذلك الا عندما يذكر اسماء النواب.

١٤ - ابن اياس ، ابو البركات ، محمد بن احمد (ت ٩٣٠/١٥٢٣) ، صاحب بدائع الزهور في وقائع الدهور . يمتاز ابن اياس بانه اهتم بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية ، زيادة على ذكر الحوادث السياسية . وهو يشبه المقريزي من الناحية هذه . اما في ما يتعلق بمدينة القدس في العهد المملوكي ، فقد انفرد ابن اياس بذكر معلومات مفصلة عن هذه المدينة في آخر عصر المماليك واول الاحتلال العثماني . وقد اكد لنا ان القدس ، كانت لا تزال حتى آخر عهد المماليك ، عبارة عن منفى .[١] وكذلك ذكر لنا معلومات تتعلق بالادارة ،[٢] وبالعلاقات بين المسلمين والنصارى .[٣] وانفرد بذكر الزيارة التي قام بها السلطان العثماني ، عندما كان في طريقه الى غزة لاحتلال مصر سنة ٩٢٣/١٥١٧ .[٤]

١٥ - ابن طولون ، شمس الدين محمد بن علي بن محمد الصالحي الحنفي (ت ٩٥٣/١٥٤٦) . ولد المؤلف في دمشق وتوفى بها وعاصر دولة المماليك في مصر والشام . له كتابان ، الكتاب الاول هو مفاكهة الخلان في حوادث الزمان: تاريخ مصر والشام ، وهو يحتوي على اخبار الفترة من سنة ٨٨٤/١٤٧٩ الى سنة ٩٢٦/١٥١٩ . ويعتبر هذا الكتاب مرجعا مهما لتاريخ الفترة الاخيرة من عصر المماليك في مصر والشام ، وكذلك فيما يتعلق باوائل العهد العثماني فيهما . اما بالنسبة لموضوعنا ، فانه جاء بمعلومات يذكر فيها بعض طوائف النصارى الذين زاروا القدس ،[٥]

---

١. ابن اياس ، محمد بن احمد ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ٣-٥ ، حققه محمد مصطفى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٠-١٩٦٣م ، وقد ذكرت هذه المعلومات في عدد كبير من الاماكن ، وعلى سبيل المثال انظر ، ج ٤ ، ص٥٨ ، ٨٨ ، ٩٤ ، وسنشير الى هذا الكتاب فيما بعد بـ بدائع الزهور .

٢. المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ١٠ .

٣. المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ١٠ ؛ ج ٥ ، ص ١٢ .

٤. المصدر ذاته ، ج ٥ ، ص ١١٩ ، ١٣٢ ، ١٣٦ .

٥. ابن طولون ، شمس الدين ، محمد بن علي بن محمد ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان : تاريخ مصر والشام ، حققه محمد مصطفى ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٣٨١/١٩٦٢ ، ص ٤٩ ، وسنشير الى هذا المصدر فيما بعد بـ مفاكهة الخلان .

واكد لنا من جديد ان مدينة القدس لا زالت كما كانت سابقا ، عبارة عن منفى.[١] وكذلك افادنا بمعلومات تتعلق بادارة القدس،[٢] وتراجم بعض الرجال فيها.[٣]

اما كتابه الثاني القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، فقد افادنا فيما يتعلق بهجرة المقادسة من القدس الى جبل الصالحية ، وتعميرهم لهذا الجبل في النصف الثاني من القرن السادس الهجري / القرن الثاني عشر الميلادي.[٤]

١٦ - الحنبلي ، ابو اليمن مجير الدين (ت ٩٢٧/١٥٣٠) وكتابه : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، يؤرخ فيه الحنبلي لمدينة القدس من الخليقة حتى سنة ٨٧٦/١٤٧١ ، وهو يقسّم كتابه الى مواضيع مستقلة كالمدارس والمساجد والاسواق . وضمن كل موضوع يتبع المؤلف التقليد الحولي عند ذكره الحوادث السياسية . وقد اعتمدنا كثيرا على الكتاب في دراستنا هذه ، لانه الكتاب الوحيد الجامع للحوادث السياسية والاجتماعية والعلمية والعمرانية في مدينة القدس . فهو يذكر المساجد[٥] والمدارس[٦] والزوايا[٧] والاسواق والحارات والكنائس.[٨]

---

١. المصدر ذاته ، ص ١٨٨ ، ٢٤١ .

٢. المصدر ذاته ، ص ٣٤٢ .

٣. المصدر ذاته ، ص ٢٦ ، ٦٨ ، ٢٧١ .

٤. ابن طولون ، شمس الدين محمد بن علي بن محمد ، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، ٢ ج ، حققه محمد احمد دهمان ، دمشق ، مكتب الدراسات الاسلامية ، ١٩٤٩-١٩٥٦م ، ج ١ ، ص ٢٥ ، ٢٦ . وسنشير الى هذا الكتاب فيما بعد بـ القلائد الجوهرية

٥. الحنبلي ، مجير الدين العليمي ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ٢ ج ، القاهرة ، المطبعة الوهبية ، ١٢٨٣/١٨٦٦ ؛ ذكرت هذه المعلومات في اماكن متعددة ، نذكر منها على سبيل المثال ، ج ٢ ، ص ٤٣٥ ، ٤٤٤ ، ٣٧٩ ، ٤٣٨-٤٣٩ . وسنشير الى هذا الكتاب فيما بعد بـ الانس الجليل .

٦. انظر على سبيل المثال المصدر ذاته ج ٢ ، ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٥٦٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩١ ، ٣٩٥ .

٧. انظر على سبيل المثال المصدر ذاته ج ٢ ، ص ٣٩٣ ، ٥٨٠ .

٨. انظر على سبيل المثال المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٦١١ .

ويذكر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين والعلاقات بين المسلمين واليهود في القدس.[١] وبالاضافة الى ذلك فانه ترجم لعدد كبير من علماء القدس ورجالاتها ، وقد توسع في ذكر القضاة ومذاهبهم وتواريخ توليتهم واعمالهم في القدس.[٢]

ونجد في تضاعيف هذا الكتاب الكثير من الاخبار الاجتماعية والمعلومات الادارية والسياسية التي وقعت في القدس والتي لم يعرض لها احد من المؤلفين قبله.[٣]

ب . كتب الجغرافية

من الكتب التي لا غنى عنها في كتابة هذه الدراسة الكتب الجغرافية التي الفت في العهد المملوكي . وقد رجعنا الى جميع هذه الكتب التي في متناول يدنا . ومن الملاحظ ان هذه الكتب لم تتطرق لمدينة القدس الا بصفة مختصرة . وقد يكون السبب في ذلك ان القدس لم تكن مركزا اداريا هاما في بلاد الشام ، فهي لم تصبح نيابة الا سنة ١٣٧٥/٧٧٧ ، كما يذكر ذلك القلقشندي.[٤]

ومن اهم هذه الكتب ما يأتي :

١ - ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله (ت ١٢٢٨/٦٢٦) . لقد عاش ياقوت قبل الفترة التي تعنينا في هذا البحث ، ولكننا رجعنا الى كتابه معجم البلدان ، لانه زار القدس وذكر لنا مبانيها ومياهها التي يشرب منها اهلها.[٥] وهذه المعلومات افادتنا في المقارنة بين القدس قبل عهد المماليك والقدس في عهدهم .

---

١. انظر على سبيل المثال المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٤٤٣ ، ٦٣٣-٦٤٤ .
٢. انظر على سبيل المثال المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٨٦ ، ٥٢٧ ، ٥٥٦ .
٣. انظر على سبيل المثال المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦١١ .
٤. القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٩٧ .
٥. ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ، معجم البلدان ، ٢٠ ج في ٥ م ، دار بيروت وصادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٧ م ، ج ٥ ، ص ١٦٨ .

ولقد قام صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ١٣٣٨/٧٣٩) بتلخيص هذا الكتاب ، واطلق على هذا التلخيص اسم مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، ولقد رجعنا لابن عبد الحق وافدنا منه عندما يورد معلومات لا يذكرها ياقوت .

٠٢ الدمشقي ، ابو عبد الله شمس الدين محمد ابو طالب الانصاري الصوفي ، شيخ الربوة (ت ١٣٢٧/٧٢٧) . وكتابه الجغرافي كتاب نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر ، يبحث فيه عن هيئة الارض ومقاييسها واقاليمها بما في ذلك المحيطات والبحار والانهار . يذكر الدمشقي القدس في الفصل الذي خصصه لوصف فلسطين والاردن والارض المقدسة . استفدنا من هذا الكتاب بالنسبة لموضوعنا زيادة على جغرافية القدس وموقعها ، بعض ما يذكره المؤلف عن التنظيم الاداري بالقدس في العهد المملوكي.(١)

٠٣ ابو الفداء ، المؤيد اسماعيل (ت ١٣٣١/٧٣٢) ، وكتابه الجغرافي ، كتاب تقويم البلدان . والمؤلف يقسم الارض الى اقاليم ، ثم يأخذ كل اقليم ويبحثه بحثا مفصلا . وهو فيما يتعلق بالقدس ، يزوّدنا ببعض المعلومات الاوّلية عند ذكره لمساجدها ومياهها وجغرافيتها.(٢) وابو الفداء اصيل في المعلومات التي يذكرها عن القدس وذلك لانه يصفها وصف شاهد عيان .

٠٤ ابن شاهين الظاهري ، غرس الدين خليل (ت ١٣٧٠/٧٧٢) ، وكتابه : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، يحتوي على معلومات جغرافية وادارية للممالك الاسلامية في عهده .

---

٠١ الدمشقي ، ابو عبد الله شمس الدين محمد ابو طالب الانصاري ، شيخ الربوة ، كتاب نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر ، حققه م . فرايهين و م . أ . مهرن ، سانت بيترز بورج ، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية ، ١٨٦٥م ، ص ٢٠١ ، ٢١٣ . وسنشير الى هذا الكتاب فيما بعد بـ نخبة الدهر .

٠٢ ابو الفداء ، المؤيد اسماعيل ، كتاب تقويم البلدان ، حققه م . رينود ، والبارون ماك كوكين دي سلان ، باريس ، المطبعة الملكية ، ١٨٤٠م ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠ .

وزيادة على المعلومات الجغرافية ، يذكر انواع الوظائف في هذه الممالك ويعرّف بها ويعطي شمولات كل وظيفة منها . اما فيما يتعلق بمدينة القدس ، فقد حدّد جغرافيتها واعطانا فكرة عن الادارة فيها ،[١] وعن اهمية المدينة كمركز لأبراج الحمام .[٢] وذكر لنا ايضا بعض انتاج مدينة القدس الصناعي في عصر المماليك .[٣]

ج . كتب التراجم

ان كتب التراجم في العهد المملوكي عديدة ، ولا يمكن للباحث في تلك الفترة الاستغناء عنها لما لها من اهمية في ترجمة الرجال والتعريف بهم . وسنذكر هنا اهم هذه الكتب التي رجعنا اليها .

١ — ابن شاكر الكتبي ، محمد الحلبي (ت ٧٦٤/١٣٦٣) ، وهو مؤلف كتاب فوات الوفيات ، الذى هو عبارة عن تكملة لكتاب ابن خلكان وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان مما ثبت بالنقل او السماع او اثبته العيان . ونجد في هذا الكتاب تراجم الاشخاص الذين لم يذكرهم ابن خلكان . وقد افادنا ابن شاكر بمعلومات تتعلق بالمدارس والمزارات في مدينة القدس ،[٤] وذلك عندما كان يترجم للعلماء والاعيان في القدس . وذكر ايضا بعض مظاهر العمران في تلك المدينة كالاربطة والخانات .[٥]

كما انه اتى على ذكر الاصلاحات التي تمت في مساجد القدس خلال العهد المملوكي .[٦]

---

١ . ابن شاهين الظاهري ، غرس الدين خليل ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، حققه بولس راويس ، باريس ، المطبعة الجمهورية ، ١٨٩٤م ص ٢٣ ، ١١٣ ، ١٣١ ، ١٣٣ـ١٣٤ .

٢ . المصدر ذاته ، ص ١١٧ .

٣ . المصدر ذاته ، ص ٢٣ .

٤ . ابن شاكر الكتبي ، ابو عبد الله محمد الحلبي ، فوات الوفيات ، ٢ ج ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٥١ . فيما يتعلق بالمدارس والمزارات انظر ج ١ ، ص ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٤٤ .

٥ . فيما يتعلق بالاربطة والخانات انظر ، المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ١٦٨ ، ١٧٤ .

٦ . المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

٢ — ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين احمد بن علي (ت٨٥٣/ ١٤٤٩) ، وكتابه : الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، يحتوي على تراجم لم نجدها في اي مرجع اخر . اما كتابه : رفع الاصر عن قضاة مصر ، فقد ترجم فيه المؤلف بطريقة كافية وموسعة للقضاة في مصر. وقد وجدنا ان بعض هؤلاء القضاة من القدس، وان بعض قضاة مصر عينوا في وظائف مختلفة في القدس.(١)

٣ — السخاوي ، ابو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢/ ١٤٩٧) ، صاحب كتاب الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، ترجم فيه لمشاهير الاشخاص في القرن التاسع الهجري ، وبعض من ترجم لهم كانوا احياء . وخصص السخاوي المجلد الاخير من مؤلفه لترجمة مشاهير النساء في ذلك القرن . وهذان الامران امتاز بهما السخاوي على ابن حجر العسقلاني . وافدنا من الضوء اللامع في ترجمته لبعض علماء القدس واعيانها في القرن التاسع الهجري.(٢)

٤ — السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت٩١١/ ١٥٠٥) . جمع السيوطي في كتابه : نظم العقيان في اعيان الاعيان مئات السير لكبار اعيان العالم الاسلامي من رجال ونساء عاشوا حوالي القرن التاسع للهجرة في مصر وسوريا والحجاز والعراق والاندلس منهم القضاة ورجال السياسة . والبعض من هؤلاء الرجال عاصرهم المؤلف . وقد افادنا هذا الكتاب، زيادة على تراجم بعض العلماء المقادسة، في معرفة اسماء بعض المدارس في القدس من خلال التراجم التي ذكرها السيوطي.(٣)

د . كتب الرحلات والحجاج

من الكتب التي كتبت في العهد المملوكي ، وزودتنا بمعلومات عن القدس، هي كتب الحجاج النصارى الذين زاروا القدس للقيام بفريضة الحج . وقد كتب بعضهم ذاكرا كل ما شاهده في مدينة القدس من عمران ، وقس على ذلك وصفه للحياة الاجتماعية في القدس، والعلاقات بين مختلف الطوائف

---

١. ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي ، رفع الاصر عن قضاة مصر ، القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩٥٧ ، قسم ٢ ، ص ٢٤٥ .

٢. السخاوي ، ابو الخير محمد بن عبد الرحمن ، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، ١٢ ج ، القاهرة ، مكتبة القدسي ، ١٩٣٦ — ١٩٣٨م ، على سبيل المثال انظر ج ٢ ، ص ١٦٢-١٦٣ .

٣. السيوطي ، جلال الدين ، عبد الرحمن بن ابي بكر ، نظم العقيان في اعيان الاعيان ، حرره فيليب حتي ، نيويورك ، المطبعة السورية الاميركية ، ١٩٢٧م ، ص ٩٢ ، ٩٦ ، ١٤٨ .

الدينية القاطنة في القدس ، هذا بالاضافة الى جغرافية القدس . والى هذا الصنف من الكتب يرجع الفضل في ذكر اكثر ما يتعلق بالحياة الدينية والاجتماعية التي كان يحياها النصارى . وتزيد قيمة هذه المراجع عندما نعلم ان المصادر العربية لم تهتم بذكر شيء عن نشاط غير المسلمين في القدس . ومن هذه الكتب اخترنا ما يأتي :

١ - وليم الصوري William , Archbishop of Tyre ، بالرغم من انه أرخ لفترة الحروب الصليبية ومات قبل ظهور حكم المماليك ، فانه افادنا بالمعلومات التي سجلها بذلك للمقارنة بين عهده وعهد المماليك في مدينة القدس . لقد اتخذ هذا الكاتب تلك المدينة كمحور لموضوع تأريخه ، فأرخ لها من سنة ٦١٤ م الى سنة ١١٨٧ م . واهتم بوصف الحياة اليومية والهندسة المعمارية بقدر اهتمامه بالحياة العسكرية والادارية بالقدس ، غير ان التواريخ التي يذكرها في كتابه غير صحيحة احيانا .

٢ - بركارد Burchard of Mt.Zion، وصل الى الشرق سنة ١٢٣٢ م ، وقد عاش في القدس مدة . ألّف كتابه : A Description of the Holy Land سنة ١٢٨٣ م . وقد وصف بركارد جغرافية مدينة القدس وموقعها والمناظر التي كان باستطاعته ان يراها من تلك المدينة . ووصف بركارد البرك في القدس وحاول ان يعطي سببا لقلّة عدد سكانها ، فقال ان ذلك راجع الى ان سكان القدس كانوا يعيشون في حالة فزع مستديمة .(١)

٣ - دي روتلان De Rothelin, Le Continuateur Anonyme de Guillaume de Tyr, "La Sainte Cité de Iherusalem" = Les Saints Lieux et le Pelerinage de la Terre Sainte, 1261"

وهذا الكتاب مكتوب باللغة الفرنسية التي كانت تستعمل في القرون الوسطى . كان هذا الرحالة في مدينة القدس سنة ٦٦٠/١٢٦١ ، وافادنا كتابه فيما يتعلق بصفة مدينة القدس العمرانية من ابوابها واسواقها ومساكنها واديرها والحياة اليومية فيها . وكذلك اتى لنا بمعلومات وافرة عن

---

١. Burchard of Mt. Zion, in Palestine Pilgrim's Text Society, XII, London, 1897;

وردت تلك المعلومات في اماكن متعددة ، انظر على سبيل المثال ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٨-٧٩ . وسنشير لهذا المؤلف فيما بعد بـ بركارد .

معاملة السلطات المملوكيـة الحاكمة في القدس للحجاج النصـارى .(١)

٤ - موندفيل John Maundville . بدأ موندفيل رحلته سنة ١٣٢٢م وقد ورد وصفه للاماكن المقدسة في The Marvellous Adventures of Sir John Maundville

وقد افدنا من هذه الرحلة بالوصف الذي ذكره للمدينة وسكانها وطريقة عيشهم ، ولم يترك محلا زاره الا وكتب اوصافه . وقد زار بعض الاماكن الاسلامية المقدسة الممنوعة على النصارى واليهود لانه كان يحمل اذنا من السلطان المملوكي .(٢)

٥ - فرانيكولو Fra Niccolo of Poggibonsi اسم كتابه :

A Voyage Beyond The Seas= 1346-1350 قام بهذه الرحلة القديس فرانيكولو ، وهو من طائفة الفرانسيسكان . بدأ رحلته من توسكانية متجها الى الاراضي المقدسة في فلسطين . ترك مدينة البندقية في نيسان سنة ١٣٤٦م ، وبقي يتعبد في كنيسة القيامة حوالى اربعة اشهر من سنـــة ١٣٤٧م . ثم ترك مدينة القدس في زيارة لمدن مختلفة في فلسطين ورجع الى القدس بعد حوالى خمسة اشهر من تركه لها . وقد افادتنا هذه الرحلة بمعلومات عن الطوائف المسيحية التي كانت تتعبد في كنيسة القيامة . واتى لنا بتفاصيل عن مدينة القدس عامة كجغرافيتها واسواقها ومياهها واشجارهـــا وثمارها .واهتم فرانيكولو ايضا بالنظام الاداري ومعاملة المماليك للحجاج النصارى في القدس.(٣)

---

١. De Rothelin, le Continuateur Anonyme de Guillaume de Tyr, "La Sainte Cité de Iherusalem = Les Saints Lieux et le Pelerinage de la Terre Sainte, 1261" in Itinéraires, à Jérusalem et Descriptions de la Terre Sainte, rédigés en français aux XIe, XIIe et XIIIe siècles, ed. by Henri Micheland and Gaston Raymond, Genève, Imprémerie Jules-Guillaume Fick, 1882; pp. 141-176;
انظر هذه المعلومات خاصة في ص ١٤٥-١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩-١٥٠ ، ١٥٤ . سنشير الى هذا الرحالة فيما بعد بـ دي روتلان .

٢. John Maundville, The Marvellous Adventures of Sir John Maundeville, edi. by Arthur Layard, Westminoter, 1895, pp. 100-101.
وسنشير الى هذا الرحالة فيما بعد بـ موندفيل .

٣. Fra Niccolo of Poggibonsi, A Voyage Beyond the Seas: 1346-1350, Jerusalem, Franciscan Press, 1945.
توجد هذه المعلومات في عدد من الاماكن في الكتاب ، نورد على سبيل المثال ص ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

٦ - ابن بطوطة ، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم (ت ٧٧٩/١٣٧٧) . بدأ ابن بطوطة رحلته المشهورة من طنجة مسقط رأسه سنة ٧٢٥/١٣٢٤ . ومن البلاد التي زارها في هذه الرحلة مصر والشام ، وخلال ترحاله في الشام زار مدينة القدس التي وصلها سنة ٧٢٦/١٣٢٥ . وهذه الرحلة المسماة بـ تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار والمشهورة بـ رحلة ابن بطوطة افادتنا بمعلومات من اهمّها ذكره لمحطات الطريق التي سلكها من القاهرة الى القدس ، ووصفه للابنية فيها.(١) وذكر لنا عددا من القضاة والعلماء والمتصوفين الذين لبس ابن بطوطة خرقة التصوّف من احدهم.(٢) وقد تردد ابن بطوطة ثلاث مرات في رحلته على مدينة القدس ، وكانت آخر زيارة لها سنة ٧٤٩/١٣٤٨ . ونلاحظ من خلال تتبعنا لاقامته في تلك المدينة ، اهتمامه بالحياة الدينية فيها حيث اجتمع بعدد غير قليل من رجال الدين والمتصوفين فيها.(٣)

٧ - دي لا بروكيير Bertrandon de la Brocquière ، نشرت رحلته تحت اسم : The Travels of Bertrandon de la Brocquière ، وصف فيها مدينة القدس التي زارها سنة ١٤٣٢م . يمتاز وصفه لهذه المدينة بالاختصار والوضوح . وافادنا بمعلومات تتعلق بالوضع الذي كانت عليه الطوائف المسيحية في القدس ، ومعاملة المماليك للحجاج المسيحيين فيها.(٤)

٨ - كانون بيترو كازولا Canon Pietro Casola ، نشرت رحلته تحت اسم Canon Pietro Casola's Pilgrimage to Jerusalem in the Year 1494. هذا الرحالة ايطالي الجنسية ، وكتابه هذا عبارة عن وصف لكامل الرحلة التي قام بها سنة ١٤٩٤م .

---

١. ابن بطوطة ، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم ، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار المشهورة بـ رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٩٦٠م . وسنشير الى هذا الكتاب فيما بعد بـ رحلة .

٢. المصدر ذاته ، ص ٥٩ .

٣. المصدر ذاته ، ص ٦٥٢-٦٥٣ .

٤. De la Brocquière, Bertrandon, "The Travels of Bertrandon de la Brocquière, A.D. 1432, 1433" , in Early Travels in Palestine, ed. by Thomas Wright, London, George Woodfall and Son, 1848, (pp.283-382), pp. 286,287.

سنشير الى هذا المؤلف فيما بعد بـ دي لا بروكيير .

الى القدس . وهو هام في ما يتعلق بموضوع هذه الدراسة ، لانه يصف فيه مدينة القدس بكل ما فيها من معالم . اما المزارات التي يذكرها فمنها كنيسة القيامة التي وصفها وصفا دقيقا ذاكرا بناءها والطوائف المسيحية الدينية التي تتعبد فيها.(١) ثم يصف معاملة المسلمين للنصارى في القدس (٢) ، واهتم ايضا بوصف المدينة ومبانيها وشوارعها.(٣) وكذلك اهتم بالحياة الاجتماعية التي كان يعيشها القادسة فذكر لباسهم وطعامهم وطريقة حياتهم اليومية في ذلك العهد.(٤)

٩. غلفورد The Chaplain to Sir Richard Guylforde, The Pylgrimage of Sir Richard Guylforde to the Holy Land, A.D. 1506.

كان كاتب هذه الملاحظات مرافقا لغلفورد الذي قام برحلته الى البلاد المقدسة . بدأت هذه الرحلة في ٧ نيسان سنة ١٥٠٦م عندما ابحر الرحالون والحجاج من مدينة ساحلية تقع جنوب شرقي انجلترا الى البندقية ومنها ابحروا مع الحجاج الى اراضي فلسطين . في هذا الكتاب نجد معلومات قيّمة عن الاجراءات الادارية المملوكية في يافا والقدس التي يصفها الكاتب بانها كانت بطيئة ، ويصف لنا معاملة المسؤولين الاداريين والادلاء لهم.(٥) وكذلك ذكر لنا معلومات تتعلق بالطوائف المسيحية في القدس ، ومرافقتهم للحجاج في زياراتهم للامكنة المقدسة ، وعدد المسيحيين القاطنين في مدينة القدس في ذلك التاريخ.(٦)

---

١. Newett, M., Canon Pietro Casola's Pilgrimage to Jerusalem in the Year 1494, The University Press, Manchester, 1907, PP. 275, 276, 278, 391-392.

وسنشير الى هذا المؤلف فيما بعد باسم كازولا .

٢. المصدر ذاته ، ص ٢٥٠ ، ٢٥٥ .

٣. المصدر ذاته ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

٤. المصدر ذاته ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

٥. Guylforde, Sir Richard, The Pylgrimage of Sir Richard Guylforde to the Holy Land, A.D. 1506, ed. by Sir Henry Ellis, London, J.B. Nichols and Son, M.DCCC. Lt., PP. 15-17.

٦. المصدر ذاته ، ص ٢٣-٢٥ .

هـ . المراجع الثانوية

ان الكتب الثانوية التي حاول فيها اصحابها التأريخ لمدينة القدس في العهد المملوكي ، قليلة في عددها وفي افادتها . وسنذكر في هذا التقييم اهمها ، ونوردها مرتبة على حسب سنوات طبعها .

١. المراجع العربية الحديثة . كتاب خطط الشام لمحمد كرد علي ، يذكر كرد علي في الجزء السادس (ط . ١٩٢٨م) اسماء المدارس التي كانت في القدس، في العهدين الايّوبي والمملوكي . ويبيّن ما آلت اليه كل مدرسة من هذه المدارس في العصر الحاضر . ويعطي ايضا اسماء الزوايا والاربطة التي كانت قائمة في مدينة القدس في العهد المملوكي .

اما عارف العارف فله كتاب المفصل في تاريخ القدس (ط. ١٩٦١م) ويحتوي هذا الكتاب على تاريخ مدينة القدس من سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد الى سنة ١٩٤٧م . وفي الفصل المخصص لعهد المماليك ، يذكر المؤلف بعض التفاصيل السياسية والادارية والعمرانية . ثم يعدّد المدارس التي كانت في مدينة القدس في ذلك العصر .

٢. المراجع الاجنبية الحديثة . هذه المراجع تتطرق باختصار لمدينة القدس في عهد المماليك . لقد بحث هايد W.Heyd في كتابه: Histoire du Commerce du Levant au Moyen-Age ، الناحية التجارية لمدينة القدس ، فاكد لنا ان القدس لم تكن مركزا تجاريا مهما.(١) ويذكر ايضا القنصليات في القدس في ذلك العهد ودورها في خدمة الحجاج والسياح النصارى في الاراضي المقدسة.(٢)

ويوجه بيزانت Walter Besant وبلمر E.H. Palmer اهتمامهما في كتاب Jerusalem the City of Herod and Saladin (ط. ١٨٨٨م) الى ذكر اهم رجالات القدس في عصر المماليك ، ذاكرين اشهر ولاتها وعلمائها والسلاطين الذين زاروها.(٣)

---

١. HEYD, Wilhelm Van, Histoire du Commerce du Levant au Moyen-Age, 2 Vols., Leipzig: 1885-1886, Vol. I, P. 175.

٢. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٦٦-٤٦٧ .

٣. Walter Besant and E.H. Palmer, Jerusalem the City of Herod and Saladin, London, Bentley and Son, 1888, P. 489-494.

اما مارغوليوث Margoliouth فهو يؤرخ في كتابه Cairo, Jerusalem and Damascus, Three Chief Cities of the Egyptian Sultans

(ط٠ ١٩٠٧م) للقدس منذ عهد داوود وابنه سليمان الى اوائل القرن التاسع عشر الميلادي ٠ وعندما يؤرخ للقدس في عهد المماليك ، يتحدث عنها باختصار ملحوظ ٠ ولكنه يذكر اسباب اهتمام السلاطين المماليك بها ، ويصف حالة المسيحيين واليهود بالقدس.(١)

اما دي مونبين Gaudefroy-Demonbynes ، في كتابه La Syrie à l'Epoque des Mamlouks d'après les Auteurs Arabes (ط٠ ١٩٢٣م) ، فهو يصف الادارة في مدينة القدس ، وذلك بعد سنة ١٣٧٦/٧٧٧ اي بعد ان اصبحت نيابة٠ ثم يبحث بطريقة واضحة سبب اهتمام حكومة القاهرة بمدينة القدس ٠ ويذكر ان السبب ديني ، لان الحوادث الدينية ، كالحوادث الحزبية ، تخدم مصالح سياسية.(٢)

اما نقولا زيادة ، ففي كتابه Urban Life in Syria Under the Early Mamluks (ط٠ ١٩٥٣٠م) ، يتناول القدس في عصر المماليك البحرية ، ذاكرا معالمها الدينية كالزوايا ، ونواحيها الاقتصادية والادارية والاجتماعية.(٣) ثم يذكر السبب الرئيسي الذي كتب لمدينة القدس البقاء ، مع العلم انها ليست مركزا تجاريا هاما ، والسبب يكمن في كونها مدينة مقدسة.(٤)

---

١٠ مارغوليوث ، المصدر ذاته ، ص ٣٢٩-٣٣٠ ، ٣٤٢٠

٢٠ Gaudefroy-Demonbynes, La Syrie à l'Epoque des Mamlouks d'après les Auteurs Arabes, Paris, 1923, p.177, Footnote No. 3.

٣٠ Ziadeh, Nocola, Urban Life in Syria Under the Early Mamluks, Beirut, The American Press, 1953, pp. 68, 81, 92, 96, 138.

٤٠ المصدر ذاته ، ص ٦١٠

الفصـــــل الثـــانـــي

لمحة موجزة عن تاريخ مدينة القدس قبيل العهد المملوكي

لقد شهدت مدينة القدس في القرنين الخامس والسادس للهجرة / الثاني عشر والثالث عشر للميلاد) صراعا عنيفا بين الصليبيين والمسلمين . كانت نتيجة هذا الصراع دخول الصليبيين للقدس واحتلالها سنة ٤٩٣/١٠٩٩ . وظلت هذه المدينة المقدسة من قبل المسلمين والنصارى على السواء ، في ايدى الفرنج الى ان استرجعها صلاح الدين الايوبي (ت ٥٨٩/١١٩٣) يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣/ ٢ تشرين الاول ١١٨٧ .

عندما تسلم صلاح الدين القدس اتاح للفرنج مغادرة المدينة لقاء قدر معين من المال ، على ان يدفع خلال ٤٠ يوما ، كما نصت معاهدة الصلح . وبعد انقضاء هذه المدة لم يبق في المدينة من النصارى الا خمسة عشر الف نسمة ،[1] بعد ان كان عددهم اكثر من مائة الف [2]. لقد كان صدى فتح القدس ورجوعها لحوزة المسلمين ، كبيرا في البلاد الاسلامية ، يبرهن على هذا وفود الناس لزيارة المدينة ، ورسائل صلاح الدين الى الدول الاسلامية في المشرق والمغرب ، لاعلامهم بانجاز فتح مدينة القدس.[3] وبهذا الفتح رجعت للمدينة صبغتها الاسلامية،[4] ورتب صلاح الدين في المساجد من يقوم بوظائفها ، وللمدارس ما يكفيها من مشائخ ومدرّسين ، واوقف على كل ذلك وقوفا جليلة .[5]

وفي سنة ٥٨٩/١١٩٣ توفي صلاح الدين الايوبي ، فانقسمت امبراطوريته المترامية الاطراف الى عدة ممالك . فكانت الشام وفلسطين ، بما فيها القدس لابنه علي اكبر اولاد السلطان ،

---

١. الكاتب الاصفهاني ، ابو عبد الله محمد بن محمد الشهير بعماد الدين الكاتب (ت ٥٩٧/ ١٢٠١) ، كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي ، القاهرة ، مطبعة الموسوعات ، ١٣٢١/١٩٠٣ ، ص ٤٧ .

٢. المصدر ذاته ، ص ٤٣ .

٣. المصدر ذاته ، ص ٤٦ ؛ ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧/١٢٩٧)، مفرّج الكروب في اخبار بني ايوب ، ٣ ج ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩٥٣-١٩٥٧م ، ج ٢ ، ص ٢٣٣-٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٨ .

٤. الكاتب الاصفهاني ، المصدر ذاته ، ص ٤٨ .

٥. ابن واصل ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

وهو الملقب بالملك الافضل (ت ١٢٢٥/٦٢٢) . في عهد هذا الملك رأت مدينة القدس نشاطا عمرانيا ملحوظا ، وبالرغم من ان حكم الافضل لمدينة القدس لم يتعد الثلاث سنوات ٥٨٩-٥٩٢/ ١١٥٣-١١٩٥ ، لقد اهتم هذا السلطان بعمارة القدس ، وصرف في ذلك اموالا كثيرة الى حد جعل الاصفهاني يخاف عليه من الافلاس ويقول : " ونفض الاكياس حتى خلنا به ... الافلاس "[١].

ولما شعر الملك الافضل بما يستوجبه الدفاع عن مدينة القدس من كلفة مادية وعسكرية لردّ عادية الفرنج عنها ،[٢] عزم على التخلص منها ، وسلّمها لاخيه الملك العزيز [٣](ت ٥٩٥/ ١١٩٨) ملك مصر ، سنة ٥٩٢/١١٩٥ . ثم بدا للافضل ، في دمشق ، ان يتراجع عمّا رغب فيه لاخيه [٤] ، فتغيّر الملك العزيز على اخيه ، وخرج على رأس جيش قاصدا افتكاك الشام منه ، فاحتل دمشق ولم يخرج منها الا بعد ان وافق الافضل على تسليم جميع اعمال دمشق للعزيز.[٥] وبهذا انتقل حكم مدينة القدس للعزيز الذي زارها في نفس السنة ٥٩٢/١١٩٥ ثم رجع الى مصر.[٦] وظلت القدس في يد العزيز الى ان توفي سنة ٥٩٥/١١٩٨ .

وصف ابن واصل الملك العزيز بقوله : " كان في غاية السماحة والكرم والعدل والرفق بالرعية ، والاحسان اليهم . فكانت الرعية ، يحبونه محبة شديدة ، وفجعوا بموته فجيعة عظيمة ، اذ كانت الآمال معلّقة بانه يقوم مقام والده ، ويسدّ مسدّه ."[٧] اما ابن خلكان (ت ١٢٨٢/٦٨١) فيصف هذا الملك بقوله : " كان ملكا مباركا كثير الخير واسع الكرم محسنا الى الناس معتقدا في أرباب الخير والصلاح "[٨].

---

١. الكاتب الاصفهاني ، المصدر ذاته ، ص ٩٢ .
٢. ابن واصل ، المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ١٤-١٥ .
٣. هو الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن ايوب . ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابن الكرم الشيباني (ت ١٢٢٨/٦٣٠) ، الكامل في التاريخ ، ٩ ج ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ١٣٤٨-١٣٥٧/١٩٢٩-١٩٣٨ ، ج ٩ ، ص ٢٤٣ .
٤. ابن واصل ، المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ١٥ .
٥. ابن العبري غريغوريوس الملطي (ت ١٢٨٦/٦٨٥) تاريخ مختصر الدول ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٨ م ، ص ٢٢٤-٢٢٥ .
٦. ابن واصل ، المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ٧٠ .
٧. المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ٨٣ .
٨. ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد (ت ١٢٨٢/٦٨١) ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان معا ثبت بالنقل او السماع او اثبته العيان ، ٦ ج ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٤٨-١٩٤٩ م ، ج ٢ ، ص ٤١٤-٤١٥ .

وتولى الامر من بعد العزيز ابنه الملك المنصور ناصر الدين محمد ، وكان حينذاك صبيا لم يتجاوز التسع سنين وشهورا.[١] وحبّا في السيطرة على مصر ، اختلف الملك العادل وابن اخيه الملك الافضل على وصاية الملك المنصور ابن الملك العزيز بمصر ، فنشب القتال بين الملكين ، وكان لمدينة القدس في هذا الحراك دور فعّال ، وهذا الدور يتمثل في مؤازرة عدد من الامراء بالقدس للملك العادل.[٢] غير ان الملك الافضل كان اسرع حركة الى مصر حيث اعلن نفسه وصيا على المنصور واستولى على امور الدولة.[٣] وباستيلاء الملك الافضل على مصر انقسمت البلاد الى قسمين قسم بمصر يؤيد المنصور بوصاية الملك الافضل ، وقسم بدمشق يؤيد المنصور بوصاية الملك العادل . وكانت مدينة القدس في هذا الصراع تميل الى المعسكر الشامي وتعاضده بصفة فعالة . فقد استنجد الملك العادل بالمماليك الناصرية بالقدس ايام كان الافضل محاصرا لدمشق ، فانجدوه ودخلوا دمشق في سنة ٥٩٥/١١٩٨،[٤] الامر الذي جعل الافضل يتخلى عن حصار دمشق ويرجع الى مصر.[٥] وكذلك آزروا العادل في سنة ٥٩٦/١١٩٩ في افتكاكه لمصر من يد الافضل.[٦]

ولما استقر امر العادل بمصر في سنة ٥٩٦/١١٩٩ ترك الافضل مصر الى صرخد ، وفي هذه السنة نفسها قطع العادل خطبة الملك المنصور ابن الملك العزيز وخطب لنفسه .[٧]

---

١. ابن واصل ، المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ٨٧ .
٢. ابن الاثير ، المصدر ذاته ، ج ٩ ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .
٣. المصدر ذاته ، ج ٩ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .
٤. ابن واصل ، المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ .
٥. ابن الاثير ، المصدر ذاته ، ج ٩ ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .
٦. المصدر ذاته ، ج ٩ ، ص ٢٤٩ .
٧. المصدر ذاته ، ج ٩ ، ص ٢٥٠ .

لمّا استتب الامر للعادل ، وتغلب على ابناء اخيه ، قسّم البلاد بين ابنائه ، فاعطى مصر للكامل ، والبلاد الشرقية للاشرف ، والشام ، بما فيها القدس ، والكرك والشوبك للمعظم عيسى . وكان العادل يتنقل بين تلك الممالك الثلاث.[١] وصف ابن الاثير الملك العادل بقوله : "... وكان عاقلا ذا رأي سديد ومكر شديد وخديعة صبورا حليما ذا اناة يسمع ما يكره ويغض عليه حتى كأنه لم يسمعه ، كثير الحرج وقت الحاجة لا يقف في شيء."[٢] ووصفه ابن خلكان بانه " كان ملكا عظيما ، ذا رأي ومعرفة تامة ، قد حنكته التجارب ، حسن السيرة ، جميل الطوية ، وافر العقل ، حازما في الامور ، صالحا ، محافظا على الصلوات في اوقاتها ، متبعا لارباب السنة."[٣]

حصلت بمدينة القدس في عهد الملك المعظم عيسى (ت ١٢٢٦/٦٢٤) تطورات واحداث كثيرة ، فبعد ان كانت مدينة القدس موضع عنايته عاد فامر بتخريبها سنة ١٢١٩/٦١٦ خشية ان يستولي الفرنج عليها ، بعد استيلائهم على دمياط السنة نفسها.[٤] وكان تهديم المدينة شاملا الى حدّ انه لم يتبق من المباني القائمة فيها الا كنيسة القيامة ، وقبة داوود ، والحرم الشريف.[٥] ونتيجة لذلك هاجر عدد كبير من سكان القدس الى مناطق اخرى.[٦] ووصف ابن خلكان الملك المعظم عيسى بانه : " كان عالي الهمة ، حازما ، شجاعا ، مهيبا ، فاضلا ، جامعا شمل ارباب الفضائل محبا لهم ، وكان حنفي المذهب متعصبا لمذهبه ، وله فيه مشاركة حسنة ، ولم يكن في بني ايوب حنفي سواه وتبعه اولاده."[٧] اما ابو الفداء فيصفه بقوله : "... وكان شجاعا ... قليل التكلّف جدا في غالب الاوقات ... يتخرّق الاسواق من غير ان يطرق بين يديه كما جرت عادة الملوك ، ولما كثر مثل هذا منه صار الانسان اذا فعل امرا لا يتكلّف به ، يقال قد فعله بالمعظمي ، وكان عالما فاضلا في الفقه والنحو ..."[٨] وكانت وفاته سنة ١٢٢٦/٦٢٤ ، ودفن في الصالحية بدمشق.[٩]

---

١. المصدر ذاته ، ج ٩ ، ص٣٢٧ ؛ ابن خلكان ، المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص١٦٦-١٦٨.
٢. ابن الاثير ، المصدر ذاته ، ج ٩ ، ص٣٢٦ .
٣. ابن خلكان ، المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ١٦٨.
٤. ابو الفداء ، المؤيد عماد الدين اسماعيل بن الافضل (ت ١٣٣١/٧٣٢)، المختصر في اخبار البشر ، ٤ ج في ٢ ، القاهرة ، المطبعة الحسينية ، ١٩٠٧/١٣٢٥ ، ج ٣، ص ١٢٢ ؛ بوهل ، ف. و.F. Buhl " القدس " ، دائرة المعارف الاسلامية ، ليدن ، بريل ، ١٩٢٧.
٥. المصدر ذاته .
٦. ابو الفداء ، المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ١٢٢.
٧. ابن خلكان ، المصدر ذاته ، ج ٢ ص١٦٢-١٦٤.
٨. ابو الفداء ، المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص١٣٨ .
٩. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ص ١٢١.

وتولى الامر من بعد المعظم ابنه الملك الناصر داود الذي تغلب عليه الملك الكامل صاحب مصر ، وافتك منه اكثر البلاد التي كانت تابعة له ، ومنها مدينة القدس.(١) كان هذا في سنة ١٢٢٧/٦٢٥ . غير ان امتلاك الملك الكامل للمدينة لم يطل اذ تخلى عنها في سنة ١٢٢٨/٦٢٦ للامبراطور فردريك الثاني ، ملك الفرنج ، بموجب صلح تم بين الملكين.(٢) ينص هذا الصلح ، في جملة ما ينص ، ان يأخذ ملك الفرنج مدينة القدس من المسلمين عدى الحرم الشريف ومزاراته ، وان تبقى هذه المدينة خرابا ، كما هي ، ولا تجدّد فيها عمارة البتة.(٣)

وقد كان وقع تسليم القدس الى الفرنج عظيم الاثر فاقيمتالمآتم حسرة عليها في البلاد الاسلامية.(٤) فهي المدينة المقدسة التي فتحها المسلمون على يد صلاح الدين ، سلمت لاعدائهم الفرنج بالمصالحة بعد ان عجزوا عن استردادها بالقوة . وكذلك رأى المسلمون في هذا الامر كارثة لهم ، ومشجعا للفرنج على توطيد حكمهم في ذلك الجزء من البلاد الاسلامية ، خاصة وان الامدادات كانت متواصلة للامبراطور من البحر.(٥)

يصف الحنبلي وقع تسليم مدينة القدس للامبراطور فردريك بقوله : " تسلم الامبراطور القدس ... على القاعدة المذكورة وعظم ذلك على المسلمين وحصل به وهن شديد وارجاف في الناس ... وارتفع بكاء الناس وضجيجهم لذلك فلا حول ولا قوة الا بالله العلّي العظيم."(٦)

---

١. ابن الاثير ، المصدر ذاته ، ج ٩ ، ص٣٧٧ ؛ ابن العبري ، المصدر ذاته ص ٢٤٤ .

٢. ابن الاثير ، المصدر ذاته ، ج ٩ ، ص٣٧٦-٣٧٨ .

٣. اليونيني ، قطب الدين موسى بن محمد (ت ١٣٢٦/٧٢٦) ، ذيل مرآة الزمان ، ٢ ج ، حيدر اباد الدكن ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٥٤ - ١٩٥٥م ، ج ١ ، ص١٢٩ ، ١٤١ .

٤. سبط ابن الجوزي ، ابو محمد يوسف (ت ١٢٥٧/٦٥٤) ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، حيدر آباد الدكن ، دائرة المعارف العثمانية ، لا . ت . ، ج ٨ ، ص٦٥٤ .

٥. ابن شداد ، ابو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم (ت ١٢٨٥/٦٨٤) ، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، ٣ ج ، تحقيق سامي الدّهان ، دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ١٩٥٦-١٩٦٢م ، ج ٢ ، قسم ٢ ، ص٢٣٤ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ص٣٥٨ ؛ مارغوليوث ، المصدر ذاته ، ص ٣٤١ .

٦. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٣٥٨ - ٣٥٩ .

وفي هذه السنة نفسها قام الامبراطور فريدريك بزيارة القدس حيث توّج نفسه ملكا على مملكة بيت المقدس في كنيسة القيامة ، وزار المسجد الاقصى باذن من الملك الكامل .(١)

وصف ابن الجوزي الملك الكامل بانه : " كان شجاعا ، زكيا ، مهابا ، فطنا ، يحب العلمـــاء والافاضل ، ويلقي عليهم المشكلات من المسائل ... واما عدله فاليه المنتهى وفضله فهو المشتهى ..."(٢) ووصفه ابن خلكان بانه " كان سلطانا عظيم القدر ، جميل الذكر ، محبا للعلماء ، متمسكا بالســـنة النبوية ، حسن الاعتقاد ، معاشرا لارباب الفضائل ، جازما في اموره ، لا يضع الشيء الا في موضعه من غير اسراف ولا اقتار."(٣) وكانت وفاته سنة ١٢٣٧/٦٣٥ .

وتولّى الامر من بعد الكامل ابنه الملك الصالح نجم الدين الذي تغلب عليه ابن عمه الملك الناصر داوود وسجنه في الكرك ، وكان ذلك سنة ١٢٣٩/٦٣٧ .(٤)

اما الفرنج الذين تسلموا مدينة القدس سنة ١٢٢٨/٦٢٦ ، فقد اغتنموا فرصة اختلاف واقتتـــال الملوك الايوبيين ، وعمّروا ، خلاف ما ينص عليه الصلح ، قلعة غربي مدينة القدس .(٥) فتوجه الملـك الناصر داوود بعسكره الى القدس ونازل القلعة الجديدة حتى سلمت اليه فهدّمها ، ثم استولى على القدس واخرج منه الفرنج سنة ١٢٣٩/٦٣٧ .(٦)

---

١. ابن الجوزي ، المصدر ذاته ، ج ٨ ، ص ٦٥٦-٦٥٧ .
٢. المصدر ذاته ، ج ٨ ، ص ٧٠٥ .
٣. ابن خلكان ، المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ١٧٢ .
٤. ابن الجوزي ، المصدر ذاته ، ج ٨ ص ٧٢٤-٧٢٧ ، ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٣ ، ص ١٥٤ ، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ١٤١ .
٥. المصدر والصفحة ذاتهما .
٦. المصدر ذاته ، ج ١ ص ١٤١-١٤٢ .

وفي هذه السنة نفسها ايضا ، افرج الملك الناصر داوود عن الملك الصالح نجم الدين من حبسه في الكرك ، ثم توجها معا الى مصر حيث تسلّمها الملك الصالح نجم الدين ، بمقتضى اتفاق سابق بين الملكين.(١) غير ان هذا الوفاق بين الملكين لم يطل امده ، اذ نشب الخلاف بينهما حتى انتهى الى القتال من جديد . فاستولى جنود الملك الصالح نجم الدين سنة ٦٤٣/ ١٢٤٥ على مناطق من بلاد الملك الناصر بالشام ، منها مدينة القدس.(٢)

وفي سنة ١٢٤٧/٦٤٥ قام الملك الصالح بزيارة القدس ، وامر باعادة عمارتها ، وبناء سورها ، وقبل ان يترك القدس فرّق على اهل المدينة اموالا كثيرة.(٣) وبقيت مدينة القدس في يد الملك الصالح الى ان مات سنة ١٢٤٩/٦٤٧.(٤)

وعندما قتل الملك غياث الدين توران شاه ، في محرم ٦٤٨/ آذار ١٢٥٠ ، على يد مماليك ابيه الصالح نجم الدين ، ونصب المملوك عز الدين ايبك التركماني سلطانا في مصر ، انفصلت الشام عن مصر واستقل بحكمها الامراء الايوبيون.(٥) وبقيت الحرب سجالا بين مماليك مصر من ناحية والامراء الايوبيين من ناحية اخرى.(٦) الى ان تم صلح بين الفريقين سنة ١٢٥٣/٦٥١.(٧) بموجب هذا الصلح تم الاتفاق على ان تكون الممالك التي تقع شرقي نهر الاردن للايوبيين ، والتي تقع غربيه للمماليك . وبهذا الاتفاق دخل الساحل الشامي تحت حكم المماليك ، بما في ذلك مدينة القدس.(٨) وبضم القدس الى الحكم المملوكي في مصر ، يبدأ فصل جديد في تاريخ هذه المدينة ، وهذا الفصل هو موضوع دراستنا هذه .

---

١. المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ١٦.
٢. المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ١٦١.
٣. ابن الجوزي ، المصدر ذاته ج ٨ ص ٧٦٣–٧٦٤ ؛ ابن كثير المصدر ذاته ج ١٣ ص ١٧٣.
٤. ابن الجوزي ، المصدر ذاته ، ج ٨ ، ص ٧٧٥.
٥. ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٣ ، ص ١٧٩.
٦. ابن الجوزي ، المصدر ذاته ج ٨ ، ص ٧٨٩ ؛ ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٣ ، ص ١٨١.
٧. ابن الجوزي ، المصدر ذاته ، ج ٨ ، ص ٧٨٩ ؛ ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٣ ص ١٨٤.
٨. اليونيني ، المصدر ذاته ، ج ١ ص ٥٨ ؛ ابو الفداء ، المصدر ذاته ، ج ٣ ص ١٨٦ ؛ ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر الشافعي (ت ٧٤٩/١٣٤٨) ، تتمة المختصر في اخبار البشر ، ٢ ج ، القاهرة ، المطبعة الوهابية ، ١٢٨٥ /١٨٦٨ ، ج ٢ ، ص ١٨٩.

الفصـــــل الثالـــــث

لمحة عن أحداث القـــدس في العهـــد المملوكـي

أ ـ التعـريف بمدينة القـدس ، تسـميتهـا وموقعهـــا .

كان المؤرخون والجغرافيون المسلمون يطلقون عدة اسماء على مدينة القدس . من هذه الاسماء : البيت المقدّس وبيت المقدِس ، ومعناهما التطهير والتطهّر ، ومـن هذا المعنى قوله تعالى (ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك)(١) اى نطهّر انفسنا لك ،(٢) ويكون معنى البيت المقدِس : البيت المطهّر من الذنوب .(٣) ويذكر النويري (ت ٧٣٢/ ١٣٣٢) ان هذه المدينة سميّت مقدسة لانها طهّرت من الشرك " وجعلت مسكنا للانبياء والمؤمنـــين ".(٤) اما في زمن القلقشندي ، فقد غلب استعمال اسم القُدُس على هذه المدينة .(٥) وفي عصـــرنا الحديث شاع استعمال اسم القُدْس ، الذي يقصد به المبارك ،(٦) على بقية التسميات السـابقة .(٧)

تقع مدينة القدس في جنـد فلسطين ، وهو اوّل اجناد الشام من جهـــة الغـــرب .(٨)

---

١. سـورة ٢ ، آيـة ٣٠ .

٢. ياقـوت ، المصـدر ذاته ، م ٥ ، ص ١٦٦ .

٣. المصـدر والصفحـة ذاتهمـــا .

٤. النويـري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، نهاية الارب في فنون الارب ، ١٨ ج ، القاهرة ، دار الكتب المصـرية ، ١٩٢٣ـ١٩٥٥ م ، ج ١ ، ص ٣١٣ .

٥. القلقشنـدي ، صبح الاعشـى ، ج ٤ ، ص ١٠٠ .

٦. ياقـــوت ، المصـدر ذاتـــه ، م ٥ ، ص ١٦٦ .

٧. Le Strange, Guy, Palestine Under the Moslems; A Description of Syria and the Holy Land From A.D. 650 to 1500, Beirut, Khayat's, 1965, p. 83.

٨. ابن حوقـل ، ابو القاسم محمّد (ت ٣٦٧/ ٩٧٧) ، كتاب صورة الارض ، ٢ ج ، الطبعة الثانية ، ليدن ، بريل ، ١٩٣٨ م ، ج ١ ، ص ١٦٨ ؛ القلقشـندي ، صبح الاعشـــى ، ج ٤ ، ص ٨٨ .

يمتد هذا الجند من رفح الى اللجون طولا ومن يافا الى اريحا عرضا.(١) وتقع هذه المدينة على خط عرض ٤٧/٣١ شمالا ، وخط طول ١٤/٣٥ شرقا • وهذه المدينة توجد فوق جبل مستدير ، حتى ان قاصدها ملزم بالصعود اليها من اي جهة اتاها.(٢) وهذا الجبل الذي توجد عليه المدينة ، هو ذاته ، محاط بعدد من الجبال ، فمن جهة الشرق يوجد جبل الطور ، ويفصل بين هذا الجبل ومدينة القدس واد يعرف باسم وادي جهنم.(٣) اما من جهة الغرب فيوجد جبل صهيا.(٤) وجنوب هذه المدينة يوجد جبل صهيون • اما من جهة الشمال فتوجد هضبة صغيرة.(٥) وبهذا الوضع الجغرافي الذي عليه مدينة القدس ، لا يتمكن قاصدها من رؤيتها الا اذا كانت المسافة التي تفصله عنها لا تزيد على الميل الواحد.(٦)

ب — اهتمام السلاطين المماليك بمدينة القدس •

عندما دخلت مدينة القدس تحت حكم المماليك بموجب اتفاق سنة ١٢٥٣/٦٥١(٧) رأت المدينة المقدسة اهتماما ملحوظا من قبل المماليك • هذه الاهمية ناتجة في الاساس عن اسباب دينية ، وذلك لان الحوادث الدينية ، مثل الحوادث العسكرية تخدم مصالح سياسية.(٨) واحتلال الصليبيين لها مدة تقارب القرن (٤٩٣—٥٨٩ / ١٠٩٩—١١٩٣) ، ثم استرجاع صلاح الدين لها ، اعطى هذه المدينة اهمية ومجدا جديدين.(٩)

١• القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص٨٨ •

٢• ابن حوقل ، المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ١٧١—١٧٢ ؛ ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، ج ٣ ، ص١٨٠ •

٣• المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ١٤٧ ، ١٨٠ •

٤• فرانيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٩ — ١٠ •

٥• المصدر والصفحات ذاتها ؛ بركارد ، المصدر ذاته ، ص ٦٦ •

٦• فرانيكولو ، المصدر ذاته ، ص١٠ •

٧• انظر هذه الدراسة ~~ملحق الخاتمة~~ ص ٢٨ •

٨• دي مونبين ، المصدر ذاته ، ص ١٧٧ ، هامش رقم ٣ •

٩• المصدر والصفحة ذاتهما •

واذا استعرضنا الانجازات العمرانية التي حصلت بالقدس بامر من السلاطين الذين قاموا بزيارة هذه المدينة ، نجد اكثرها تمت في عمارة او ترميم ابنية دينية وعلمية وخيرية . ومما يجدر ذكره ان الاوقاف التي اوقفت على هذا العمار كانت موردا من الموارد الاقتصادية لهذه المدينة .(١)

وفيما يلي سنذكر اهم الزيارات التي قام بها السلاطين المماليك لمدينة القدس ، وما اقاموه من منشآت فيها .

اول من زار مدينة القدس من السلاطين المماليك ، هو الملك الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦/ ١٢٧٧) . وقد قام هذا السلطان بزيارة هذه المدينة عدة مرات . المرة الاولى كانت في سنة ٦٦١/ ١٢٦٢م(٢) والمرة الثانية كانت في سنة ٦٦٢/ ١٢٦٣م(٣) اما الزيارة الثالثة فقد كانت في سنة ٦٦٤/ ١٢٦٥م(٤) وآخر زيارة قام بها بيبرس للقدس كانت في سنة ٦٦٨/ ١٢٦٩م(٥)

كان اهتمام الظاهر بيبرس بالترميم والبناء في القدس سابقا لزياراته لها . يذكر المقريزي (ت ٨٥٤/ ١٤٥٠) ان الملك الظاهر بيبرس جهّز سنة ٦٥٩/ ١٢٦٠ الاموال والآلات والصناع لعمارة قبة الصخرة التي كانت قد وهت وتداعت للسقوط،(٦) وفي السنة نفسها جدد قبة السلسلة وزخرفها.(٧)

---

١. انظر هذه الدراسة ص ٨٦ - ٩٠ .

٢. ابن عبد الظاهر ، القاضي محي الدين (ت ٦٩٢/ ١٢٩٢) ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، حققته S. Fatima Sadeque كملحق في كتابها Baybars I of Egypt ، دكا ، مطبعة جامعة اكسفورد ، ١٩٥٦م ، ص ٧٤ .

٣. المصدر ذاته ، ص ١١٨ .

٤. المصدر ذاته ، ص ١٣٢ .

٥. ابن الوردي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٢١٦ ، الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٣٣ .

٦. المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٤٥ .

٧. ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٩٤ .

ولما زار هذا السلطان القدس سنة ١٢٦٢/٦٦١ ، في طريق رجوعه من الشام الى مصر ، اطّلع على احوال القدس ونظم اوقافها ثم امر بعمارة المسجد الاقصى[١] ورتب لهذا المسجد في كل سنة خمسة آلاف درهم.[٢] وفي هذه الزيارة ذاتها امر بانشاء خان للسبيل ، ولما تم بناء هذا الخان نقل اليه ، الملك بيبرس ، باب قصر فاطمي معروف بالقاهرة باسم قصر[٣] باب العيد.[٤] وبنى بالخان مسجدا وطاحونا وفرنا وبستانا.[٥] ولما تم بناء هذا الخان اوقف عليه الملك بيبرس ~~عليه~~ اوقافا عدة ، منها ثلث وربع قرية المشيرفة من بلد بصرى[٦] ونصف قرية لبنى.[٧] على ان يصرف ريع هذه الاوقاف في خبز وفلوس واصلاح نعال من يرد على هذا الخان من المسافرين[٨] المشاة.[٩]

اما الزيارة التي قام بها بيبرس للقدس سنة ١٢٦٩/٦٦٨ فقد جدّد خلالها الفصوص التي على الرخام في مسجد الصخرة الشريفة.[١٠] وفي نفس السنة وضع السلطان بيبرس الدرابزين حول الصخرة " وعمل فيها منبرا وسقفه بالذهب."[١١]

---

١. ابن خلدون ، العبر ، ج ٥ ، ص ٨٣٠ .
٢. المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٩١ .
٣. كان هذا الباب احد ابواب " القصر الكبير " الفاطمي ، وقيل له باب العيد ، لان الخليفة الفاطمي كان يخرج منه في يوم العيد من للصلاة ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ص ٣٥٠ .
٤. ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٣ ، ص ٢٧٥ ،
المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٩١ .
٥. ابن تغري بردي ، المصدر ذاته ، ج ٧ ، ص ١٢١ ، ١٩٤ .
٦. بصرى " هي قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديما وحديثا "؛ ياقوت ، معجم البلدان.
٧. لبنى : هي قرية من قرى فلسطين ؛ ياقوت ، المصدر ذاته .
٨. ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٢١ .
٩. يذكر اليونيني في كتابه ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٥٥٤ ، وابن كثير في البداية والنهاية ج ١٣ ، ص ٢٤٢ ، ان السلطان بيبرس امر ببناء هذا الخان واوقف عليه الاوقاف سنة ١٢٦٣/٦٦٢ .
١٠. ابو الفداء ، المصدر ذاته ، ج ٤ ص ٥-٦ ، ابن الوردي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٢١٩ ،
الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .
١١. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٣٤ .

يلاحظ مما سبق الاهتمام الذي كان يوليه السلطان بيبرس لبناء وترميم المباني الدينيـــة والخيرية الاسلامية في مدينة القدس .

بجانب هذه العمارة التي اقامها السلطان بيبرس بالقدس، هناك ابنية اخرى ، ذات صبغة دينية ايضا ، اقيمت في عهد هذا السلطان منها رباط البصير الذي عمره واوقف عليه الاوقـاف الكثيرة الامير علاء الدين آيدغدي البصير [١] سنة ٦٦٦/١٢٦٧[٢] ويمكن لزائر القدس الآن ان يرى رخامة فوق باب رباط البصير هذا نقش عليها باحرف صغيرة الكلمات الآتيـة : " بسم الله الرحمن الرحيم ... هذا ما وقف الامير علاء الدين آيدغدي الركني وقف جميع داخـل هـذا الباب من الاقباء والساحة على الفقـراء الواردين لزيارة القدس الشريف ، وقفا مؤبدا في سنة ٦٦٦ هـ/ (١٢٦٧ م)"[٣].

واقام الامير علاء الدين هذا ابنية اخرى منها المطهرة التي بجانب المسجد الاقصـــى ، وكذلك بلط صحن الصخرة الشريفة.[٤] وقبل ان ننهي حديثنا عن الاهتمام الذى احازت عليه هذه المدينة في زمن السلطان بيبرس ، يجدر بنا ان نذكر انه في الوقت الذي كانت المباني ذات الصبغة الاسلامية محلّ اهتمام بيبرس وامرائه ، كانت المباني الدينية المسيحية مستهدفة للتخريب . يذكـر ابن ابي الفضائل (ت ٧٥٩/١٣٥٨) انه كان للسلطان الملك الظاهر احد الصلحاء اسمه الشـيخ خضر ابن ابي بكر ابن موسـى العدوي المهراني ، كان الظاهر يعتقد في هذا الشيخ ويطلعه على غوامض اسراره ويستصحبه في اسفاره .[٥] زار هذا الشيخ مدينة القدس في عهد الظاهر بيبـرس ،

---

١. هو " الامير الكبير علاء الدين الاعمى هو ايدغدي بن عبد الله الصالحي النجمي كان من اكابر الامراء ... اقام بالقدس الشريف وولي نظره فعمره وثمره وكان ناظر الحرمين في ايام الظاهر بيبرس الى ايام المنصور قلاوون ، وكان مهيبا لا تخالف مراسيمه ... وكان يباشر الامور بنفســه وله حرمة وافرة توفى سنة ٦٦٣ هـ (١٢٦٣ م) " ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ج ٢ ، ص ٦٠٥-٦٠٦ .

٢. المصـــدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ .

٣. العـــارف ، المصدر ذاته ، ص ١٩٩ .

٤. الحنبلـــي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٠٦ .

٥. ابن ابي الفضـائل ، المفضـل النهج السديد والدرّ الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميـد ، ٢ ج ، حققه وترجمه الى الفرنسية E. Blochet ، باريس، بلوشيه ، ١٩١٩-١٩٢٩ م ، ج ٢ ، ص ٤٥٩ ؛ ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيـات ، ج ١ ، ص ٢١٨-٢١٩ .

فهدّم كنيسة المصلّبة بالقدس وارجع بعضها زاوية له .[١] ويذكر ابن كثير ان هذا الشيخ ذبح قسيس كنيسة القيامة بيده واخذ كل ما في هذه الكنيسة لاصحابه [٢]. ومات الشيخ خضر في سنة ١٢٧٧/٦٧٦ وهي نفس السنة التي مات فيها الملك الظاهر بيبرس.[٣]

ثاني سلطان مملوكي يزور القدس ويقوم فيها باعمال عمرانية هو الملك المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٩ـ١٢٨٠/٦٨٩ـ١٢٩٠)[٤] وقد قامت في عهده ، كما في عهد بيبرس ، منشآت تدلّ على اهتمامه هو الآخر بهذه المدينة . فقد انشأ سنة ١٢٨٢/٦٨١ رباطا يسمى الرباط المنصوري اوقفه على الفقراء من زوّار القدس[٥] ولا زالت فوق باب هذا الرباط بلاطة من رخام نقشت عليها هذه الكلمات : " بسملة ... الحمد لله عم بفضله كل شيء . وصلى الله على سيدنا محمد وآله . امر بعمارة هذا الرباط ووقفه على الفقراء وزوار القدس الشريف مولانا السلطان الملك المنصور ابو الملك سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي أدام الله ايامه وتقبل منه سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢م).[٦]

وفي عهد هذا السلطان جددت عمارة المسجد القلندري [٧] على حائط هذا المسجد كتابة

---

١. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٥٩ ؛ ابن شاكر الكتبي ، المصدر ذاته ، ج ١ ص ٢٩٨.
٢. ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٣ ، ص ٢٦٥.
٣. ابن شاكر الكتبي ، المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ٢٩٨ ؛ ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٣ ص ٢٧٥، ٢٧٨.
٤. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٣٥.
٥. ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، ج ٣ ، ص ١٨٠ ؛ كرد علي ، محمد ، كتاب خطط الشام ، ٦ ج ، دمشق ، مطبعة المفيد ، ١٩٢٥ـ١٩٢٨م ، ج ٦ ، ص ١٥٣.
٦. العارف ، عارف ، المفصل في تاريخ القدس ، القدس ، مطبعة المعارف ، ١٩٦١م ، ص ٢٤٠ـ٢٤١.
٧. القلندري نسبه للطريقة القلندرية ، وهي طريقة فارسية الاصل دخلت سوريا عندما ظهر اتباعها في دمشق سنة ١٢٣١/٦١٠ ، وقد كانت هناك زاوية قلندرية في مدينة القدس ؛ الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص ٢٣ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٠٤ ؛ زيادة ، المصدر ذاته ، ص ١٦٣.

هذا نصها : " بسملة ... الصلاة ... جددت عمارة هذا المسجد المبارك في ايام مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون ، خلد الله ملكه . ومما وقف له وحبس عليه الطبقة اعلاه والتربة قبالته وما يليه من الغرب بتاريخ سنة ٦٨٦ (١٢٨٧)[1] .

بعد ان توفى الملك المنصور قلاوون (٦٨٩/١٢٩٠) تولى الملك ابنه السلطان الاشرف صلاح الدين خليل ثم ابنه الثاني ، السلطان الناصر محمد بن قلاوون . وقد تولّى الناصر قلاوون السلطنة ثلاث مرات ، سلطنته الاولى دامت حوالي ثلاث سنوات ٦٩٣-٦٩٦/١٢٩٤-١٢٩٦ ، والثانية عشر سنوات ٦٩٨-٧٠٨/١٢٩٨-١٣٠٨ ، اما سلطنته الثالثة والاخيرة فقد دامت اكثر من ثلاثين سنة ٧٠٩-٧٤١/ ١٣٠٩-١٣٤١ .

في هذه السلطنات الثلاث ، التي دامت قرابة خمس واربعين سنة ، حصلت في القدس على يد هذا السلطان ونائب السلطنة بالشام الامير تنكز[2] حركة عمرانية لا مثيل لها في كامل العهد المملوكي . وقد شملت هذه الحركة العمرانية انشاء المدارس والاسواق والقنوات والبرك والحمامات[3] .

اما فيما يتعلق بالمنشآت ذات الطابع الديني فقد وقع ، في عهد الناصر محمد ، بناء وترميم ما نذكره هنا . في سنة ٧١/١٣١٠ انشيء بالقدس جامع[4] كتب على بابه : " بسمله ... انشأ هذا الجامع المبارك مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان

---

١. العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٠٠

٢. هو الامير سيف الدين تنكز (ت ٧٤١/١٣٤٠) كان نائبا للسلطنة بالشام ، جلب الى مصر وهو صبي ، ثم صار من خاصكية السلطان الناصر قلاوون ؛ ابن شاكر الكتبي ، المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

٣. انظر هذه الدراسة ص ١٢٨- ١٣٠، ١٣٦-١٣٩ .

٤. ابن ايبك الدواداري ، ابو بكر عبد الله (ت ٧٣٤/١٣٣٤) ، كنز الدرّ الفاخر في سيرة الملك الناصر ، ج ٩ ، حققه هانس روبرت ديمر ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٩/١٩٦٠ ، ج ٩ ، ص ٣٩٠ .

الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون اعز الله نصره في تاريخ سنة ٧١٠هـ حسبنا الله ونعم الوكيل." [١] اما زيارة السلطان الناصر لمدينة القدس فقد كانت في سنة ٧١٦/١٣١٦م [٢] اي بعد انشائه لهذا الجامع بست سنوات . اما في المسجد الاقصى فقد رخم السلطان الناصر محمد صدر هذا المسجد وفتح به الشباكين اللذين عن يمين المحراب وشماله م [٣] ولا زلت تجد مكتوبا على الشباك غربي المنبر : " بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا الشباك والرخام المبارك في ايام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد قلاوون الصالحي بالاشارة العالية تنكز الناصري كافل الممالك الشريفة الشامية ، وذلك سنة ٧٣١ هـ (١٣٣٠م). [٤] اما على الشباك الذي هو شرقي المنبر فتجد مكتوبا عليه : " جدد هذا الشباك والرخام المبارك في ايام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد قلاوون ... سنة ٧٣١ هـ (١٣٣٠م). [٥] وفي سنة ٧٢٨/١٣٢٧ امر هذا السلطان بتجديد تذهيب قبة المسجد الاقصى [٦] التي لا زال مكتوبا عليها : " بسم الله الرحمن الرحيم ، جددت هذه القبة المباركة في ايام مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر المؤيد المنصور قاهر الخوارج المتمردين محي العدل في العالمين سلطان الاسلام محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاوون الصالحي تغمده الله برحمته في شهور سنة ٧٢٨ هـ (١٣٢٧م). [٧] ولم يقف اهتمام السلطان الناصر بالمسجد الاقصى عند هذا الحد بل ادخل اليه قناة ماء وبنى بالحرم ،

---

١. العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٠٢ .
٢. ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٥٥ .
٣. ابن شاكر الكتبي ، المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ١٧٥ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ .
٤. العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٠٣ .
٥. المصدر والصفحة ذاتهما .
٦. ابن شاكر الكتبي ، المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ١٧٥ ؛ ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٤ ، ص ١٣٣ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ .
٧. العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٠٢-٢٠٣ .

ما بين الصخرة والمسجد الاقصى، بركة هائلة مرخمة جلب لها الماء من القناة التي فرح بها سكان القدس المسلمون اشد الفرح.[١] وقد لاقت قبة الصخرة، في عهد هذا الملك، نصيبها من الترميم والاصلاح حيث انه ذهّب قبتها[٢] التي كتب فيها من الداخل: " امر بتجديد وتذهيب هذه القبة مع القبة الفوقانية برصاصها مولانا ظل الله في ارضه القائم بسننه وفرضه السلطان محمد بن الملك المنصور الشهيد قلاوون، تغمده الله برحمته وذلك في سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨م)."[٣] وعمّر، هذا السلطان، القناطر التي على الدرجتين الشماليتين بصحن الصخرة.[٤] تجد على احدى هذه القناطر ثلاث بلاطات نقش على احداها " بسم الله الرحمن الرحيم. انما يعمّر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر. تكمل بلاط الحرم الشريف، وانشئت هذه القناطر في ايام مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاوون. وذلك في ثاني ربيع الاول سنة ست وعشرين وسبع مائة."[٥] وعلى البلاطة الثانية: " وكان فراغ هذا البلاط المبارك والقناطر المباركة."[٦] وعلى الثالثة: " بنظر العبد الفقير الى الله تعالى ... ناظر الحرمين الشريفين عفا الله عنه."[٧]

وكتب على قنطرة اخرى: " بسم الله الرحمن الرحيم. انشئت هذه القناطر المباركة في ايام مولانا السلطان الملك الناصر العادل محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاوون رحمه الله في جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين وسبعمائة."[٨]

---

١. ابن شاكر الكتبي، المصدر ذاته، ج ١، ص ١٧٥؛ الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٤٣٨.
٢. الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٤٣٨.
٣. العارف، المصدر ذاته، ص ٢٠٢.
٤. الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٤٣٨.
٥. العارف، المصدر ذاته، ص ٢٠٤.
٦. المصدر والصفحة ذاتهما.
٧. المصدر والصفحة ذاتهما.
٨. المصدر والصفحة ذاتهما.

ومن المباني التي انشئت بالقدس في عهد الناصر قلاوون خانقاه[١] ورباط ، اشرف على بنائهما الامير تنكز نائب السلطنة بالشام.[٢] ويستدّل من الكلمات المنقوشة على هذا الخانقاه انه كان به زاوية ومسجد ومدرسة.[٣]

وننهي حديثنا عن هذا الاهتمام الذي نالته مدينة القدس في عهد السلطان الناصر قلاوون، بمايذكره القلقشندي من ان الخراب الذي غلب على هذه المدينة " تراجع للعمارة وصارت في نهاية الحسن ، بها المدارس والرّبط والحمامات والاسواق وغيرها".[٤]

في سنة ١٣٨٢/٧٨٤ بدأت سلطنة الظاهر برقوق مؤسس دولة المماليك البرجية ٧٨٤-١٣٨٢/٩٢٣-١٥١٧. وقد تولى هذا السلطان الحكم مرتين المرة الاولى من سنة ١٣٨٢/٧٨٤ الى ١٣٨٨/٧٩١ ، والثانية من سنة ١٣٨٩/٧٩٢ الى ١٣٩٩/٨٠١.[٥] اما زيارة هذا السلطان للقدس فقد تمت في سنة ١٣٩٤/٧٩٧[٦] وفي عهده ابطلت المكوس والمظالم والرسوم التي احدثت قبله في مدينة القدس.[٧] وبنى قناطر جلب عليها الماء الى القدس في قناة تسمى قناة العروب[٨] وعمّر سنة ١٣٩٨/٨٠١ بركة للماء في ظاهر القدس تعرف ببركة السلطان.[٩] اما فيما يتعلق بالمساجد فقد بنى ، السلطان برقوق ، في مسجد الصخرة دكة للمؤذنين تقع تجاه محراب الصخرة الشريفة.[١٠] غير ان ما كتب على هذه الدكة يدلّ على انها جددت فقط في عهد

---

١. ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٤ ، ص ١٣٣.
٢. المصدر ذاته ، ج ١٤ ، ص ١٨٧.
٣. العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٠٥.
٤. القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٠١.
٥. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤٠.
٦. ابن الفرات ، تاريخ ، ج ٩ ، قسم ٢ ، ص ٣٩٧.
٧. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤٠-٤٤١.
٨. ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٢٩١ ، الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ص ٤٤٠.
٩. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤٠-٤٤١.
١٠. المصدر والصفحة ذاتهما.

هذا السلطان ، فقد نقش عليها : " بسم الله الرحمن الرحيم ، جددت هذه السدة المباركة بالصخرة الشريفة في ايام مولانا السلطان الملك الظاهر ابي سعيد برقوق خلد الله ملكه ... سنة ٧٨٩ هـ" (١٣٨٧م).[١]

ومن السلاطين المماليك الذين اهتموا بمدينة القدس ، وسجل لهم التاريخ آثارا حسنة فيها الملك الاشرف برسباي الظاهري ، الذي حكم حوالي ستة عشر عاما ٨٢٥-٨٤١/ ١٤٢٢-١٤٣٧م. في عهد هذا السلطان انشئت عدة مدارس في القدس[٢]. اما فيما يتعلق بالمسجد الاقصى فقد وضع هذا السلطان مصحفا كبيرا تجاه محراب هذا المسجد ، واوقف على هذا المصحف مالا لمن يقوم بالقراءة فيه ، ومالا لخادم يسهر على سلامة هذا المصحف من التلف.[٣] وبالاضافة الى ذلك اوقف برسباي مالا وضياعا لتصرف على مصالح المسجد الاقصى والصخرة الشريفة ونقش بذلك رخامة الصقت بحائط الصخرة.[٤] جاء في هذه الرخامة التي محيت بعض جملها : " ... واوقف جميع المتحصل ذلك برسم عمارة المسجد الاقصى الشريف والصخرة الشريفة واوقافهما وما فيه يرصد حاصلا بصندوق الصخرة الشريفة . ارصد ذلك جميعه برسم العمارة خالصا ارصادا صحيحا شرعيا بمقتضى المرسوم الشريف المعين تاريخه اعلاه . ورسم ان ينقش ذلك على الرخامة حسنة جارية في صحائف مولانا السلطان الملك الاشرف برسباي خلد الله ملكه على الدوام ما تعاقبت الشهور والاعوام ..."[٥]

من السلاطين الذين اهتموا بالقدس ولهم آثار فيها ايضا السلطان الظاهر خشقدم (حـ ٨٦٥-٨٧٢/ ١٤٦٠-١٤٦٧) بعد ان ابطل هذا السلطان المظالم التي كانت في مدينة القدس ونقش بذلك رخامتين الصقتا بحائط المسجد الاقصى ،[٦] ووضع في مسجد الصخرة الشريفة مصحفا كبيرا.[٧] ثم شرع في عمارة العين الواصلة من العروب الى القدس غير انه مات سنة ٨٧٢/ ١٤٦٧ قبل اكمالها.[٨]

---

١. العارف ، المصدر ذاته ، ص٢٠٨.
٢. انظر هذه الدراسة ص ١٤٦.
٣. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢، ص٤٤٢.
٤. المصدر والصفحة ذاتهما .
٥. العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٠٩
٦. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤٥.
٧. المصدر والصفحة ذاتهما .
٨. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٦١٨.

آخر السلاطين المماليك الذين اهتموا بمدينة القدس ولهم آثار فيها الملك الاشرف سيف الدين ابو النصر قايتباي الظاهري (حـ ٨٧٣-٩٠٢/١٤٦٨-١٤٩٦) . قام هذا السلطان بزيارة للقدس سنة ١٤٧٥/٨٨٠ ، وعلى الرغم من ان زيارته للقدس لم تطل اكثر من ثلاثة ايام فقد ازال ، في تلك الزيارة ، ما كان في القدس ومدينة الخليل من مظالم ، وتصدق فيهما بستة آلاف دينار.(١) وكذلك قام الاشرف قايتباي بترميم وتجديد في المسجد الاقصى ، تدلّ على ذلك الكتابة التي على واجهة المسجد وهي : " بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا ..... في ايام مولانا السلطان الملك الاشرف ابو النصر قايتباي امده الله بنصره." (٢) وفي عهد هذا السلطان ايضا دخلت المياه المجلوبة من عين العروب الى القدس سنة ١٤٨٣/٨٨٨ بعد ان دامت مدة عمارتها خمسة اشهر وخمسة عشر يوماً.(٣) ويذكر الحنبلي ان سكان القدس فرحوا بهذه القناة فرحا كبيرا وزينت المدينة ، ابتهاجا بذلك الانجاز ، ثلاثة ايام.(٤)

رأينا فيما سبق مدى اهتمام السلاطين المماليك بمدينة القدس ، ورأينا ان جل الانجازات العمرانية التي حصلت بتلك المدينة في العهد المملوكي ، كانت مركزة في عمارة او ترميم ابنية دينية وعلمية وخيرية . وهذه الظاهرة تدلّ على ان اهتمام المماليك بهذه المدينة المقدسة كان في الاساس ناتجاً عن اسباب دينية وذلك ، كما اشار دي مونبين ،(٥) لان الامور الدينية ، مثل الحوادث العسكرية تخدم مصالح سياسية .

---

١. ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ١١٢ .

٢. العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢١٠

٣. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦١٨ .

٤. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٦٢ .

٥. دي مونبين ، المصدر ذاته ، ص ١٧٧ ، حاشية رقم ٣ .

ج — اهتمام الدول المسيحية بمدينة القدس في العهد المملوكي ٠

رأينا فيما سبق مقدار الاهتمام الذي لاقته مدينة القدس من قبل سلاطين الدولة المملوكية ٠ ورأينا كيف ان اكبر نشاط سلاطين المماليك في تلك المدينة كان مركزا على انجازات ذات طابع ديني ٠ هذا الطابع الديني هو اهم مظاهر مدينة القدس ، التي اهتمت بها الممالك المسيحية بقدر ما اهتم بها السلاطين المماليك ٠ غير ان اهتمام الممالك المسيحية بتلك المدينة ، المقدسة عندهم مثل ما هي مقدسة عند المسلمين ، لم يتخذ اي مظهر عمراني ٠ وذلك لان المماليك كانوا يمنعون الطوائف غير الاسلامية من بناء او ترميم اي مبنى ديني لهم في مدينة القدس.[١] وان كان اهتمام المسيحيين بالقدس لم يتخذ اي مظهر عمراني في مدينة القدس في العهد المملوكي فانه اتخذ مظاهر اخرى نذكرها فيما يلي :

لما حكم المماليك مدينة القدس سنة ١٢٥٣/٦٥١ كان قد مرّ على خروج الصليبيين منها حوالي ستون سنة (٥٩٠-١١٩٣/٦٥١-١٢٥٣) وبالرغم من طول هذه المدة فان مدينة القدس بقيت مستهدفة لخطر الغزو المسيحي الاروبي ٠ فاكثر الرحالة الغربيين الذين اتوا لزيارة الشرق ، في العهد المملوكي ، كانوا يرمون من وراء زياراتهم معرفة امكانية اخضاع سوريا للنفوذ الاروبي.[٢] وكثرة التفاصيل التي يوردونها في كتاباتهم عن المدن والتحصينات والجيوش في هذه البلاد دليل على مقصدهم.[٣] واذا علمنا ان احدا من هؤلاء الرحالة لم يتخلف على زيارة القدس[٤] رأينا مقدار اهتمام هؤلاء الرحالة ، وبالتالي دولهم لاسترجاع المدينة المقدسة لحوزتهم ٠ ومهمة الرحالة الاروبيين في العهد المملوكي ، يذكرنا بمهمة زملائهم الذين سبقوا الغزو الصليبي لمدينة القدس سنة ٤٩٢ / ١٠٩٩ ، ذلك الغزو الذي كان مسبوقا باعداد وافرة من الحجاج والرحالة الاروبيين الذين مهدوا لذلك الاحتلال.[٥] ومن الملاحظ ان اهتمام الممالك المسيحية بهذه المدينة لم يقتصر على مثل تلك المساعي

---

١٠ فرانيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٢٥٠ ، ٢٥٥٠

٢٠ زيادة ، المصدر ذاته ، المقدمة ص ١٤٠

٣٠ المصدر والصفحة ذاتهما ٠

٤٠ المصدر والصفحة ذاتهما ٠

٥٠ مارغوليوث ، المصدر ذاته ، ص ٣٢٩-٣٣٠٠

المستترة بل اتخذ في بعض الاحيان شكلا صريحا . فقد وعد البابا غريغوريوس العاشر [١] اثناء زيارته لمدينة عكا سنة ١٢٧١/٦٧٠ ، وعد حشدا كبيرا من الصليبيين المحتفلين بزيارته ، ان يولي كل اهتمامه لاسترجاع المدينة المقدسة من ايدي المسلمين.[٢] واضاف انه لن ينسى استرجاع هذه المدينة المقدّسة قط ، وان فعل فليكن منسيا من قبل جميع المؤمنين.[٣]

ومن الاحداث التي حصلت في العهد المملوكي ، والتي تدل على اهتمام كل من المماليك والصليبيين الذين كانوا بمدينة عكا ، بمدينة القدس ، المعاهدة التي ابرمت بين الملك المنصور قلاوون وحكام مملكة عكا الصليبيين في سنة ١٢٨٣/٦٨٢ . فبالرغم من ان هذه المعاهدة تنص ان مدينة القدس هي من المدن الداخلة في حوزة الملك المنصور قلاوون [٤] نجد هذا السلطان يؤكد اكثر من مرة في نص هذه المعاهدة انه سلطان البيت المقدس.[٥] ونلاحظ في هذه المعاهدة ايضا ، ما يكنه الصليبيون من احترام وتقديس لتلك المدينة ، نستوضح ذلك من الايمان التي حلفها الحكام الفرنج بمملكة عكا والتي من جملتها انه ان خالف احدهم [٦] ما نصت عليه الهدنة فانه يحج ثلاثين مرة الى القدس حافيا حاسرا راجلا.[٧]

---

١. انتخب غريغوريوس العاشر (Gregory X) بابا سنة ١٢٧١/٦٧٠ وهو في عكا ؛ مارغوليوث ، المصدر ذاته ، ص ٢٧٣ .

٢. King, E.J., The Knights Hospitallers in the Holy Land, London, Methuen and Co., 1931, pp. 273-274.

سنذكر هذا المؤلف فيما بعد باسم كنج .

٣. المصدر والصفحة ذاتهما ؛ Michaud, J.F., Histoire des Croisades, 3 tomes, Paris, Imprimerie J. Claye, 1857, tome 3, p. 303.

٤. ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام ، ص ٣٤ـ٤٠ .

٥. المصدر ذاته ، ص ١٥٧ .

٦. ابن الفرات ، المصدر ذاته ، ج ٧ ، ص ٢٦٢ـ٢٦٥ .

٧. ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام ، ص ٩٥ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٩ .

ويمكننا ان نتبين الاهمية التي يوليها الصليبيون لمدينة القدس من الالقاب التي كانوا يطلقونها على انفسهم ايضا . فبالرغم من ان هذه المدينة كانت تحت حكم المماليك ، كان بعض ملوك الفرنج في عكا يلقب الواحد منهم نفسه " بملك البيت المقدّس والساحل." (١) وكذلك فعل هيوج الثالث(٢) ملك قبرص الذي احتل عكا سنة ١٢٨٤/٦٨٤ حيث كان يلقب نفسه بملك قبرص وبيت المقدس.(٣)

اما فيما يتعلق باهتمام الممالك الاروبية بمدينة القدس في العهد المملوكي فقد كان احيانا يتمثل في المعاهدات التي تنص على السماح للحجاج النصارى بالقيام بمناسك حجهم وضمان سلامتهم اثناء زيارتهم ، واحيانا يتخذ هذا الاهتمام صفة حربية ومحاولة احتلال القدس بالقوة .

في سنة ١٢٩٢/٦٩٢ ابرمت معاهدة بين الملك الاشرف خليل ابن الملك المنصور قلاوون وبين ملك الاراغون باسبانيا جاك الثاني.(٤) وقد ركزت هذه المعاهدة على ذكر المودة والمصادقة بين الملكين ، وكذلك ضمان سلامة النصارى الذين يزورون القدس بقصد الحج من بلاد الملك الاسباني وبلاد حلفائه واصدقائه من الفرنج ، فيسمح لهم في الزيارة والعودة الى بلادهم آمنين على انفسهم ومالهم.(٥) ووعد الملك الاسباني ، في هذه المعاهدة ، ان لا يكتب ولا يمضي لاحد من اعدائه ولا من اعداء الملك الاشرف في امر زيارة القدس.(٦) وهذه المعاهدة هي المعاهدة الوحيدة التي ذكرتها المصادر التي في متناول يدنا وُقّعت بين سلاطين المماليك واحدى الممالك الاروبية تتعلق بمدينة القدس .

---

١. ابن عبد الظاهر ، المصدر ذاته ، ص ١٤١ .

٢. هيوج الثالث (Hugh III)، الملقب نفسه بملك قبرص وبيت المقدس،لبس تاج الملك ، على اساس انه ملك بيت المقدس في مدينة صور سنة ١٢٦٩م ، كنج ، المصدر ذاته ، ص ٢٦٥ .

٣. ابن عبد الظاهر ، المصدر ذاته ، ص ١٤١ .

٤. كان حاكم الاراغون باسبانيا في ذلك التاريخ جاك الثاني (Jacques II)، الذي حكم من سنة ١٢٩١ الى سنة ١٣٢٧م. "Aragon", Grand Larousse Encyclopedique 10 Vols., Paris, Librairie Larbusse, 1960-1964.

٥. القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ١٤ ، ص ٦٣ ـ ٦٩ .

٦. المصدر والصفحات ذاتها .

اما الحادثة التي تدلّ على اهتمام الممالك الاروبية بمدينة القدس، هذا الاهتمام الذى بلغ في هذه المرة حدّ بعث جيش من اوروبا بقصد غزو القدس، فقد حصلت في سنة ٨٤٨/ ١٤٤٤ . يذكر السخاوى (ت ٩٠٢/ ١٤٩٧) ان جيشا مؤلفا من جميع امصار النصارى بالغرب، تجند فيه كل من يقدر على القتال منهم اتجه بعد تحضيره وتجهيزه الى الشرق بقصد الاستيلاء على بيت المقدس[١] . غير ان السلطان مراد بن عثمان[٢] تصدى لهذا الجيش ووقع القتال بين الجيشين يوم الاثنين ١٦ شوّال ٨٤٨/ ١٠ تشرين الثاني ١٤٤٤[٣] . وبعد قتال عنيف تغلب السلطان مراد على هذه الحملة وشتت جيشها شر تشتيت. يصف السخاوى هذه الواقعة بقوله: "كان قتال عظيم لم يعهد مثله في هذه الازمان قتل فيه من المسلمين اكثر من عشرة آلاف نفس ومن الروم اكثر من ذلك وكان النصر بعد ذلك للمسلمين حيث كسروا الآخرين كسرا محكما ... وامسكوا من الاسرى اكثر من عشرة آلاف نفس ... وان النصر الذى حصل لابن عثمان كان على خلاف القياس وذلك ان الكفار كان لهم مدّة في التجهيز لاخذ بلاد السواحل من المسلمين والتوكل الى الاستيلاء على بيت المقدس والعياذ بالله فاجتمع منهم من جميع امصارهم من يقدر على القتال ..."[٤] . وبهذه الهزيمة التي منيت بها جيوش الدول المسيحية الغربية انتهت محاولة استيلائهم على بيت المقدس بالقوة.

بعد ان ذكرنا مظاهر اهتمام كل من الصليبيين والممالك الاروبية بمدينة القدس في العهد المملوكي، يجدر بنا ان نضيف الى تلك الممالك المسيحية، التي اهتمت بالقدس في ذلك العهد،

---

١. السخاوى، التبر المسبوك، ص ٩٨—٩٩.

٢. هو السلطان العثماني مراد الثاني حكم الدولة العثمانية من سنة ٨٢٥/ ١٤٢١ الى سنة ٨٥٥/ ١٤٥١.

Creasy, Edward, S., History of the Ottoman Turks, Beirut, Khayat's, 1961, p. 70.

٣. يطلق على هذه المعركة معركة فارنا (The Battle of Varna).

٤. السخاوى، المصدر ذاته، ص ٩٨—٩٩.

مملكتين اخرتين احداهما آسيوية والاخرى افريقية . اما الاولى فهي مملكة الكرج.[1] حصلت بين هذه المملكة والدولة المملوكية في مصر عدة مراسلات تتعلق بمدينة القدس .

يذكر المقريزي ان في سنة ١٣٠٥/٧٠٥ قدم رسول مملكة الكرج بهدايا وتحف للملك الناصر محمد بن قلاوون وطلب منه ان يأمر بفتح كنيسة القيامة بالقدس للحجاج من الكرج . وعرض هذا الرسول على السلطان المملوكي ، مقابل ذلك ، ان تكون مملكة الكرج حليفة " في طاعة السلطان وعونا له متى احتاج اليهم. "[2] فما كان من الناصر الّا ان وافق على ذلك وامر بفتح كنيسة القيامة للكرج[3]. وقد تجدد هذا الاتفاق مرّة ثانية مع مملكة الكرج في عهد الناصر ايضا سنة ١٣١٠/٧١٠م.[4]

اما البلاد الافريقية المسيحية التي كان ملوكها يولون مدينة القدس اهمية متواصلة في العهد المملوكي فهي بلاد الحبش . كانت علاقات ملوك الحبش مع السلاطين المماليك تتأثر سلبا وايجابا بقدر ما يكون للحجاج والمتعبدين الاحباش النصارى الذين يزورون القدس من سلامة في نفوسهم واموالهم .

يذكر ابن عبد الظاهر انه في سنة ١٢٨٧/٦٨٦ ، في سلطنة الملك المنصور قلاوون ، بعث احد سلاطين الحبش كتابا باللغة الحبشية الى الرهبان الحبش المتعبدين في كنيسة القيامة ينوّه فيه بصبرهم على الزهد والعبادة ، ويطلب منهم ان يذكروا اسمه في القداس والصلوات اليومية " سلام عليكم يا رهبان الحبوش الذين صبروا على العبادة والزهد الى هذه الايام ، وصبرتم على الحرّ والبرد .

---

١. الكرج : (Kurdj) ، ومنها جورجيا ، وهي بين جبال القبج من الشمال وارمينية وايران من الجنوب ، واسمها مشتق من نهر الكير (Cyrus) ، وهي اقليم القوقاز الآن . انظر مراد كامل محقق كتاب تشريف الايام والعصور لابن عبد الظاهر ، ص ٢٣ .

٢. المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، قسم ١ ، ص ٩١٧ .

٣. المصدر والصفحة ذاتهما .

٤. المصدر ذاته ، ج ٢ ، قسم ١ ، ص ٩١٠ .

وقد سيرت لكم ثوب احمر ديباج ، ومائة شمعة ، وثيابي وهو زناري الذي تلبسه السلاطين ، حتى تلبسونه وقت القربان : ما هو كل يوم ، الا من يوم العيد الى يوم العيد ، ولا يلبسه الا القسيس الذي يعمل القربان ، فعرّفوني بوصول هذا ، واكتبوا اسماءهم ، واذكروني في صلواتكم ، بدعواتكم ، واقبلوا ما سيرته فهو في سوير سلطاني ، وزناري ولا تنسوني كل يوم." (١)

وفي هذه السنة ذاتها وصل قاصد سلطان الحبشة الى القدس وفي يده مرسوم من الملك المنصور قلاوون يأمر فيه بان يسمح لجميع النصارى بالدخول الى كنيسة القيامة ، فسلّم مفاتيح هذه الكنيسة " ودخل هو وجميع طوائف النصارى بغير كلفة ولا بذل." (٢) وبعد ثلاث سنوات من زيارة قاصد سلطان الحبشة للقدس وردت الى القاهرة سنة ١٢٩٠/٦٨٩ رسل ملك الاحباش للسلطان المنصور قلاوون ومعهم حربة مذهّبة هدّية للسلطان المملوكي ورسالة يطلب فيها ملك الحبش من المنصور عدم منع الرهبان الحبوش المقيمين بالقدس من زيارة الهياكل ، وان يحمي النصارى في بلاد الاسلام.(٣) ومقابل ذلك يتعهد ملك الحبشة ، في رسالته ، بان يحمي المسلمين القاطنين في مملكته قائلا : " وانني احفظ المسلمين في جميع مملكتي ، ومولانا يحفظ النصارى في بلاده ، حتى نصير مشورة واحدة ، وتتواصل الرسل من الجهتين."(٤) وكان مع هؤلاء الرسل هدايا الى الحبش المقيمين في القدس هي " ثوب عمل الحبشة ، ومائة شمعة للوقود في الهياكل." (٥)

يظهر انه حصل الاتفاق بين الملكين فيما يتعلق بمضمون رسالة ملك الحبشة ، فالمصادر التي في متناول يدنا ، لم تذكر شيئا حصل بين سلاطين الحبشة وسلاطين المماليك ، يتعلق بمدينة القدس ، الا بعد مدة تزيد عن القرن والنصف . وذلك عندما يذكر السخاوي(٦) نص رسالة بعث بها ملك الحبشة ، الى السلطان الظاهر ابن سعيد جقمق في سنة ١٤٤٣/٨٤٧ ، في هذه الرسالة يطلب ملك الحبشة من السلطان الظاهر ان يسمح للحبوش القاطنين بالقدس بعمارة قبر لدفن احد موتاهم .

---

١. ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام ، ص ١٧٣ .
٢. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ص ٦٥٧ .
٣. ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام ، ص ١٧٠ .
٤. المصدر ذاته ، ص ١٧٠ .
٥. المصدر والصفحة ذاتهما .
٦. السخاوي ، التبر المسبوك ، ص ٧١ .

ويذكر ملك الحبشة في رسالته انه لا يعارض في بناء الجوامع والمساجد في مملكته ، ثم يدعو السلطان الظاهر ان يوصي بحماية النصارى الذين في مملكته حتى تتم المودّة بين السلطانين " فنحن [ملك الحبشة] في سائر ممالكنا نأمر باجهار النداء بعمارة الجوامع والمساجد والقصد من عظمة سلطانكم ان تتوصّوا غاية الوصية باخوتي النصارى لتصير بيننا المودة وتفرح في ايام سلطنتكم الرعية بعد السلام الوافي التام ..."(١) ويظهر ان هذا الوفد قد نجح في مهمته حيث يذكر الحنبلي في اخبار سنة ١٤٥٢/٨٥٦ ، ان هذه الطائفة الحبشية بالقدس كان بها اعتناء من الدولة المملوكية .(٢)

وآخر وفد حبشي ، تتعلق مهمته بمدينة القدس في العهد المملوكي ، وصل القاهرة سنة ١٥١٦/٩٢٢ . كان هذا الوفد حاملا لرسالة من ملك الحبشة الى السلطان الملك الاشرف ابي النصر قانصوه الغوري يطلب منه الا يمنع الحجاج الحبشيين المصاحبين للوفد من زيارة كنيسة القيامة بالقدس.(٣) ويذكر ابن اياس ان السلطان قانصوه الغوري اعجبته الالفاظ الحسنة والنعوت العظيمة التي وصفه بها ملك الحبشة ، فامر باكرامهم والمحافظة على سلامتهم ، وبعد ان قضوا في القاهرة ثلاثة ايام سافروا جميعا الى القدس ليزوروا كنيسة القيامة.(٤)

د . قناصل الممالك المسيحية بالقدس في العهد المملوكي .

كانت مهمة استقبال الحجاج النصارى في الاراضي المقدسة ، ومرافقتهم في زياراتهم مدة حجهم ، مناطة الى رئيس دير جبل صهيون بالقدس.(٥) وكان هذا الرئيس يعتمد في القيام بهذه

---

١. المصدر ذاته ، ص ٧١ .
٢. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٠١ .
٣. ابن اياس ، المصدر ذاته ، ج ٥ ، ص ١٢ .
٤. المصدر والصفحة ذاتهما .
٥. Prescott, H.F.M.(ed.) , Jerusalem Journey, Pilgrimage to the Holy Land in the Fifteenth Century, London, Butler and Tamer, 1954, p. 102.

المهمة ، على كفالته وعلاقاته الشخصية وسمعة مركزه الديني ، في صورة ما اذا لم تكن هناك اية دولة مسيحية تسنده في القيام بمهمته هذه .(١)

اما وجود قنصل ، يمثل دولة اجنبية بصفته الرسمية في القدس ، فانه لم يتم الا سنة ٨١٨/ ١٤١٥ . وذلك عندما تحصل حكام البندقية على موافقة من السلطان الملك المؤيد (حـ ٨١٥ـ٨٢٤/ ١٤١٢ـ١٤٢١) في اقامة قنصل من البندقية في مدينة القدس.(٢) وفي سنة ٨٣٥/ ١٤٣١ حصلت جنوة ايضا على موافقة من السلطان الملك الاشرف برسباي في اقامة قنصل جنوي في مدينة القدس (٣) . واذا تتبعنا تاريخ هذين القنصلين فاننا نجد ان عملهما في العهد المملوكي ، كان لا يتعدى حدود خدمة الحجاج النصارى والعمل على حمايتهم .(٤)

ويرجع وجود قنصليين جنوي وبندقي فقط ، في مدينة القدس في العهد المملوكي ، الى كون هاتين الدولتين لهما عدد من السفن تقوم بنقل الحجاج الى الاراضي المقدسة وبذلك تعيّن على هاتين الدولتين الاروبيتين ، اقامة قناصل في القدس تسهر على سلامة الحجاج في الاراضي المقدسة.(٥)

هـ . الاحـــداث الخارجـــية والغـــارات .

لقد تعرّضت مدينة القدس في العهد المملوكي الى غزوات وغارات متعددة . أولى هـــذه الحوادث حصلت نتيجة خلاف جديد حصل بين الايوبيين والمماليك .

لقد سبق واشرنا الى ان السلطان المعز أيبك ، مؤسس دولة المماليك الاولى ، اصطلح في سنة ١٢٥٣/٦٥١ ، مع الامراء الايوبيين ، وعلى رأسهم الناصر صلاح الدين الايوبي صاحب دمشق ،

---

١. المصدر والصفحة ذاتهما .
٢. هايـد ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٦٧ .
٣. برسكوت ، المصدر ذاته ، ص ١٠١ ؛ هايد ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٦٧ .
٤. المصدر والصفحة ذاتهما .
٥. هـايد ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٦٧ .

على ان يكون للمماليك الى نهر الاردن وللايوبيين ما وراء ذلك وان يدخل فيما هو للمصريين الساحل الشامي ومدينة القدس .

بقي هذا الصلح جاري المفعول الى ان قتل الملك المعز عز الدين ايبك على يد زوجته شجر الدرّ سنة ١٢٥٧/٦٥٥ وتولى الملك من بعده ابنه علي ولقب بالملك المنصور نور الدين . وكان المنصور بن ايبك طفلا صغيرا فاقيم الامير سيف الدين قطز نائبا له.(١) غير ان قسما من المماليك البحرية كره هذا الاجراء ولم يرضوا به فثاروا في مدينة القدس ، وطلبوا من واليها سيف الدين كبك ان يكون معهم ضد مماليك مصر ، غير انه امتنع ، فاعتقلوه وخطبوا بالقدس للملك المغيث ملك الكرك.(٢) وعند التقاء جيش المغيث بالجيش المصري ، الذي كان تحت قيادة الامير سيف الدين قطز ، في ذي القعدة سنة ٦٥٥/ تشرين الثاني ١٢٥٧ كانت الهزيمة في صف جيش المغيث الذي رجعت فلوله بقيادة بيبرس الى الكرك.(٣) وبالرغم من هذه الهزيمة ، فان الملك المغيث لم ييأس ، فقاد في السنة التالية جيشا آخر ، وقصد استرجاع مصر ، فالتقى هذا الجيش بالجيش المصري بقيادة قطز في الصالحية . وكانت الغلبة على المغيث الذي نُهب معسكره وخيامه.(٤)

عدى هذه الحادثة التي كانت اول حادثة تخرج فيها مدينة القدس ، لمدة بضعة اشهر ، عن حكم الدولة المملوكية في مصر ، سجلت لنا كتب التاريخ عددا من الغزوات والفتن التي تعرضت لها تلك المدينة في العهد المملوكي .

---

١. المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٠٥ .

٢. ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤٥ .

٣. ابن خلدون ، العبر ، ج ٥ ، ص ٧٨٨ ـ ٧٨٩ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٠٦ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤٥ .

٤. ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٩٥ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤١١ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤٥ ـ ٤٦ .

كانت البلاد الشامية في العهد المملوكي هدفا لعدد من الغزوات المغولية . اول هذه الغزوات تلك التي انتهت بانتصار المماليك ، بقيادة كتبغا ، على جيوش التتار في معركة عين جالوت سنة ١٢٥٩/٦٥٨ . ومن اهم الغزوات التي تلت ذلك الزحف المغولي الاول ، غزوة غازان سنة ١٢٩٩/٦٩٩ وغزوة تيمورلنك سنة ١٤٠٢/٨٠٥ ، وهذان الزحفان كان لهما اثر في مدينة القدس في ذلك العهد .

في سنة ١٢٩٩/٦٩٩ سار ملك التتار غازان بن ارغون ، في جموع كبيرة من التتار والمغل والكرج والترك وغيرهم ، وعبر الفرات ثم استولى على حلب وحماة . ولما علم الملك الناصر محمد بن قلاوون بذلك ، خرج على رأس جيش كبير من مصر ونزل به بظاهر مدينة حمص،[١] فاحتاط غازان من الجيش الاسلامي وراوغه حتى ادركه الليل ثم هجم غازان بجيشه مرة واحدة على العساكر الاسلامية التي منيت بالهزيمة التامة ، ففرت فلولهم بقيادة الملك الناصر الى مصر.[٢] عندما انهزم المصريون ساق جيش غازان وراءهم حتى استولى التتار على " دمشق... وغزة والقدس وبلاد الكرك وغنموا من الجفال شيئا عظيما."[٣]

وغزو غازان هذا هو ، اعتماداً على ما لدينا من معلومات ، اول وآخر غزو تتري يصل مدينة القدس في العهد المملوكي .

اما غزوة تيمورلنك للشام ، التي احتل فيها دمشق سنة ١٤٠٢/٨٠٥ ، فانها لم تصل القدس وانما ادخلت على سكان تلك المدينة فزعا بالغا نتيجة خوفهم من استمرار الغزو التيموري الكاسح فيشمل مدينتهم . وفي غمرة هذا الخوف اجتمع علماء القدس ، واختاروا من بينهم الشيخ الصالح المتعبد محمد فولاد بن عبد الله ، وجهزوه بمفاتيح الصخرة الى تيمورلنك ساعة كان بدمشق.[٤] فلما كان هذا الشيخ

---

١. ابو الفداء ، المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ٤٢ .

٢. المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ٤٢–٤٣ ؛ المؤرخ المجهول (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م) ، تاريخ سلاطين المماليك ، حققه زيتر ستين ، ليدن ، بريل ، ١٩١٩م ، ص ٧٤ ؛ ابن الوردي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

٣. المصدر والصفحة ذاتهما .

٤. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥١٤ .

في طريقه الى دمشق بلغه جلاء تيمور عنها .. فرجع الشيخ محمد الى مدينته مبشرا بالنجاة[١]. ففرح سكان القدس وزينوا المدينة ، ابتهاجا بالبشرى ، اياما عديدة ، وقام الشيخ محمد بعد نجاة المدينة بستين حجة غالبها ماشيا على قدميه " وصار من اعيان الصلحاء المتورعين المشار اليهم بالصلاح ~~بالصلاح~~ بالقدس ومكة وغيرهما "[٢].

وبالاضافة الى ما حصل في مدينة القدس نتيجة غزو التتار ، فقد استهدفت ، تلك المدينة في العهد المملوكي ، الى غارات قام بها البدو ادت الى انعدام الامن في المدينة مرات عديدة .

كانت القبائل البدوية الضاربة في المناطق المتاخمة لمدينة القدس مصدرا للاضطراب ومورد ا للفتن . يذكر المقريزي ان البدو القاطنين في البلاد المجاورة لمدينة القدس افسدوا في سنة ١٣٤٦/٧٤٨ تلك المنطقة من كثرة الفتن التي كانت تقوم بين بعضهم البعض ، وكثرة انتشار قطاع الطريق فيها[٣]. ويظهر ان الفتن والاضطرابات التي كان يقوم بها البدو في المناطق المجاورة للقدس ، كانت وسيلة يرتزقون منها في سنوات القحط والغلاء . ففي السنة نفسها ، ١٣٤٦/٧٤٨ ، كما يذكر المقريزي ، انتشر الغلاء وارتفعت الاسعار ، في المناطق المجاورة للقدس ، الى مثلي ثمنها.[٤] ويظهر ان ارتفاع الاسعار امتد سنة اخرى ، فقام هؤلاء البدو ، سنة ١٣٤٧/٧٤٩ ، بغارات شديدة على مدينة القدس ذاتها ، واحدثوا فيها من النهب والسلب شيئا كثيرا[٥].

وبعد فتنة سنة ٧٤٩ هـ هذه ، لا يسجل المؤرخون شيئا عن مثل هذه الغارات التي كان يقوم بها البدو على مدينة القدس الى سنة ١٤٨٠/٨٨٥ . في هذه السنة اراد نائب القدس ناصر الدين بن ايوب ان يجعل حدا للغارات والفتن التي يقوم بها البدو على المدينة ، فقبض على

---

١. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥١٤ .
٢. المصدر والصفحة ذاتهما .
٣. المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، قسم ٣ ، ص ٧٤٠ .
٤. المصدر والصفحة ذاتهما .
٥. المصدر ذاته ، ج ٢ ، قسم ٣ ، ص ٧٩٨ ، ٨٠٤ .

جماعة من بني زيد وقتلهم.[١] غير ان هذا الاجراء من قبل نائب القدس ، لم يكن رادعا للبدو كما كان يتوقع ، حيث كان رد فعلهم على ذلك ان ثارت ثائرة جماعة المقتولين وعصبتهم الذين اعتزموا الانتقام . فهجم عدد كبير منهم على المدينة وراحوا يضيقون الخناق على النائب لمسكه وقتله . ولما علم ناصر الدين بن ايوب بما يجري في المدينة فرّ من منزله ، فوجد نفسه محاطا بالقوم . ولم ينجح الّا بعد ان اجتاز المسجد الاقصى ، وهو راكب حصانه الى خارج المدينة.[٢] ولما لم يتمكنوا من الانتقام منه ، راحوا الى السجن فكسروا بابه واخرجوا المسجونين منه.[٣] ثم راحوا يصولون في الشوارع والاسواق فبادر التجار الى تهريب ما في حوانيتهم . وقد قتل في هذه الغارة ثلاثة اشخاص عدى الجرحى ثم "شرع العرب في قطع الطرق وايذاء الناس ، وحصل الارجاف في الناس واغلقت الاسواق والمنازل خشية النهب وكانت فتنة فاحشة".[٤]

ومن الفتن التي حصلت بالقدس ، وصاحبتها غارات البدو والعشائر على هذه المدينة ، فتنة وقعت في سنة ١٤٧٣/٨٧٨ في عهد السلطان قايتباي . اول هذه الفتنة كان خلافا حصل بين طائفتين قاطنتين بالقدس : طائفة الدارية وطائفة الاكراد ، ثم تطوّر هذا الخلاف الى قتال نتج عنه مقتل ثمانية عشر نفرا من الفريقين.[٥] ولم تنته عند هذا الحد بل استنفرت كل من الطائفتين من ينتصر لها من العشير البدو ، فاغار هؤلاء على المدينة وعملوا فيها نهبا وتخريبا .

---

١. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٥٦ .
٢. المصدر والصفحة ذاتهما .
٣. المصدر والصفحة ذاتهما .
٤. المصدر والصفحة ذاتهما .
٥. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٣٢ .

يصف الحنبلي ما حصل في مدينة القدس من جراء هذه الغارة بقوله : " قدخلوا الى المدينة ونهبوا ما فيها عن آخره الا القليل منها وخربت اماكن ... وكانت حادثة فاحشة لم يسمع بمثلها في هذه الازمنة "(١)

اما آخر غزو يحصل لمدينة القدس في العهد المملوكي ، فهو الغزو الذى قام به السلطان العثماني سليم الاول في سنة ١٥١٦/٩٢٢ ، وهو الذي انتهى بسيطرة العثمانيين على الشام في سنة ١٥١٦/٩٢٢ وعلى مصر سنة ١٥١٧/٩٢٣ . وقد كانت معركة مرج دابق ، التي وقعت في شعبان ٩٢٢/ آب ١٥١٦ بين الجيش العثماني بقيادة السلطان سليم الاول والجيش المملوكي بقيادة السلطان قانصوه الغوري ، معركة فاصلة انتهى بانتهائها الحكم المملوكي في سوريا . فقد تمت بتغلب جيش السلطان العثماني على جيش السلطان المملوكي الذي قتل في ساحة القتال بمرج دابق(٢) اما السلطان سليم فبعد ان احرز الانتصار الفاصل في تلك المعركة دخل دمشق ثم سار الى فلسطين فدخل مدنها بغير قتال ومنها مدينة القدس التي دخلها في شهر ذي القعدة سنة ٩٢٢/ تشرين الثاني ١٥١٦م(٣) واثناء اقامته في القدس التي دامت ثلاثة ايام زار قبور الانبياء والاماكن المقدسة والآثار القديمة ثم غادرها الى مصر التي فتحها في السنة التالية ، سنة ١٥١٧/٩٢٣ .

---

١. المصدر والصفحة ذاتهما .
٢. مارغوليوث ، المصدر ذاته ، ص ٢٢٥ .
٣. ابن اياس ، المصدر ذاته ، ج ٥ ، ص ١٣٦ ، سركيس ، المصدر ذاته ، ص ١٩٠ .

الفصـــــل الرابـــــــع

الادارة والوظـــائف في مدينـة القـدس

كانت ادارة مدينة القدس تناط في العهد الايوبي بامير من امراء السلطان يطلق عليه لقب والي [١]. اما في العهد المملوكي فقد تضاربت روايات المؤرخين في ضبط السنة التي صارت فيها ولاية مدينة القدس نيابة . فالقلقشندي يحدد ذلك بسنة ١٣٧٥/٧٧٧ [٢] وابن ثغري بردي ، الذي يلقب القائم بهذه الوظيفة ـ بالنائب ـ يحددها بسنة ١٣٠٩/٧٠٩ [٣] وكذلك فعل الحنبلي في ذكره لنائب القدس في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون (ت ١٣٤٠/٧٤١) [٤]. غير اني ارجّح تحديد سنة ١٣٧٥/٧٧٧ ، على انها السنة التي وقع فيها تحويل ولاية القـــدس الى نيابة ، على ما ذكره ابن ثغري بردي والحنبلي . وذلك للاسباب التالية : ١) القلقشـــندي اقرب ، زمنيا ، (ت ١٤١٨/٨٢١) للحوادث التي جرت في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي من ابن ثغري بردي (ت ١٤٧٠/٨٧٤) ، والحنبلـي (ت ١٥٢٠/٩٢٧) . ٢) ان القلقشندي في كتابه صبح الاعشى في صناعة الانشا كان يهتم بالادارة في الدرجة الاولى ، فـــي حال ان ابن ثغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة ، والحنبلي في كتابه الانـــس الجليـــل ، كانا لا يهتمان بالادارة ، والتأريخ لها ، اهتمام القلقشندي . ٣) ان ابن ثغري بردي والحنبلي ذكرا وظيفة ـ نائب ـ مقرونة باسماء بعض من قام بهذه الوظيفة [٥]. في حال ان القلقشـــندي يذكر هذا التحويل بصريح القول حيث يذكر ان القدس "... كانت في الزمن المتقدم ولاية صغيرة وان النيابة استحدثت فيها سنة ٧٧٧ هـ (١٣٧٥م)" [٦]. ويؤكد ذلك مرة اخرى قائلا " وقد تقـدم انها [القدس] كانت في الزمن المتقدم ولاية صغيرة ... ثم استقرت نيابة" [٧].

---

١. الحنبلـي ، المصدر ذاتـه ، ج ٢ ، ص ٦٠٤ـ٦٠٥ .
٢. القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٧ ، ج ١٢ ، ص ١٠٤ .
٣. ابن ثغري بردي ، النجـوم الزاهـرة ، ج ٨ ، ص ٢٥٨ .
٤. الحنبلـي ، المصـدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٠٧ .
٥. ابن ثغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٥٨ ، الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٠٧ .
٦. القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ١٩٧ .
٧. المصـدر ذاته ، ج ١٢ ، ص ١٠٤ .

وكان تحت امرة نائب السلطنة بمدينة القدس ، عدد من الموظفين . يمكننا تقسيمهم الى ثلاثة انواع : ارباب السيوف ، ارباب الاقلام واصحاب الوظائف الدينية .

أ - ارباب السيوف

١. نائب السلطنة : كان يمثل السلطان وينوب عنه في المملكة او المدينة التي يعين فيها . يصفه العمري (ت ٧٤٢/١٣٤١) بانه " سلطان مختصر فيما هو ناء عن الحضرة ، وان النائب هو المتصرّف المطلق في كل امر"[١] . ويذكر هذا المؤلف ان من واجبات النائب ومسؤولياته انه يراجع في كل ما يتعلق بشؤون الجيش والمال وهو المسؤول عن البريد والاخبار[٢] ، وهو رئيس الموظفين في نيابته ومرجعهم " وكل ذي وظيفة في نيابة لا يتصرف الا بامره ، ولا يفصل امرا معضلا الا بمراجعته ... ويرتب في الوظائف"[٣] .

ومن واجبات النائب مانستخلصه من كتب التقليد التي كان يصدرها السلطان عند تعيينه لنائب جديد ، اذ نجد فيها ان من واجبات النائب ايضا : تعظيم الشرع الشريف والعمل على اعلاء كلمته ، تأليف قلوب الرعية على حب السلطان ، حماية المملكة التي يحكمها وحماية اهل الذمة فيها ما داموا طائعين ، وتأديبهم اذا خرجوا عن الطاعة .[٤] اما القلقشندي فيزيد على هذه المسؤوليات ذاكرا ان النائب له ايضا صلاحية تولية ولاة الاعمال ، وتولية صغار النواب كالتولية على القلاع والمدن الصغيرة[٥] ، وكذلك للنائب ان يولي من يشاء في الوظائف العادية ، مثل وظائف زعماء اهل الذمة "من رئاسة اليهود وبطركية النصارى"[٦] .

بالاضافة الى هذه الصلاحيات ، التي كانت تناط بالنواب عامة ، كان نائب القدس في العهد المملوكي يقوم بواجبات اخرى . منها انه كان ، ابتداء من سنة ٧٧٧/١٣٧٥ السنة التي احدثت فيها نيابة القدس ، يقوم بمهام نيابة مدينة الخليل مضافة الى نيابة مدينة القدس[٧] رسميا

---

١. العمري ، مسالك الابصار ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .
٢. المرجع والصفحة ذاتهما .
٣. المرجع والصفحة ذاتهما .
٤. القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ، ص ٢٢٩-٢٣٢ .
٥. المصدر ذاته ، ج ١٢ ، ص ٢٨١ .
٦. المصدر ذاته ، ج ١٢ ، ص ٦ .
٧. القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ١٩٩ .

بعد ان كانت ، اضافة مدينة الخليل اداريا للقدس ، مجرّد عادة جارية [١] . وبذلك صار نائب القدس يلقب " بنائب السلطنة بالقدس الشريف وبلد سيدنا الخليل "[٢] .

ومن صلاحيات والي القدس ايضا انه كان يعمل ، بجانب عمله كنائب للسلطنة بالقدس والخليل ، ناظرا للحرمين الشريفين وهما حرم المسجد الاقصى بالقدس ومسجد الخليل بمدينة الخليل . ولم تنفصل وظيفة ناظر الحرمين الشريفين عن صلاحيات نائب السلطنة بالقدس الّا في سنة ١٤٠٥/٨٠٨ ، وذلك عندما زار السلطان الناصر فرج مدينة القدس ، ورسم بألا يكون نائب القدس ناظرا للحرمين الشريفين.[٣] وقد تأكد هذا الاجراء مرة ثانية في سنة ١٤٣٩/٨٤٣ عندما ولّى السلطان الملك الظاهر جقمق ، القاضي غرس الدين خليل بن احمد بن محمد بن عبد الله السخاوي نظر الحرمين . فخرجت بذلك هذه الوظيفة من واجبات نائب السلطنة بالقدس.[٤] وبعد هذا التاريخ ، سنة ١٤٠٥/٨٠٨ ، صار نائب القدس الذي كان يطلق عليه لقب " والي نظر الحرمين ونيابة السلطنة بالقدس الشريف وبلد سيدنا الخليل "[٥] ، يلقب بـ" نائب القدس والخليل "[٦] فقط .

ومن المهام التي كانت تناط بنائب القدس ايضا اهتمامه بالحجاج النصارى الذين كانوا يأتون لزيارة القدس ، فقد كان يستقبلهم عند نزولهم من السفن المقبلة لهم في ميناء مدينة يافا[٧] ويعين لهم حرسا يحميهم اثناء تنقلاتهم بالاراضي المقدسة.[٨]

---

١. المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ١٩٧ .
٢. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ١٠٨ ، ١١٠ .
٣. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤١ .
٤. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦١١ .
٥. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٦٠٨ .
٦. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦١١ ، ٦٤٧ .
٧. بريسكوت ، المصدر ذاته ، ص ١٠٣ .
٨. كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٢٦٦ ، ٢٨٠ .

ومن الجدير بالذكر ان نيابة القدس بعد ان استحدثت سنة ٧٧٧/١٣٧٥ كانت نيابتها امرة طبلخانة ، وهذا الصنف من الامراء كان يقوم بخدمته اربعون مملوكا[١] " تدق ببابه ثلاثة احمال طبلخاناه ونفيران "[٢] وكان يراعى عند تقليد نائب للسلطنة في مدينة القدس ان يكتب له مرسوم سلطاني على ورق من نوع " قطع الثلث "[٣] وهذا النوع من المراسيم كان يصدر لصغار النوّاب[٤] ، ويبتدئ بالحمد لله ثم امّا بعد.[٥] والالقاب التي تستعمل في هذا المرسوم هي الالقاب الملحق بها ياء النسبة مثل : " السلطاني ، والملكي ، والاميري .... والصدري ، والاجلّي ، الكبيري ..."[٦]

اما فيما يتعلق بدار النيابة بالقدس في العهد المملوكي ، فان المراجع المتوفرة لدينا لا تأتي على ذكرها قبل سنة ١٤٨٦/٨٩٢ . غير انه من المرجح ان نائب السلطنة كان يتخذ قلعة القدس دارا للنيابة[٧] واول ذكر لهذه الدار ، كمبنى مستقل بذاته ، اورده الحنبلي في مجرى حديثه عن الاصلاحات التي ادخلها نائب القدس ، الامير خضر بك ، سنة ١٤٨٦/٨٩٢ على دار النيابة ، قائلا " ثم دخلت سنة ٨٩٢ وفيها عمّر الامير خضر بك نائب القدس بدار النيابة المقعد الملاصق لايوان الحكم من جهة بالشمال وجعله على طريقة مجالس الحكام بالديار المصرية وسقفه بالخشب المدهون ، وكان قبل ذلك جلوس النائب بصدر الايوان فصار جلوسه بالمقعد وهو اولى من النظام الاول "[٨]

---

١. الظاهري ، زبدة كشف المماليك ، ص ١١٣ .
٢. المصدر والصفحة ذاتهما .
٣. القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ١٢ ، ص ١٠٤ .
٤. المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٩١ .
٥. المصدر ذاته ، ج ١١ ، ص ٢٠٤
٦. المصدر ذاته ، ج ٥ ، ص ٥٠٣ ؛ ج ١٢ ، ص ١٠٤ .
٧. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ .
٨. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٦٨ .

اما مسكن النائب فيصفه كازولا الذي زار القدس في سنة ١٤٩٤/٩٠٠ قائلا ان بيت نائب القدس هو اجمل المنازل واكثرها اتقانا في تلك المدينة.[١] اما في عهد الحنبلي (ت٩٢٧/ ١٥٢٠) فقد كان مسكن نائب السلطنة بالقدس في مدرسة بتلك المدينة كانت تدعى المدرسة الجاولية.[٢]

٢. والي القلعة، ويسمى احيانا نائب القلعة.[٣] كانت هذه الوظيفة تأتي بعد نائب السلطنة في الاهمية، ووالياها جندي كانت تتم توليته من جانب نائب السلطنة بدمشق.[٤] ولما استحدثت وظيفة نيابة في القدس سنة ١٣٧٥/٧٧٧ صار نائب القدس هو الذي يعيّن والي قلعتها.[٥] وفيما يلي مرسوم تولية شخص اسمه شرف الدين موسى الرّدّدي نيابة قلعة القدس. وقد رأيت نقل نص هذا المرسوم لانه النص الوحيد الذي ذكرته المراجع لتولية هذه الوظيفة:

" رسم ... — لا زالت ولاة ايامه عالية الشرف، سامية المستشرف آوية من جنات خير الدنيا والآخرة الى غرف من فوقها غرف — ان يستقر المجلس السامي ... علما باهتمامه الوفي، واعتزامه المتيقّظ اذا نام حد المشرفي؛ واستنادا الى رأيه الذي يقول نجمه الطالع: " ما ابعد العيب والنقصان من شرفي "؛ وارشاد سعيه الى ان اتخذ من الارض المقدسة دارا، ومن حرمه الشريف جارا بوقاد ذهنه وشجاعته اللذين آنس بهما من جانب الطور نارا؛ وكيف لا وقد قالت همته: يا موسى اقبل ولا تخف، واخرج يدك البيضاء في النيابة تكن احق من اغترف بها الاحسان واعترف. فليباشر ما فوّض اليه مباشرة يعلو بها شرف اسمه ومسمّاه، ويبدو للاختيار والاختبار فضل التقدم الذي اذا بدا له كفاه، وليجرِ بهذه الرتبة رأيا حسن الاحكام، وليواظب على حفظ هذه القلعة التي فتح بها عليه فانها من اعظم فتوح الاسلام، وليمدّ عليها من كفايته سورا حول سورها، وليتفقد رجالها وعددها تفقد الشهب في ديجورها، وليردّ عنها بعزمه الردّ ادّي عيون الاعادي الزّرق حتى لا يراع في ارض الحرم ولا حمامات طيورها. وليشكر نعمة أوته الى هذه

---

١. كازولا، المصدر ذاته، ص ٢٥١.
٢. الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٣٩٠، ٦٠٧.
٣. المصدر ذاته، ج ٢، ص ٤٠٥؛ ديمومبين، المصدر ذاته، ص ١٧٧، حاشية رقم ٧.
٤. القلقشندي، المصدر ذاته، ج ٤، ص ١٩٩.
٥. المصدر والصفحة ذاتهما.

المنازل الطاهرة ، وليقرب ليد آمله طلب خير الدنيا والاخرة . وليقدم من الوصايا تقوى الله التي عن اصلها تتفرع نعمه الباطنة والظاهرة ، حتى يجعل له في الوادي المقدس ربعا مأنوسا ، وجمعا محروسا ، واحاديث حسنة تقول لمستمع مثلها في الافاق : (هل اتاك حديث موسى) . والله تعالى يمده باعانته ، ويلهمه شكر ما رزق من فضل مكانه ومكانته ، بمنه وكرمه.»(١)

هذا ويذكر الحنبلي انه في زمنه قل اهتمام الدولة المملوكية بهذه القلعة وبالتالي بواليها ، فبعد ان كانت تدق فيها الطبلخاناه في كل ليلة بعد المغرب والعشاء ، على عادة القلاع بالبلاد ، صارت خالية ، وبطل دق الطبلخاناه فيها (٢) وصار «نائبها كآحاد الناس.»(٣)

ويرجع الحنبلي ما آلت اليه هذه القلعة من الخراب الى كونها لم تبق محل سكنى ولاة ونواب مدينة القدس.(٤)

٣ . والي مدينة القدس: كان هذا الوالي يعين من قبل نائب السلطنة بدمشق ثم صار يعين من قبل نائب السلطنة بالقدس، وذلك عندما وجدت وظيفة النيابة في القدس سنة ٧٧٧/ ١٣٧٥.(٥) وفيما يلي نسخة توقيع بولاية القدس: «رسم بالامر ... لا زال يشمل بظله وفضله ، ويجمل باحسانه وعدله ، وينقل شمس الولاة من البرج الظاهر الى مثيله — ان ينقل فلان من كذا الى ولاية القدس الشريف : علما بكفايته التي تقدمت ، وشهامته التي تحكمت ، واما مته التي سلمت فيما سلمت ، وهمته التي وضحت شمسا فلا تنفس، وقالت لقيامه في المصالح : (اخلع نعليك انك بالواد المقدس) فليباشر هذه الولاية مباشرة تمحو بضياء شمسه ظلما وظلاما ، وتقول لنار الحوادث في المشاهد الجليلة : (يا نار كوني بردا وسلاما) ، مجتهدا فيما هو بصدده ، عارفا بوجوه المصالح حتى يكون السكن اعرف بشمس بلده ، ناهضا بامور الديوان جليها وخفيها ، وعبء المهمات حافلها وحفيها ، مستزيدا بالشكر لمبادئ النعم ، قائلا في محل البلدين المباركين : ما سرت من حرم الا الى حرم.»(٦)

---

١ . القلقشندي ، المصدر ذاته ج ١٢، ص ٣٢٥ — ٣٢٦ .
٢ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ .
٣ . المصدر والصفحة ذاتهما .
٤ . المصدر والصفحة ذاتهما .
٥ . القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ١٩٩ ؛ ديمومبين ، المصدر ذاته ، ص ١٧٧ ، حاشية رقم ٧ .
٦ . القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ١٢ ، ص ٣٣٠ — ٣٣١ .

٠٤ الحـــاجـب : موضوع الحجابة هو ان صاحبها " ينصف بين الامراء والجند تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب ان كان ، واليه تقديم من يعوض ومن يرد ، وعرض الجنـــد وما ناسب ذلك "(١) ومن صلاحيات حاجب مدينة القدس انه كان يحكم بين الناس " ويرفـــع اليه الامور المتعلقة بارباب الجرائم وغيرها مما يرفع الى حكام الشرطة "(٢)

ب — اربـــاب الاقـــلام .

لم تذكر المصادر التي في متناول ايدينا من الوظائف الديوانية في مدينة القدس في العهد المملوكي غير وظيفة واحدة هي الحسبة .

المحتســب : كان متولي هذه الوظيفة يقوم بالاشراف على الاسواق ومراقبة الاخلاق العامة والعمل على عدم مخالفة نصوص الشريعة ،(٣) والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.(٤) ومن موضوع هذه الوظيفة ايضا " التحدّث على المعايش والصنائع ، والاخذ على يد الخارج عن طريـــق الصلاح في معيشته وصناعته "(٥) ونظرا لاهمية هذه الوظيفة فان القائم بها كانت تشترط فيه الامانة والثقة.(٦) ولم يكن في مدينة القدس الا محتسب واحد كان يعمل في وظيفته هذه بوصفه نائبا لمحتسب مدينة دمشق.(٧)

---

٠١ القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ١٩ .

٠٢ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦١٦ .

٠٣ ابن شاهين الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص ١٣٢ .

٠٤ القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ١٩٣ .

٠٥ المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ٣٧ .

٠٦ Ziadeh, N., Urban Life in Syria Under the Early Mamluks, Beirut, The American Press, 1953, p. 124.

٠٧ القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ١٩٩ .

جـ — الوظـائف الدينيـــــة ٠

٠١ القضـــــاة : لما فتح السلطان صلاح الدين الايوبي مدينة القدس سنة ١١٨٧/٥٨٣ ولّى على قضاء القدس قاضيا شافعي المذهب،(١) وبقي منصب القضاء في هذه المدينة لا يتولاه الا قاض شافعي الى سنة ١٣٨٢/٧٨٤ في عهد السلطان الملك الظاهر برقوق ، حيث استحدث منصب قضاء الحنفية.(٢) وفي سنة ١٣٩٩/٨٠٢ استحدث منصب قضاء المالكية ٠ اما وظيفة قاض للحنابلة بمدينة القدس فانه لم يستحدث الا سنة ١٤٧٩/٨٨٤.(٣)

وكان قضاة القدس يولّون في مناصبهم من قبل قضاة دمشق ، ويعتبرون نوابا عنهم (٤) وبقيت معاملة تولّيه قضـاة القدس من قبل قضاة دمشق الى بعد الثمانمائة هجري / اواخر القرن الرابع عشر ميلادي عندما صار امر التولية يأتي من الديار المصرية مباشرة.(٥)

ومما يجدر ذكره ان قاضي الحنفية بالقدس كان يضاف اليه قضاء مدينة الخليل ، ولم يتوقـف هذا الاجراء الا سنة ١٤٩٣/٨٩٩ حين عيّن قاض حنفي لمدينة الخليل ، مستقلا في وظيفته عن قاضي القدس، الا ان هذه الخطة لم تستمر الا ثلاثة شهور وبعدها اضيف قضاء الحنفية الى القاضي الشافعي في مدينة الخليل.(٦)

اما قاضي القدس الحنبلي فقد كان يضاف الى مهامه احيانا ، امر قضاء مدن اخرى مجاورة للقدس ٠ وذلك كما حصل في سنة ١٤٤٩/٨٥٣ ، في عهد الملك الظاهر جقمق ، حيث اضيـف

---

٠١ الحنبلـي ، المصـدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٦٣ ٠

٠٢ المصـدر والصفحـة ذاتهما ٠

٠٣ المصـدر والصفحة ذاتهمـا ٠

٠٤ الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص ١٣١ ؛ القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ١٩٩ ؛ الحنبلـي ، المصـدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٦٥ ، ٤٦٦ ٠

٠٥ المصـدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٦٣ ٠

٠٦ المصـدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٩٩ ـ ٧٠٠ ٠

الى القاضي شمس الدين ابي عبد الله محمد العمري العليمي ، قاضي القدس الحنبلي ، امر قضاء مدينتي الرملة والخليل.(١)

اما القضاة الشافعية فقد كان بعضهم يجمع بين خطة القضاء ورئاسة المدرسة الصلاحية بالقدس والخطابة في المسجد الاقصى.(٢) وقد حصل ان اشترك في خطة قضاء الشافعية قاضيان شافعيان في وقت واحد في مدينة القدس، يذكر الحنبلي (٣) انه في سنة ٨١٥/١٤١٢ كان القاضي شرف الدين ابو المناقب موسى بن برهان الدين ابي اسحاق الشافعي المذهب متوليا قضاء القدس هو والقاضي شهاب الدين ابي الحكمة ، الشافعي ايضا . وكان كل منهما يجلس في مكان مستقل فيه " فكان القاضي شرف الدين يجلس بالمدرسة الظاهرية والقاضي شهاب الدين بن الحكمة يجلس بدار الحديث".(٤)

٢. ناظر الحرمين ، ويسمى ايضا ناظر القدس والخليل.(٥) موضوع هذه الوظيفة النظر في كل ما يحتاج اليه الحرم الشريف بالقدس وحرم بلد الخليل من اصلاح ورواتب العاملين فيه ، وكذلك التصرّف في اوقاف هذين الحرمين.(٦) وكانت هذه الوظيفة ضمن صلاحيات نائب القدس منذ سنة ٧٧٧/١٣٧٥ ، غير انها انفردت عن نظر النائب في سنة ٨٤٣/١٤٣٩ ، وذلك عندما ولّى الملك الظاهر جقمق القاضي غرس الدين خليل بن احمد بن محمد بن عبد الله السخاوي نظر الحرمين كوظيفة مستقلة عن النيابة.(٧) وكانت ولاية هذه الوظيفة تصدر عن الابواب السلطانية بالقاهرة.(٨)

---

١. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٩٨.

٢. ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٣٢٢ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٧١ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤٧.

٣. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٧٣.

٤. المصدر والصفحة ذاتهما.

٥. ديمونبين ، المصدر ذاته ، ص ١٧٦ ، تعليق رقم ٥

٦. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٠٥-٦٠٦.

٧. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦١١.

٨. السخاوي ، التبر المسبوك ، ص ٢٠٨ ، ٣٥١.

٣. خطيب القدس . كانت هذه الوظيفة تسند الى من يقوم بالخطبة في المسجد الاقصى . ومن الملاحظ ان القائمين عليها كانوا يجمعون احيانا بينها وبين خطة القضاء[١] او بينها وبين التدريس في المدرسة الصلاحية بالقدس.[٢] وكان القائم بهذه الوظيفة يتم تعيينه ، مثل وظيفة ناظر الحرمين ، بتوقيع سلطاني من القاهرة.[٣]

٤. مشيخة المدرسة الصلاحيـــة.[٤] من الوظائف الدينية الهامة في مدينة القدس ، في العهد المملوكي ، وظيفة مشيخة المدرسة الصلاحية ، التي كان يشترط في القائم بها ان يكون من ابرز علماء عصره ، وكان شيخ هذه المدرسة يعين من قبل السلطان بالقاهرة ايضا.[٥]

٥. مشيخة الخانقاه الصلاحية.[٦] كانت هذه الخانقاه محلا لرجال التصوف[٧] والمجاورين في مدينة القدس في العهد المملوكي[٨] وكان شيخ هذه الخانقاه يعيّن بتوقيع من قبل السلطان المملوكي.[٩]

---

١. ابو الفداء ، المختصر ، ج ٤ ، ص ١١٠ ؛ ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٣ ص ٣١٢ ؛ ج ١٤ ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٧.

٢. ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٩٢-٩٦.

٣. ابن القرات ، المصدر ذاته ، ج ٩ ، قسم ٢ ، ص ٤٦٢-٤٦٣ ؛ القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ١٢ ، ص ١٠٦ ؛ ابن حجر العسقلاني ، المصدر ذاته ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٣٥ ، ٩٢-٩٦.

٤. انظر هذه الدراسة ص ١٣٣ - ١٣٤.

٥. ابن حجر العسقلاني ، المصدر ذاته ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٩٦ ؛ السخاوي ، التبر المسبوك ، ص ٢١٦.

٦. اوقف هذه الخانقاه السلطان صلاح الدين الايوبي على الصوفية بمدينة القدس في سنة ٥٨٥/ ١١٨٩ ؛ القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ١٢ ، ص ٦ ، ٧ ، ١٠٥ ، ١٠٦. وبناء تلك الخانقاه لا زال موجودا في تلك المدينة الى الآن ؛ كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص ١٥٤.

٧. القلقشندي ، المصدر ذاته ج ١٢ ، ص ٧.

٨. ديموميين ، المصدر ذاته ، ص ١٧٧.

٩. القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ١٢ ، ص ١٠٥ ، ١٠٦.

٦٠ مشيخة الزاوية الامينية.[١] كان شيخ هذه الزاوية يعيّن من قبل نائب السلطنة في دمشق.[٢] وقد اورد القلقشندي توقيعا بمشيخة ونظر هذه الزاوية كتب به للقاضي برهان الدين ابن الموصلي ، هذا نصه : " رسم ٠٠٠ــ لا زال يجري الاولياء في مقاصدهم على اجمل عادة ، ويختار منهم لمواطن الخير من يرعاها بنظر يثمر لها السعادة ــ ان يحمل فلان في وظيفتي النظر والمشيخة بالزاوية الامينية بالقدس الشريف ، على حكم النزول والتقرير الشرعيين المستمر حكمهما الى آخر وقت ، واستمراره في الوظيفتين المذكورتين بمقتضاهما ومنع المنازع بغير حكم الشرع الشريف ٠ فليباشر ذلك بما يقتدى به من تسليكه وتأديبه ، وتشرع رغبته في هذا المقام ومن عناية تهذيبه ، والوصايا كثيرة ولكن لا تقال لمثله اذ هو معلمها ، وتقوى الله سبحانه اهمها واعظمها ، والله تعالى المسؤول ان يرشدنا اليها ، وان يجعل من كل الامور اعتمادنا عليها بمنه وكرمه.[٣]

٧٠ ائمة المساجد ٠ كانت امامة المصلين وظيفة من الوظائف الدينية في مدينة القدس ، وهي من الوظائف المرتبة ، الدائمة بالمسجد الاقصى ومسجد الصخرة.[٤] فالائمة المرتبون بالمسجد الاقصى اربعة فقط : امام المالكية وامام الشافعية وامام الحنفية وامام الحنابلة.[٥] هذا عدا عدة ائمة آخرين بالمسجد الاقصى ومسجد الصخرة.[٦]

٨٠ المؤذنون ٠ ومن الوظائف الدينية المرتبة بمساجد القدس وظيفة مؤذن ٠ ويذكر الحنبلي ان عدد المؤذنين في مدينة القدس كان كبيرا ، وكان يعيّن عليهم رئيس يطلق عليه لقب رئيس المؤذنين.[٧] اما الوظيفة فقد كان يطلق عليها اسم رئاسة الآذان ، وكان هؤلاء المؤذنون يشترط فيهم حسن الصوت والاداء.[٨]

ومن الوظائف المرتبة بمدينة القدس في العهد المملوكي وظيفة التدريس ٠ رأينا ان نتناول هذه الوظيفة بالحديث في الفصل الاخير من هذه الدراسة ، وهو الفصل الذي سنبحث فيه الحياة العلمية بالقدس في ذلك العهد ٠

---

١٠ لم يعرّف احد من المؤرخين الذين رجعت اليهم في كتابة هذه الدراسة تاريخ بناء هذه الزاوية ولا اسم الشخص الذي تنتسب اليه هذه الزاوية ٠

٢٠ ديمومبين ، المصدر ذاته ، ص ١٧٧ ٠

٣٠ القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ١٢ ، ص ٤٢٢ ٠

٤٠ اليونيني ، ذيل مرآة الزمان مج ١ ، ص ١٢٣ ، الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٥٥٠ ، ٥٦٨ ٠

٥٠ المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٤ ٠

٦٠ المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ ٠

٧٠ المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٢٦ ــ ٥٣٣ ٠

٨٠ المصدر والصفحات ذاتها ٠

الفصـــــل الخامـــس

سكان مدينة القدس والحياة الدينية فيها

كان عدد سكان مدينة القدس في عهد المماليك البحرية لا يتجاوز العشرة الاف نسمة ، بما فيها من مسلمين ونصارى ويهود (١) . وتجمع هذه الفئات الثلاث في تلك المدينة راجع لكونها مدينة مقدسة ومركزا دينيا رئيسيا عندهم جميعا ، وما اختلافهم الا في اماكن الزيارة فيها.(٢) وعلى هذا الاساس الديني ارتأينا تقسيم الفئات التي يتألف منها سكان القدس، بادئين بالمسلمين على اساس انهم كانوا في العهد المملوكي الفئة التي تشكل غالبية السكان .

أ — القطاع الاسلامي .

ليس في المصادر التي لدينا ما نستدل منه على عدد السكان المسلمين الذين كانوا يقيمون في مدينة القدس . وعدم توفر المعلومات هذه ينطبق الى حد كبير على تحديد اصل هذه الفئة من السكان .

١ — العرب : يذكر القلقشندي في كتابه نهاية الارب في معرفة انساب العرب، ان العرب الذين استوطنوا مدينة القدس في العهد الاسلامي يرجع اصلهم الى ثلاثة بطون (٣) كل منها ينتسب الى قبيلة من القبائل العربية الاتية :

أ — قبيلة بني عمر ويقال لهم العمريون،(٤) وهم بطن من بني عدي بن كعب . وهم عدنانية من قريش ينتسبون الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب.(٥)

ب — بنو فيض ، وهم بطن من بني صخر ، وبنو صخر هؤلاء هم من اشهر بطون قبيلة بني جذام ، الجنوبية الاصل . وبنو فيض هؤلاء قحطانيون اتخذوا مدينة القدس محل اقامة لهم.(٦)

---

١. زيادة، المصدر ذاته، ص ٩٦ .

٢. العمري ، مسالك الابصار ، ج ٣ ، ص ١٤٧ .
٣. لم يذكر القلقشندي تاريخ مجيء تلك البطون الى القدس .
٤. القلقشندي ، نهاية الارب ، ص ١٥١ .
٥. المصدر ذاته ، ص ١٥١ — ١٥٣ .
٦. المصدر ذاته ، ص ٣٩٥ .

جـ - الجعافرة ، وهم بطن من بني الحسين السبط ، من بني هاشم ، من العدنانية . والجعافرة ينتسبون الى جعفر الصادق بن محمد الباقر . وقد استوطنت فرقة من هؤلاء الجعافرة بالقدس الشريف.(١)

هذا كل ما نعرفه عن اصل السكان العرب المسلمين الذين اتخذوا مدينة القدس محل اقامة لهم .

٢ - الاكـــراد : كان يقطن مدينة القدس ، في العهد المملوكي عدد من العائلات الكردية الاسلامية . ويظهر ان عدد افراد هذه الفئة من السكان كان قليلا في المدينة خلال العصر الذي يهمنا في هذه الدراسة . فقد كان اذا ما قامت فتنة بين الاكراد وبين فئة اخرى من سكان المدينة ترى الاكراد يستنجدون بالقبائل البدوية التي كانت ضاربة في المناطق المجاورة لمدينة القدس . ومن هذا القبيل الفتنة التي قامت في سنة ١٤٧٣/٨٧٨ والتي كان للاكراد ضلع فيها ، يذكر الحنبلي (٢) انه عندما قتل عدد منهم استنجدوا بالقبائل البدوية التي انتصرت لهم . ويذكر هذا المؤلف انه لما دخل البدو المدينة نهبوها عن آخرها الى درجة ان الاكراد انفسهم احتموا في المسجد الاقصى وادخلوا اولادهم ونساءهم الى المسجد واغلقوا ابوابه ، فكانت كما يصفها الحنبلي " حادثة فاحشة لم يسمع بمثلها في هذه الازمنة "(٣).

٣ - المغـــاربة : يرجع استيطان المغاربة مدينة القدس الى فترة تاريخية سابقة عن العهد المملوكي . فقد كان لهم في تلك المدينة حارة يسكنونها ، تسمى بحارة المغاربة ، اوقفها على المغاربة " على اختلاف اجناسهم ذكورهم واناثهم "(٤) الملك الافضل نور الدين ابي الحسن علي ابن الملك صلاح الدين(٥) . وكان لهؤلاء المغاربة زاوية تعرف باسمهم ، وشيخ يرأسهم يسمى - شيخ المغاربة - او - متولي مشيخة المغاربة بالقدس -(٦).

---

١. المصدر ذاته ، ص ١٢٣-١٢٤.
٢. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٣٢.
٣. المصدر والصفحة ذاتهما.
٤. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٧ ، ٤٠٢.
٥. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٧.
٦. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٧ ، ٥٨٣.

ومن الجدير بالذكر ان هؤلاء المغاربة كانوا مالكي المذهب ، ويرجع اليهم فضل ترتيب صلاة للمالكية بمدينة القدس.(١)

٤ — الهنود : من بين الفئات الاسلامية التي كانت تقطن القدس في العهد المملوكي فئة الهنود ، وكانوا يترددون على زاوية في القدس حتى عرفت بزاوية الهنود.(٢)

كانت تلك الفئات الاسلامية التي قطنت القدس تنتمي الى مذاهب سنية مختلفة . فقد كان منهم الشافعية والحنابلة والمالكية والحنفية ، وكان لكل من هذه الفئات الاربع قاضيهم الذي يحكم بينهم على اساس مذهبهم الديني.(٣) وكذلك كان لهم مساجدهم وائمتهم وخطباؤهم.(٤)

٥ — المنفيون : بالاضافة الى الفئات الاسلامية السابقة الذكر نجد عددا من المنفيين نفوا الى مدينة القدس، وظاهرة النفي هذه هي من المظاهر البارزة في تاريخ القدس في العهد المملوكي ، فكثير ممن كان يقع عليهم غضب السلطان كانوا يسيرون الى تلك المدينة منفيين.(٥) وكان كثير من هؤلاء المغضوب عليهم يستصحبون معهم عائلاتهم واتباعهم.(٦) وفيما يلي اسماء بعض الذين نفوا في القدس على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ، نذكرهم للتدليل على ان مدينة القدس كانت "منفى رئيسيا".(٧) في العهد المملوكي:

١ — القاضي كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة الله بن السديد . نفاه الناصر محمد بن قلاوون الى القدس سنة ٧٢٣/ ١٣٢٣م.(٨) بعد ان بلغ هذا القاضي منزلة عند السلطان لم يصل اليها غيره من الوزراء الكبار.(٩)

---

١. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٨١ ، ٥٨٣ .
٢. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ .
٣. يذكر الحنبلي في كتابه الانس الجليل قضاة الشافعية بالقدس ، ج ٢ ، ص ٤٦٣ — ٤٧٨ ، ويذكر قضاة الحنفية ، ج ٢ ، ص ٥٥٦ — ٥٨٠ ، وقضاة المالكية ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ — ٥٩٢ ، ويذكر قضاة الحنابلة ، ج ٢ ، ص ٥٩٢ — ٤٠٢ .
٤. الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص ٢٣ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٧٨ — ٤٨٦ .
٥. القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٧ ، ص ٢٠٠ .
٦. Poliac, A.N., Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon: 1250-1900, London, The Royal Asiatic Society, 1939, p. 323.
٧. المصدر والصفحة ذاتهما .
٨. ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٩، ص ٧٥.
٩. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٠٥ .

٢ - الشيخ اوحد الدين : كان شيخا لخانقاه السلطان بيبرس في القاهرة . غضب عليه السلطان الناصر قلاوون واخرجه الى مدينة القدس منفيا في سنة ١٣٣٨/٧٣٩ (١).

٣ - الامير كافور عنبر السحرتي الهندي : كان مقدم المماليك السلطانية ومن خواص خدام الملك الناصر محمد بن قلاوون . غضب عليه الملك الكامل سيف الدين شعبان ، وبالرغم من شفاعة خوند طغاي زوجة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، اخرجه السلطان منفيا الى القدس سنة ١٣٤٥/٧٤٦ وبقي بها الى ان مات سنة ١٣٤٨/٧٤٩ (٢).

٤ - الامير سيف الدين ارغون بن عبد الله الكاملي : ترقى في امارته الى ان صار امير الف بالديار المصرية ، ولي نيابة حلب ونيابة الشام . تغير عليه السلطان الملك الصالح صلاح الدين ونفاه الى القدس، وبقي في منفاه الى ان مات سنة ١٣٥٦/٧٥٨ (٣).

٥ - الامير سيف الدين طشتمر بن عبد الله العلائي : كان نائب السلطنة بالشام . تغير عليه الملك الظاهر برقوق فاخرجه الى القدس منفيا سنة ١٣٨٥/٧٨٧ (٤).

٦ - الامير قديد : كان نائبا للسلطنة في الاسكندرية نفاه السلطان الملك الظاهر برقوق سنة ١٣٨٩/٧٩٢ الى القدس (٥).

٧ - الامير شادبك الجكمي : كان نائبا للسلطنة في حماه تغير عليه الملك الظاهر جقمق فعزله عن نيابته وامره ان يتوجّه الى القدس منفيا سنة ١٤٤٦/٨٥٠ ، وبقي في منفاه الى ان توفى سنة ١٤٥٠/٨٥٤ (٦).

٨ - الامير سودون الاينالي قرقماش : كان " من رؤوس النواب " (٧) غضب عليه السلطان الظاهر جقمق غضبا شديدا بسبب تخاذله في محاربة البدو الذين اغاروا على منطقة الجزيرة ، وهي

---

٠١ المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، قسم ٢ ، ص ٤٥٩.

٠٢ المصدر ذاته ، ج ٢ ، قسم ٣ ، ص ٧٠٦ ، ٧٩٦ ؛ ابن ثغري بردي ، المصدر ذاته ، ج ١٠ ، ص ١٣٢ ، ٢٤١.

٠٣ المصدر ذاته ، ج ١٠ ، ص ٣٢٦.

٠٤ ابن خلدون ، المصدر ذاته ، ج ٥ ، ص ١٠٠٣ ؛ ابن ثغري بردي ، المصدر ذاته ، ج ١١ ص ٣٠٤.

٠٥ المصدر ذاته ج ١٢ ، ص ٦٧.

٠٦ السخاوي ، التبر المسبوك ، ص ١٤٥ ، ٣٢٩.

٠٧ المصدر ذاته ، ص ٣٠٨.

منطقة مجاورة لمدينة القاهرة ، فامر بنفيه الى مدينة القدس سنة ٨٥٣/١٤٤٩م[١].

٩ - الامير جوهر النوروزي : كان نائبا للسلطنة في مدينة طرابلس . رسم السلطان الظاهر جقمق بنفيه الى مدينة القدس سنة ٨٥٤/١٤٥٠ ، وبقي بها منفيا الى ان مات سنة ٨٦٣/١٤٥٧[٢].

١٠ - الامير تمراز الاشرفي : كان رجلا احمق " سيء الخلق غير محبب للناس "[٣] نفاه السلطان الاشرف اينال الى القدس سنة ٨٥٨/١٤٥٤م[٤].

١١ - الامير برد بك : كان نائبا للسلطنة في الشام ، تغير عليه السلطان سيف الدين ابو النصر قايتباي بسبب انكسار العسكر الذي كان يرأسه هذا الامير في الحملة التي قادها ضد مدينة سوار . وامر السلطان في سنة ٨٧٢/١٤٦٧ ان يحمل برد بك الى القدس منفيا[٥].

١٢ - وفي السنة ذاتها رسم السلطان سيف الدين قايتباي بنفي جماعة كبيرة من الامراء الى مدينة القدس[٦]. يذكرهم الحنبلي بقوله : " ... وحضر ايضا الى القدس الشريف جماعة من الامراء الذين امر باخراجهم من القاهرة منهم الامير يشبك الفقيه الدوادار الكبير وجاني بك كوهيه الدوادار الثاني ومغلباي المحتسب وغيرهم فمنهم من اقام بالقدس الى ان توفى ومنهم من افرج عنه ... "[٧]

١٣ - الامير قانصوه اليحياوي : كان نائب السلطنة بالشام في عهد السلطان الاشرف قايتباي ، غضب عليه السلطان ورسم بنفيه في القدس سنة ٨٨٥/١٤٨٠م[٨].

---

١. المصدر والصفحة ذاتهما .

٢. المصدر ذاته ، ص ٣٢٥ ؛ ابن اياس ، ابو البركات محمد بن احمد (ت ٩٣٠/١٥٢٣) ، صفحات لم تنشر من بدائع الزهور في وقائع الدهور ، حققه محمد مصطفى ، القاهرة ، دار المعارف ، منشورات الجمعية الملكية للدراسات التاريخية ، ١٩٥١م ، ص ٦٠ .

٣. المصدر ذاته ، ص ٢٠ .

٤. المصدر والصفحة ذاتهما .

٥. المصدر ذاته ، ص ١٨٧ ، ١٩٠-١٩١ .

٦. ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٣ ص ٥ ، ١٨ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦١٨ .

٧. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦١٧ .

٨. ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ج ١ ، ص ٢٦-٢٧ ، ٥١ .

١٤ - الامير يشبك الجمالي : كان من خواص السلطان الاشرف قايتباي ، انقلب عليه السلطان وبعثه منفيا الى القدس في سنة ٩٠٠/١٤٩٤ ، فاقام بالقدس منفيا الى ان مات بها.(١)

١٥ - الامير آقباي : كان نائب السلطنة بغزة ، تغير عليه السلطان ابو سعيد قانصوه ورسم بنفيه في مدينة القدس سنة ٩٠٤/١٤٩٨م.(٢)

١٦ - الامير قايتباي الخاصكي : كان نائب السلطنة بالكرك ، لما ولي تلك النيابة في سنة ٩١١/ ١٥٠٥ اراد ان يفرض على سكان الكرك احترامه ، فامر بشنق حاجب المدينة واهله واولاده .(٣) فلم يطق اهل الكرك ذلك البطش وثاروا عليه ، فلما بلغ السلطان الاشرف قانصوه الغوري ما فعله الامير قايتباي ، تغير خاطره عليه ورسم بنفيه الى مدينة القدس.(٤)

نستنتج مما سبق ان مدينة القدس في العهد المملوكي كانت منفى رئيسيا ، خاصة للامراء والنواب المماليك.

ومن السكان المقادسة المسلمين من استوطنها طلبا للراحة والانقطاع . فقد كان عدد من الامراء المماليك يقدّمون استقالاتهم من مناصبهم ويطلبون من السلطان السماح لهم بالاقامة في مدينة القدس . وكان هذا الانقطاع يجعلهم في مثل انعزال سياسي او تقاعد . ومن هؤلاء :

١ - الامير سيف الدين سلّار التستري الصالحي : كان من المقرّبين للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون.(٥) خضع له كل امراء الدولة المملوكية واغتنى حتى نال " من سعادة الدنيا ما لا يوصف ، وجمع من الذهب قناطير مقنطرة".(٦) طلب هذا الامير من السلطان الناصر الاقامة في القدس لـ " يعبد الله عزّ وجلّ ".(٧) وبعد ان سمح له السلطان بذلك انتقل الى القدس سنة ٧١٠/١٣١٠ هو واهله واخوته وعياله.(٨)

---

١. ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٣١٤.
٢. المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ٤٢٢. ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ج ١ ، ص ٢٢٦.
٣. ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٩٤.
٤. المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ٨٢ ، ٩٤ . ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ج ١ ، ص ٢٩٢.
٥. الكتبي ، فوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٣٦٩-٣٧٠.
٦. المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ٣٧٠.
٧. المصدر والصفحة ذاتهما.
٨. ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج ٩ ، ص ٢٠٨ .

٢ - الصاحب امين الدين : تولى ولاية البحيرة وولاية الجيزة في مصر وشغل مناصب في الدولة المملوكية بمنزلة الوزارة في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون [١]، ثم ولي نظر مدينة طرابلس غير انه في سنة ١٣٢٠/٧٢٠ قدّم استقالته من نظر طرابلس واقام بالقدس الشريف.[٢]

٣ - الامير علي الماردني : (واحيانا يكتب عليا) كان نائبا للسلطنة بالشام في عهد السلطان صلاح الدين محمد بن الملك المظفر حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون.[٣] وفي سنة ١٣٦١/٧٦٢ طلب الامير علي من السلطان اقالته من نيابة الشام ثم انتقل الى مدينة القدس واقام بها.[٤]

٤ - الامير شيخ الصفوي : كان نائبا للسلطنة في مدينة غزة استعفى من وظيفته هذه وسأل في سنة ١٣٨٩/٧٩٢ الاقامة في القدس فرسم له اسلطان الملك الظاهر برقوق بذلك.[٥]

٥ - الامير سيف الدين قنقباي : ولاه السلطان الملك الظاهر برقوق نيابة السلطنة بالكرك فامتنع والتمس من السلطان ان يسمح له بالاقامة في القدس فرسم له بذلك.[٦] وخرج الامير قنقباي من القاهرة واقام بالقدس سنة ١٣٩٣/٧٩٦.[٧]

٦ - الامير سيف الدين سودون الفخري الشيخوني : كان نائبا للسلطنة بالديار المصرية، استعفى من نيابته وذلك " لمرض اصابه وتغير حاله لكبره وعجزه "[٨] فاعفاه السلطان سنة ١٣٩٤/٧٩٧.[٩]

---

١. المصدر ذاته، ج ٩، ص ٢٦٥.
٢. ابن كثير، المصدر ذاته، ج ١٤، ص ٩٦.
٣. ابن يحي، صالح (ت ٨٤٠/١٤٣٦)، كتاب تاريخ بيروت واخبار الامراء البحتريين من بني الغرب، حققه الاب لويس شيخو، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٠٢م، ص ٢١٠.
٤. المصدر والصفحة ذاتهما.
٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٧١.
٦. ابن الفرات، تاريخ، ج ٩، قسم ٢، ص ٣٦١.
٧. المصدر والصفحة ذاتهما.
٨. المصدر ذاته، ج ٩، قسم ٢، ص ٣٩٩.
٩. المصدر والصفحة ذاتهما.

٧ - الامير سيف الدين قديد : كان نائب ثغر الاسكندرية ، سأل السلطان الظاهر برقوق سنة ١٣٩٦/٧٩٩ اعفاءه من منصبه والسماح له بالاقامة في مدينة القدس . فاعفاه السلطان وسمح له بالاقامة في القدس .(١)

ب - القطاع المسيحي في القدس .

لما تسلّم صلاح الدين الايوبي مدينة القدس من الافرنج في ٢٧ رجب ٥٨٣ / ٢ تشرين الاول ١١٨٧ ، كان عدد النصارى الذين في المدينة (٢) اكثر من عشرين الفا كما استنتج رنسيمان.(٣) وخلال اربعين يوما من ذلك التاريخ غادر الفرنج المدينة لقاء جزية دفعوها ، ولم يبق من النصارى في المدينة الا خمسة عشر الف فقط على ما يذكره الاصفهاني (٤) غير ان عدد المسيحيين المقيمين في القدس بعد ذلك التاريخ لم يحدده احد من المؤرخين المسلمين ولا الرحالة المسيحيين الذين زاروا هذه المدينة في العهد المملوكي . وكل ما يمكننا ترجيحه هو ان سكان القدس جميعا لم يكونوا يتجاوزون العشرة آلاف نسمة في عهد المماليك البحرية ٦٥٠-٧٨٤/١٢٥٢-١٣٨٢.(٥)

وبما ان مدينة القدس تعتبر مدينة مقدسة عند النصارى بقدر ما هي مقدسة عند المسلمين فاننا نجد فيها رئيسا دينيا وعددا من المذاهب المسيحية بالاضافة الى اعداد وافرة من الحجاج النصارى الذين يزورون مدينة القدس للتبرك بمعالمها المقدّسة .

ا - البطرك : يعرّف القلقشندي البطرك بقوله ان هذا اللقب يطلق " على القائم بامور ديسن النصرانية " (٦) وكان البطرك الذي كرسيه بالقدس في العهد المملوكي من طائفة الروم الارثوذكس .(٧)

---

١. المصدر ذاته ، ج ٩ ، قسم ٢ ، ص ٤٦٤ .

٢. يذكر الاصفهاني ان عدد النصارى الذين كانوا في القدس لما فتحها صلاح الدين لا يقلّ عن المائة الف نسمة . غير انه يظهر ان هذا الرقم خيالي . انظر الاصفهاني ، الفتح القسي ، ص ٤٣ .

٣. Runciman, S., A History of the Crusades, 3 vol., Cambridge, University Press, 1915-54, Vol.2, p. 465.

٤. الاصفهاني ، المصدر ذاته ، ص ٤٧ .

٥. زيادة ، المصدر ذاته ، ص ٩٦ .

٦. القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٥ ص ٤٧٢ .

٧. فرا نيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٢٢ .

اما مرسوم تولية البطرك فانه كان في اغلب الاحيان يصدر عن النواب وليس عن السلطان، واحيانا تصدر التولية مباشرة عن السلطان.[١] ويعلّل القلقشندي ذلك بقوله: "واما وظائف زعماء اهل الذمة كرئاسة اليهود وبطركية النصارى فيستبدّ بها النواب دون السلطان لزيادة حقارتها من الوظيفة والبعد عن حضرة السلطان."[٢] وقد كانت الالقاب التي تطلق على البطرك في العهد المملوكي تكتب على طريقتين، الطريقة الاولى: "البطرك المحتشم، المبجّل، فلان، العالم بامور دينه، المعلّم اهل ملّته، ذخر الملّة المسيحية، كبير الطائفة العيسوية، المشكور بعقله عند الملوك والسلاطين، وفقه الله تعالى".[٣] والطريقة الثانية: "مجلس القسيس، الجليل، الروحانيّ، الخطير، المتبتل، ابن المطران، الناصب، الخاشع، المبجّل، قدوة دين النصرانية، فخر الملّة العيسوية، عماد بني المعمودية، جمال الطائفة الفلانية، صفوة الملوك والسلاطين، فلان: ادام الله تعالى بهجته".[٤] وقد كان بطاركة القدس يسكنون في بيت في اول احدى شوارع هذه المدينة، ومن ثم عرف هذا الشارع باسم شارع البطاركة.[٥]

---

١. القلقشندي، المصدر ذاته، ج ٤، ص ١٩٤.

٢. المصدر ذاته، ج ١٢، ص ٧.

٣. المصدر ذاته، ج ١٢، ص ٢٩٤.

٤. المصدر والصفحة ذاتهما.

٥. دي روتلان، المصدر ذاته، ص ١٤٧.

٢ - المسيحيون ومذاهبهم الدينية .

أ - الاحباش والهنود : لما زار دي روتلان مدينة القدس سنة ٦٦٠/١٢٦١ كان في هذه المدينة عدد من الرهبان السود يقيمون في دير السيدة مارى اللاتينية Sainte Marie la Latine.(١) اما فرا نيكولو الذي قام برحلته الى الاراضي المقدسة في السنوات ٧٤٧-٧٥١/١٣٤٦-١٣٥٠ فانه يذكر ان هؤلاء الرهبان السود كانوا يتعبدون في كنيسة القيامة(٢) ، وانهم كانوا ينقسمون الى قسمين هنود واحباش.(٣) ويشبه الكاتب سواد بشرة هؤلاء الرهبان بالمداد الشديد السواد.(٤) اما الاحباش فقد كانوا يتألفون من رجال ونساء خرقي اللباس ومن طبيعتهم المراوغة والفسق والمادية.(٥) ويذكر الحنبلي ان هؤلاء الاحباش والهنود فنيوا عن آخرهم في الوباء الذي اجتاح مدينة القدس سنة ٨٩٧/١٤٩١ ، يذكر ذلك بقوله : " واستمر الوباء بالقدس في قوته ... وافنى طائفة الهنود عن آخرهم وكذلك الحبش "(٦) .

ب - الارمن : كان للرهبان الارمن مكان يتعبدون فيه في كنيسة القيامة لما زار فرا نيكولو القدس سنة ٧٤٧-٧٥١/١٣٤٦-١٣٥٠.(٧) وكذلك لما زارها دي لا بروكييه سنة ٨٣٦-٨٣٧/ ١٤٣٢-١٤٣٣.(٨) وبالاضافة الى محلهم في كنيسة القيامة(٩) كان لهم دير في مدينة القدس يعرف بدير الارمن.(١٠) ومن صفاتهم اناقة اللباس والغناء والكرم.(١١)

---

١. المصدر والصفحة ذاتهما .
٢. فرا نيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٢٢ .
٣. المصدر والصفحة ذاتهما .
٤. المصدر والصفحة ذاتهما .
٥. سريانو ، فرانسسكو ، في كتاب مارغريت نويت : Canon Pietro, Casola's Pilgrimage to Jerusalem in the Year 1494, ed. by Margaret Newett, the University Press, Manchester, 1907, pp. 391-392.

حاشية رقم ٨٧ ، وهي ترجمة عن الايطالية من كتاب سريانو Trattata di Terra Sainta, (Venice, 1524, XXVI) وقد كتب سريانو كتابه سنة ٨٦٢ / ١٤٥٨ .

٦. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٩٠ .
٧. فرا نيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٢٢ .
٨. دي لا بروكييه ، المصدر ذاته ، ص ٢٨٧ .
٩. كازولا ، المصدر ذاته ص ٢٨٧ ، غيلفورد ، المصدر ذاته ، ص ٢٣ .
١٠. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠١ .
١١. سريانو ، المصدر ذاته ، ص ٣٩١ .

جـ- النوبيـون : كان مكان تعبّدهم محاذيا للهنود والاحباش في كنيسة القيامة.[١]

د- السـريان : كان لهم مكان خاص بهم في كنيسة القيامة.[٢] [illegible]

هـ- الاقبـاط : كان للاقباط رهبان في كنيسة القيامة ايضا ، وكان المكان المخصص لهم في تلك الكنيسة يخلو منهم احيانا بسبب تغيبهم وسفرهم الى القاهرة.[٣] وكان الاقباط اقلّ الطوائف المسيحية عددا في كنيسة القيامة ، وكنتيجة لذلك كان ابناء رهبانهم ينصّبون قسيسين.[٤] وكـان آباؤهم الرهبان يحملون ابناءهم على ايديهم للبركة عند تلاوة ترانيمهم الدينية.[٥]

و- اليـونان [٦]: كان المكان المخصص لهم في كنيسة القيامة كثير الظلمة لا يدخله النور الا من ثقب صغير في الحائط.[٧] ويعتبرهم الرحالة سريانو الايطالي الدّ اعدائه ويقول انهم كانوا هراطقة ملعونين.[٨] وقد كان لهذه الفئة بطرك مقيم في القدس.[٩]

---

١. فرا نيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٢٢.
٢. سريانو ، المصدر ذاته ، ص ٣٩١ ؛ كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٢٧٦.
٣. سريانو ، المصدر ذاته ، ص ٣٩١.
٤. المصدر ذاته ، ص ٣٩٢.
٥. المصدر والصفحة ذاتهما.
٦. ان كلمتي "يونان" (Greeks) و "افرنج" (Franks) ،اللتين ذكرهما سريانو وكازولا عند ذكرهما للمسيحيين المتعبّدين في كنيسة القيامة ، لا تحدّدان ماذا يقصد الكاتب بهما . فنحن لا ندري ان كانا يقصدان بـ (Greeks) كنيسة الروم الارثوذكس ، او يقصدان بهم رهبان من بلاد اليونان . وهذا يصدق ايضا على كلمة (Franks) فنحن لا ندرى ان كانا يقصدان بها الكنيسة اللاتينية اى الكاثوليكية ، او يقصدان بهم رهبان من الافرنج منتسبين للكنيسة اللاتينية .
٧. سريانو ، المصدر ذاته ، ص ٣٩١.
٨. المصدر ذاته ، ص ٣٩١.
٩. فرا نيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٢٢.

ز - الافرنج: كان لهم مكان خاص بهم في كنيسة القيامة ايضا . يصفهم دي لا بروكييه بانهم اكثر الفرق المسيحية الموجودة في القيامة تحملا للمشقات(١) وهم من اللاتين(٢) كانت لهم كنيسة مختصة بهم هي كنيسة صهيون ،يذكر الحنبلي هذه الكنيسة بقوله : " كنيسة صهيون المختصة بالافرنج وهي في آخر مدينة القدس من جهة القبلة ".(٣)

ح - الكرج : كان لفئة الكرج مكان خاص بهم في كنيسة القيامة يتعبدون فيه.(٤) وكانت لهم كنيسة خاصة بهم في مدينة القدس تسمى كنيسة الصليبية.(٥)

كانت هذه الفئات المسيحية تعتنق مذاهب دينية مسيحية مختلفة . فمنهم اليعاقبة (Jacobites) (٦) الذين كانت لهم طرق غريبة جدا عند ادائهم لتراتيلهم واناشيدهم الدينية . فقد كان رهبانهم يمسكون بايديهم مطارق صغيرة يطرقون بها على قطعة من حديد اثناء اناشيدهم ، ويذكر الرحالة كازولا انه لم يستطع فهم السبب الذي يقصدونه من ذلك الطرق وتلك الضجة التي يحدثونها.(٧) اما سريانو فانه يقول ان هؤلاء اليعاقبة كانوا يحبون الافرنج (Franks) بقدر ما يكرهون اليونان (Greeks) .(٨)

ومن هذه الطوائف الدينية المسيحية في مدينة القدس في العهد المملوكي الموارنة . وكان لهذه الطائفة مكان مخصص في كنيسة القيامة.(٩) يذكرهم كازولا قائلا انهم كانوا مسالمين ليّني العريكة ، مؤدبين ولطيفين في تعاملهم مع الناس.(١٠)

---

١. دي لا بروكييه ، المصدر ذاته ، ص ٢٨٧.
٢. سريانو ، المصدر ذاته ، ص ٣٩١.
٣. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ،ص ٤٠٢.
٤. فرا نيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٢٢ ، كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٢٧٥.
٥. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠٢.
٦. سريانو ، المصدر ذاته ، ص ٢٠ ، ٢٢ ، دي لا بروكييه ، المصدر ذاته ، ص ٢٨٧ ؛ كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٢٧٦.
٧. المصدر ذاته ، ص ٢٧٧-٢٧٨.
٨. المصدر ذاته ، ص ٣٩٢.
٩. كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٢٧٦.
١٠. المصدر ذاته ، ص ٣٩١ ، حاشية رقم ٨٧.

ومن تلك الطوائف الدينية المسيحية في القدس اللاتين [١] اي الكاثوليك . وعدا المكان المخصص لهم في كنيسة القيامة ، كانت لهم كنيسة خاصة بهم وهي الكنيسة التي فيها قبر السيدة مريم ام المسيح عليه السلام ، وكان لهم دير كبير في جبل صهيون [٢] . اما عدد اللاتين المقيمين في كنيسة القيامة فيحدّدهم غلفورد بثلاثين شخصاً [٣] .

ومن تلك الطوائف ايضا النساطرة (Nestorians) [٤] الذين كان لهم مكان خاص بهم في كنيسة القيامة ، غير ان محلهم كان يخلو منهم احيانا ، وذلك لانهم غير دائمي الاقامة في مدينة القدس [٥] . واخيرا من الطوائف التي كانت في القدس في العهد المملوكي طائفة الـ (Golbites) [٦] .

٣ - الحجاج النصارى وزياراتهم لمدينة القدس .

مدينة القدس هي قبلة النصارى ومدينتهم المقدسة ، وكانت هذه المدينة في العهد المملوكي تستقبل عددا من الحجاج والرحالة النصارى الذين يزورونها من مختلف البلدان المسيحية . فالحجاج الاحباش كانوا يسافرون من بلدهم الى القاهرة ومنها الى القدس [٧] . وكان هؤلاء الاحباش الزائرون لمدينة القدس كثيرا ما يحملون معهم توصيات من السلطان المملوكي بالقاهرة قبل زيارتهم للقدس ، وتنص هذه التوصيات على تمكين هؤلاء الحجاج من زيارة الاماكن المقدسة [٨] . اما عدد هؤلاء الحجاج او الطريق التي كانوا يسلكونها من بلاد الحبشة الى القاهرة الى القدس فان المصادر ، التي في متناول ايدينا لا تذكر شيئا من ذلك .

---

١. فرانيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٢٢ ؛ كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٢٧٦ ، ٣٩١ .
٢. المصدر ذاته ، ص ٢٤٧ .
٣. غلفورد ، المصدر ذاته ، ص ٢٣ .
٤. فرانيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٢٢ ؛ غلفورد ، المصدر ذاته ، ص ٢٣ .
٥. سريانو ، المصدر ذاته ، ص ٣٩١ .
٦. كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٣٩١ ؛ لم اتمكن من معرفة من هم هؤلاء الـ Golbites والمصادر التي رجعت لها لم تذكر شيئا عن هذه الطائفة .
٧. ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام ، ص ١٧٣ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٥٧ .
٨. ابن اياس ، المصدر ذاته ، ج ٥ ، ص ١٢ .

وهذا النقص في المعلومات ينطبق ايضا على الحجاج الكرج والحجاج الذين يقصدون القدس من البلاد البيزنطية .

اما الحجاج الاروبيون الغربيون فقد كانوا يتجمعون في البندقية او في جنوة ثم يبحرون الى يافا او الى عكا.(١) وقبل نزول الحجاج بيافا كان قائد السفينة يسجل كل اسماء الحجاج الذين معه ، واوصاف كل واحد منهم بما في ذلك طول قامته ولون بشرته والعلامات الفارقة لكل شخص ان كان له ، ثم يبعث بتلك اللائحة الى امير الرملة (٢) والى نائب القدس.(٣) ولا يتمكن هؤلاء المسافرون من النزول على الارض في يافا الا بعد حضور امير الرملة ونائب السلطنة بالقدس ورئيس رهبان دير جبل صهيون.(٤) وعند نزول الحجاج من الباخرة كان الموظف المسلم المكلف بذلك يسجل الاسم الشخصي لكل حاج واسم ابيه .(٥) ويذكر كازولا الذي زار القدس سنة ١٤٩٤/٩٠٠ ان نائب السلطنة في مدينة القدس عين لهم حرسا يرافق الحجاج ويحميهم من العرب اثناء تنقلاتهم.(٦)

ومن الجدير بالملاحظة ان هؤلاء الحجاج الاروبيين كانوا ، في العهد المملوكي ، يلاقون صعوبات كثيرة اثناء زياراتهم للارض المقدسة . يذكر غلفورد انه لما نزل هو ورفاقه في مدينة يافا ، اخذهم الموظفون المماليك الى مغارة قديمة وقذرة قضوا فيها ليلتهم على الارض الخالية من اي فراش.(٧) ويذكر

---

١. Auteur Anonyme, "Pelerinages et Pardouns de Acre," in Itinéraires à Jérusalem et Descriptions de la Terre Sainte, rédigés en Français aux XIe, XII, XIIIe siècles, ed. by Henri Michelant et Gaston Raynaud, Genève, Imprimerie Jules-Guillaume Fick, 1882, pp. 229-230.

سنشير الى هذا الرحالة فيما بعد بالرحالة المجهول ؛ فرا نيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٢-٥ ؛ دي لا بروكييه ، المصدر ذاته ، ص ٢٧٠-٢٧٥ ؛ كازولا ، المصدر ذاته ، ص ١٠٣ ؛ بريسكوت ، المصدر ذاته ، ص ٤٦، ١٠١ ؛ هايد ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٦٧ .

٢. فرا نيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٦ ؛ بريسكوت ، المصدر ذاته ، ص ١٠١ .

٣. المصدر ذاته ، ص ١٠٣ .

٤. المصدر ذاته ، ص ١٠٣ .

٥. المصدر ذاته ، ص ١٠٤ .

٦. كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٢٦٦ .

٧. غلفورد ، المصدر ذاته ، ص ١٦ .

ايضا انهم لما وصلوا الى مدينة القدس اطلاهم رهبان دير جبل صهيون فرشا ينامون عليه ، وطعاما يقتاتون به .[١] وكان رئيس هذا الدير وبعض رهبانه هم الذين يرافقون الحجاج في زياراتهم للاماكن المقدسة .[٢] ومن المشاق التي كان يشكو منها الحجاج الاروبيون اثناء اقامتهم في القدس، والتي كانت تسبب لهم المرض، قضاء لياليهم خارج البيوت ونومهم على الارض بدون فراش.[٣] وكذلك عدم وجود نبيذ يشربونه في القدس والمدن المجاورة ، لان المسلمين ، كما يذكر كازولا ، لا يشربون الا الماء فقط .[٤] ويشكون ايضا من عدم جودة الخبز في المنطقة ، وشدة حرارة الشمس فيها ، وكذلك من العجلة في المسير اثناء الزيارات والتنقلات .[٥]

ومن الامور التي كانت تزعج الحجاج الاروبيين كثيرا اثناء زيارتهم للاراضي المقدسة كثرة الضرائب التي يطلبها موظفوا الدولة المملوكية باستمرار وفي كل مناسبة . فقد كانوا يدفعون في يافا ضريبة لامير مدينة الرملة ، وضريبة لنائب السلطنة بالقدس [٦] وكذلك ضريبة الى مترجم مدينة القدس الذي كان يجمع المال للسلطان اولا ثم لنفسه ثانية . ثم يدفعون ضريبة اخرى للمترجم بمدينة غزة الذي يتولى مفاوضة العربان الضاربين في الصحراء ، ويدفع لهم مقدارا من المال ليجتاز الحجاج المنطقة بسلام.[٧] هذا عدا ما يدفعه الحجاج الى الحراس والقائمين على الكنائس والاماكن المقدسة التي يزورونها.[٨]

---

١. المصدر ذاته ، ص ١٧-١٨.

٢. المصدر والصفحات ذاتها .

٣. Newett, Margret (ed.), Canon Pietro Casola's Pilgrimage to Jerusalem in the year 1494, The University Press, Manchester, 1907, Introduction, p.29.

٤. المصدر والصفحة ذاتهما .

٥. المصدر والصفحة ذاتهما .

٦. غلفورد ، المصدر ذاته ، ص ١٥-١٦ .

٧. دي لا بروكيير ، المصدر ذاته ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٨ .

٨. فرانيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٨ ؛ دي روتلان ، المصدر ذاته ، ص ١٥٤ .

هذا وقد كانت مهمة استقبال الحجاج الاروبيين في الاراضي المقدسة ومرافقتهم في زياراتهم مدة حجهم ، مناطة برئيس دير جبل صهيون بالقدس.(١)

اما وجود قناصل يمثلون دولة اجنبية في القدس فانه لم يتم الا سنة ١٤١٥/٨١٨م، وذلك عندما حصل حكام البندقية على مرسوم يسمح لهم باقامة قنصل يمثل حكومة البندقية في القدس(٢). اما حكومة جنوة فانها حصلت على مرسوم مشابه في سنة ١٤٣١/٨٣٥م.(٣) وكان عمل هذين القنصلين محصورا في السهر على سلامة الحجاج ، الذين تقلهم الى الاراضي المقدسة سفن تابعة لهاتين الدولتين.(٤)

ج — السكان اليهود .

الفئة الثالثة من سكان مدينة القدس في العهد المملوكي هي فئة اليهود ،الذين كانوا يعتبرون مدينة القدس مدينتهم المقدسة واليها يحجون.(٥) وليس لدينا من المعلومات التي تتعلق بهذه الفئة ما يدلّنا على عددهم ولا على مصادر رزقهم . غير ان وضع اليهود في تلك المدينة كان تحت حكم المماليك احسن من وضعهم لما كانت مدينة القدس تحت حكم الصليبيين.(٦) وقد كانت لهم حارة في القدس تسمى باسمهم — حارة اليهود —(٧).

د — العلاقات بين هذه الفئات الثلاث في مدينة القدس في العهد المملوكي .

كانت مدينة القدس، في العهد المملوكي ، لما تضمه من مسلمين ومسيحيين ويهود ، مسرحا لعدة حوادث ذات صبغة دينية في الغالب . وكان امن السكان النصارى واليهود في القدس وعدم

---

١. بريسكوت ، المصدر ذاته ، ص ١٠٢.
٢. هايد ، المصدر ذاته ، ج ٢، ص٤٦٧.
٣. بريسكوت ، المصدر ذاته ، ص١٠١ ، هايد ، المصدر ذاته ، ج ٢ ص ٤٦٧.
٤. المصدر والصفحة ذاتهما.
٥. العمري ، المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ١٤٧.
٦. مارغوليوث ، المصدر ذاته ، ص ٣٤٢.
٧. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠٣.

ايذاء المسلمين لهم يتوقف على مشيئة نائب السلطنة في دمشق او نائب السلطنة في القدس عندما استخدمت هذه النيابة سنة ٧٧٧/ ١٣٧٥ . يذكر المقريزي في خططه ان الامير تنكز لما باشر نيابة الشام في سنة ٧١٢/ ١٣١٢ "عظم شأنه وامن الرعايا حتى لم يكن احد من الامراء يظلم ذميا فضلا عن مسلم خوفا من بطشه وشدة عقوبته"[١] . غير ان امثال الامير تنكز من النواب، لم يكونوا دائما متوفرين . فالمعلومات التي بين ايدينا توضح ان العلاقات بين المسلمين من جهة والمسيحين واليهود من جهة ثانية لم تكن دائمة الصفاء، بل كانت تمرّ بحوادث وهزات عديدة، نذكر اهمها فيما يلي :

كان للملك الظاهر بيبرس احد الصلحاء واسمه الشيخ خضر بن ابي بكر العدوى المهراني . وكان السلطان المذكور يعتقد في هذا الشيخ كثيرا الى درجة جعلت الشيخ يتصرف في جميع البلاد المملوكية بما يريد، فكان يحكم ولا يحكم عليه[٢] . وقد رأى مسيحيو القدس على يد هذا الشيخ، لما زار القدس، الظلم والحيف[٣] . فقد هدّم بالقدس كنيسة المصلبة[٤]، وقتل قسيسها بيده ثم عملها زاوية له[٥] . ودخل الى كنيسة القيامة واخذ كل ما فيها له ولاصحابه[٦] وقتل هذا الشيخ بامر من الملك الظاهر سنة ٦٧٦/ ١٢٧٧[٧] . وفي سنة ٧٩٥/ ١٣٩٢ حضر اربعة رهبان الى القاضي بالقدس الشريف

---

١ . المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٥٤/ ١٤٥٠)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٤ج ، القاهرة، مكتبة المليجي، ١٣٢٤—١٣٢٦/ ١٩٠٦—١٩٠٨، ج ٣، ص ٨٧ .

٢ . ابن ابي الفضائل، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٤٥٩ .

٣ . انظر هذه الدراسة ص ٣٣—٣٤ .

٤ . يذكر ابن كثير ان الكنيسة التي دخلها الشيخ خضر وقتل قسيسها هي كنيسة القيامة وليست كنيسة المصلبة، ابن كثير، المصدر ذاته، ج ١٣، ص ٢٩٥ .

٥ . ابن ابي الفضائل، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٤٥٩، الكتبي، المصدر ذاته، ج ١، ص ٢٩٨، ابن الفرات، المصدر ذاته، ج ٧، ص ١٠٢—١٠٣ .

٦ . ابن كثير، المصدر ذاته، ج ١٣، ص ٢٦٥، ابن ثغرى بردى، المصدر ذاته، ج ٢، ص ١٦١—١٦٢ .

٧ . ابن ابي الفضائل، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٤٥٩، ابن كثير، المصدر ذاته، ج ١٣، ص ٢٦٥ .

وطلبوا منه جمع العلماء المسلمين بالقدس لمناقشة دينية[١] . فلما اجتمع الرهبان والعلماء شتم الرهبان دين المسلمين وقالوا للعلماء : " ان دينكم باطل وان نبيكم سارق وكاذب وساحر وان دين عيسى بن مريم هو الحق "[٢] فاغتاظ العلماء من هذا القول وافتوا بقتلهم ، فقتلوا واحرقوا . يذكر ابن الفرات ابتهاج المسلمين بقتل الرهبان النصارى بقوله : " وخرج الناس عند قتلهم واحراقهم لرؤيتهم وفرحوا بذلك ، وكان يوم قتلهم يوما مشهودا "[٣].

اما في سنة ١٤٥٢/٨٥٦ فقد رفع امر نصراني من طائفة الحبش الى احد القضاة بالقدس، بدعوى انه وقع في حق النبي ، ولما حضر النصراني اعترف بما صدر منه . وبالرغم مما كان لهذه الطائفة من اعتناء السلطان الظاهر جقمق ، حكم القاضي بسفك دم ذلك الحبشي فضرب عنقه " ثم اخذه العوام واحرقوه في صحن كنيسة قمامة [القيامة]"[٤]. وقد ذكر الحنبلي حادثة اخرى مشابهة حصلت بالقدس سنة ١٤٧٥/٨٨٠ وهي ان شخصا نصرانيا وقع في حق علي بن ابي طالب رضي الله عنه والسيدة فاطمة بنت رسول الله (صلعم)[٥]. ولما رفع امر هذا النصراني الى القاضي المالكي علاء الدين بن المزوار ، عقد مجلسا بدار النيابة بحضور نائب السلطنة بالقدس ، وعندما ثبت للقاضي ما نسب الى المتهم حكم بسفك دمه " فضرب عنقه بحضور الجماعة بدار النيابة "[٦].

بالاضافة الى هذه الحوادث التي حصلت بين المسلمين والنطرى ، نتيجة قذف في النبي محمد وعلي ، سجل لنا المؤرخون عددا من الحوادث الاخرى ، حصلت بين الفئات الدينية الثلاث نتيجة خصومات تتعلق بالابنية .

لقد كان محظرا على النصارى واليهود ، في العهد المملوكي ، ترميم او بناء اي مبنى ديني لهم في مدينة القدس[٧] وقد تسبب منع النصارى واليهود من الترميم والبناء في عدة حوادث قامت بين المسلمين وبين الفئتين الاخرتين من السكان نذكر فيما يلي اهمها :

---

١. ابن الفرات ، المصدر ذاته ، ج ٩ ، قسم ٢ ص ٣٥٠ـ٣٥١ .
٢. المصدر ذاته ، ج ٩ ، قسم ٢ ، ص ٣٥١ .
٣. المصدر والصفحة ذاتهما .
٤. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ص ٦٠١ .
٥. المصدر ذاته ، ج ٢ ص ١٤٩ .
٦. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٤٩ .
٧. كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٢٥٠ ، ٢٥٥ .

كان الملك الظاهر جقمق على قدر عظيم من الصيانة والديانة[١] ارسل الى القدس في سنة ١٤٥٠/٨٥٦ خاصكيا اسمه اينال باي وزوده بامر سلطاني للكشف على الاديرة . ولما حل هذا الخاصكي بمدينة القدس هدم ما استجد بدير صهيون وانتزع قبر داود من ايدي النصارى ، وامر بنبش عظام الرهبان المدفونين بالقرب من هذا القبر.[٢] وفي نفس هذه السنة اخرج مسجد من دير السريان ، وهدم البناء المستجد بكنيسة القيامة وقلع الدرابزين الخشب المستجد بالقيامة واخذ الى المسجد الاقصى " بالتهليل والتكبير ".[٣]

ومن الحوادث المشابهة ما حصل سنة ١٤٥٨/٨٦٣ ، فقد حصلت في هذه السنة زلزلة هدمت قبة كنيسة للنصارى كانت مجاورة لكنيسة القيامة ، وكان النصارى يجتمعون فيها ويرفعون اصواتهم في صلواتهم فينزعج المسلمون الذين في قبة الصخرة.[٤] ولما تهدمت قبة هذه الكنيسة دفع النطرى مالا لنائب السلطنة بالقدس وللقاضي الحنفي الذي اذن لهم باعادة البناء المتهدم ، ثم عرض النصارى مالا على القاضي الحنبلي حتى لا يعارضهم فزجرهم وكاتب الملك الاشرف اينال وسأله اصدار مرسوم شريف في تهديمها ، وتقرر اخيرا تهديم ما استجد من بناء ، فهدمه العوام المسلمون في مدينة القدس.[٥]

وقد حصلت حادثة مماثلة في دير جبل صهيون سنة ١٤٨٨/٨٦٤ وقد رفع الى احد القضاة بالقدس ان رهبان الدير بنوا قبة جديدة في الدير ، وبعد المعاينة اقيمة البينة على ان القبة مستحدثة ، ولما سئل رئيس دير صهيون عن امر تلك القبة اعترف بانها جديدة فالزمه القاضي بهدمها.[٦]

---

١. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤٢ .
٢. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤٣ .
٣. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤٣ـ٤٤٤ .
٤. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٩٩ـ٦٠٠ .
٥. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٠٠ـ٦٠١ .
٦. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٧٧ـ٦٨٠ .

اما فيما يتعلق بالابنية الدينية اليهودية فقد كانت هي الاخرى خاضعة لاجراءات منع البناء والترميم . وللتمثيل على ذلك نورد حادثة وقعت في سنة ١٤٧٣/٨٧٨ في عهد السلطان قايتباي . اختلف المسلمون واليهود على دار واقعة بين كنيس اليهود ومسجد المسلمين في حارة اليهود . وكان الطريق الوحيد للمسجد هو زقاق مستطيل . وحدث ان تهدمت هذه الدار التي كانت من جملة اوقاف اليهود بسبب تهاطل الامطار فكشف باب المسجد من جهة الشارع الكبير ، فقصد المسلمون الاستيلاء على الدار المنهدمة بدعوى انها من حقوق المسجد حتى يكون الدخول الى المسجد منها بدل الزقاق.(١) فامتنع اليهود من ذلك ورفعوا امرهم للقضاة واظهروا مستندات استحقاقهم وملكهم لتلك الدار.(٢) وعقد على اثر ذلك بالمدرسة التنكزية مجلس ترأسه ناظر الحرمين وحضره القاضي الشافعي والقاضي الحنفي وجمع من الفقهاء . فاصدر هؤلاء حكمهم في صالح اليهود وحكموا ان الدار من جملة اوقاف اليهود.(٣) فلم يرض المسلمون بهذا الحكم ورفعوا امرهم الى السلطان قايتباي بمصر ، فاتى مرسوم من السلطان يأمر بالتحقيق في الامر من جديد . واجتمع القضاة والفقهاء من جديد وصدر حكمهم باغلاق الكنيس ومنع اليهود من دخولها والتعبد فيها.(٤) فرفض اليهود ، في هذه المرة ، الحكم ورفعوا امرهم للسلطان . فثارت ثائرة المسلمين وكادوا يبطشون باليهود فنهاهم احد القضاة عن ذلك قائلا : " يا امة التوحيد لا يعارضهم احد فان هؤلاء ذمة الله وذمة رسوله وذمة امير المؤمنين".(٥) بعد ان رفع اليهود امرهم للسلطان امر السلطان قضاة القضاة بالديار المصرية وعددا من النواب والفقهاء للنظر في هذا الامر . وصدر على اثر ذلك مرسوم من السلطان سنة ١٤٧٤/٨٧٩ الى ناظر الحرمين والى نائب السلطنة بالقدس يدعو هما فيه تمكين اليهود من كنيسهم . فذاعت في القدس شائعات تقول ان اليهود ما كانوا ليحصلوا

---

١. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٣٣ .
٢. المصدر ذاته ، ج ٢ ص ٦٣٣-٦٣٥ .
٣. المصدر والصفحات ذاتها .
٤. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٣٤ .
٥. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٣٥ .

على ذلك المرسوم ، لولا ما بذلوه من اموال وفيرة للخزائن السلطانية ، وكثر الجدل في مدينة القدس الى درجة انه كادت تقوم على اثرها فتنة في المدينة.(١) عند ذلك قام القاضي الشافعي الى المكان المتنازع عليه واشهد على نفسه بانه يقول بعدم احقية اليهود وامر بهدمها فهدمها المسلمون على آخرها.(٢) ولما وصل الخبر الى السلطان اعتبر عمل المقادسة خروجا على طاعته ، وبناء على امره ارسل الى مصر كل من القاضي الشافعي شهاب الدين بن عتبة وعدد من العلماء ، ارسلوا مصفّدين بالاغلال وهناك ضربوا ضربا مبرحا بحضور السلطان ثم سجنوا.(٣) وبعد ذلك رجع القضاة عن امر المنع الصادر منهم وافتى جماعة من علماء الشافعية والحنفية بمصر بجواز اعادة الكنيس.(٤)

من هذه الحوادث جميعها نرى ان العلاقات بين المسلمين من ناحية والنصارى واليهود من ناحية اخرى لم تكن دائما على ما يرام ، بل كانت تتعرض احيانا لحوادث وهزات عنيفة .

---

١. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٣٦-٦٣٧ .

٢. المصدر ذاته ، ص ٦٤٠ .

٣. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٤١ .

٤. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٤٢ .

الفصل السادس

موارد مدينة القدس

كانت مدينة القدس في العهد المملوكي قليلة الانتاج الزراعي والصناعي.[١] ويرجع فضل بقاء تلك المدينة في العهد الذي ندرسها فيه الى انها كانت في المقام الاول مدينة مقدسة.[٢] فقد كان احترام الناس لها وتبركهم بها يعود عليها بموارد رزق كانت تعين سكان تلك المدينة على تحصيل عيشهم.[٣] واهم تلك الموارد هي :

١ـ الوقف : كانت الاراضي الموقوفة على المساجد والمدارس في مدينة القدس تشكل موردا مهما من الموارد التي يرتزق منها سكان القدس ، فقد كان السلاطين والامراء المماليك وكذلك المحسنون يوقفون اراضي يعود دخلها الى ما ينشؤونه في هذه المدينة من ابنية دينية وعلمية وخيرية . من ذلك انه لما زار الملك الظاهر بيبرس مدينة القدس سنة ٦٦١/ ١٢٦٢ نظر في امر اوقاف هذه المدينة وضبط انتاجها ومصروفها[٤] و" كتب بحماية اوقافه وانه مهما طلب من الشام العمائر يسير سريعا".[٥]

---

١. انظر هذه الدراسة ص ٩٠ ـ ٩٤.
٢. زيادة ، المصدر ذاته ، ص ٦٩ .
٣. المصدر والصفحة ذاتهما .
٤. ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٧٤ .
٥. المصدر والصفحة ذاتهما .

ورتب للمسجد الاقصى في كل سنة خمسة الاف درهم.(١) وكذلك اوقف على الخان الذي بناه بالقدس عددا من الاراضي والقرى.(٢) وفي عهد الملك بيبرس ايضا بنى الامير علاء الدين ايدغدي سنة ٦٦٦/ ١٢٦٧ رباطا بالقدس تسمى باسمه واوقف عليه اوقافا كثيرة.(٣) ومن هذه الاوقاف ايضا ما اوقفه الملك المنصور سيف الدين قلاوون سنة ٦٨١/ ١٢٨٢ على رباطه المنصوري في القدس.(٤)

اما في زمن السلطان الاشرف برسباي الظاهري (حـ ٨٢٥ـ٨٤١/ ١٤٢٢ ـ ١٤٣٧) فقد اوقف مالا وضياعا لتصرف على مصالح المسجد الاقصى والصخرة الشريفة.(٥) وكذلك فعل الملك الاشرف قايتباي الذي زار القدس سنة ٨٨٠/ ١٤٧٥، فقد اوقف هذا السلطان اوقافا كثيرة على قناة مياه عين العروب التي جلبت للقدس، وكذلك تصدق على سكان القدس والخليل بستة الاف دينار.(٦)

---

١. المقريزي، السلوك، ج ١، قسم ٢، ص ٤٩١.
٢. انظر هذه الدراسة ص ٣١ـ٣٣.
٣. ابن فضل الله العمري، المصدر ذاته، ج ٦، ص ١٥٣؛ الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٣٩٤.
٤. ابن فضل الله العمري، المصدر ذاته، ج ٦، ص ١٥٣.
٥. الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٤٤٢.
٦. ابن اياس، المصدر ذاته، ج ٣، ص ١١٢.

لقد كانت هذه الاوقاف مورد رزق لعدد كبير من سكان القدس خاصة القائمين منهم على هذه الاوقاف والعاملين في المساجد من علماء ومؤذنين وعملة.(١) ومما هو حري بالملاحظة ان المدارس التي بنيت في العهد المملوكي في القدس، هي الاخرى كانت لها اوقاف حبست عليها من قبل منشئيها لتصرف على مصالح هذه المدارس والموظفين والعلماء الذين كانوا يعملون فيها.(٢)

وقد كانت هذه الاوقاف على نوعين، النوع الاول كان عبارة على افران او مباني للسكن او محلات تجارية او حارات في مدينة القدس ذاتها، يوقف ايجارها على مصالح تلك الابنية الدينية والعلمية والخيرية.(٣) اما النوع الثاني من هذه الاوقاف فقد كان يتمثل في تحبيس بعض القرى والمزارع على ان يصرف انتاجها على تلك المنشآت. وقد كانت هذه الاماكن الزراعية الموقوفة تقع في مناطق مختلفة من البلاد الشامية. منها : ثلث وربع قرية المشيرفة من بلد بصرى (٤) وكذلك (٥) نصف قرية كيفا.(٦)

---

١. ابن فضل الله العمري، المصدر ذاته، ج ٣، ص ١٨٠؛ الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٣٨٤ — ٣٨٥.

٢. المصدر ذاته، ج ٢، ص ٣٨٩، ٤٤٤، ٦٠١.

٣. ابن الوردي، تتمة، ج ٢، ص ٣٢٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٧٥ — ٢٧٦، ج ١٤، ص ١٨٧؛ ابن تغري بردي، المصدر ذاته، ج ٧، ص ١٢١؛ الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٣٩٧، ٤٠١، ٤٠٣.

٤. بصرى هي قصبة كورة حوران؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٤١.

٥. اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ١، ص ٥٥٤.

٦. كيفا قرية صغيرة تقع بالقرب من غزة؛ ابو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٩.

اوقفها جميعا الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦١/ ١٢٦٢ على منشآته الدينية في مدينة القدس.(١)

ومن هذه الاوقاف الزراعية ايضا "املاك بالشام" اشتراها واوقفها على حرم القدس السلطان ابو الحسن المريني سنة ٧٤٨/ ١٣٤٧.(٢) وذلك عندما فتح مدينة تونس وضمها الى حكم مدينة فاس عاصمته . ويذكر ابو الفداء ان تلك الاملاك كلفت السلطان المريني عشرة الاف دينار.(٣) ومن هذه الاوقاف ايضا "جهة" (٤) اوقفها السلطان الاشرف اينال على المسجد الاقصى .

اما ما وقف على مدارس القدس من اراضي زراعية فهي ما حبسه الامير فارس البكي ابن الامير قطلومك ، نائب السلطنة بمدينة غزة ، على المدرسة الفارسية بالقدس.(٥) وقد كان وقف هذا الامير يشمل كامل "حصته من قرية طوركرم".(٦) اما الاميرة اغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية ، فقد اوقفت على مدرستها الخاتونية بالقدس سنة ٧٨٢/ ١٣٨٠ مزرعتها التي كانت معروفة باسم "ظهر الجمل"

---

١. المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٢١ .
٢. ابو الفداء ، المختصر ، ج ٤ ، ص ١٤٩ .
٣. المصدر والصفحة ذاتهما .
٤. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤٤ .
٥. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ .
٦. المصدر والصفحة ذاتهما .

والتي كانت تعرف في زمن الحنبلي بمزرعة "باطن الجمل".(١)

ب . انتاج مدينة القدس الزراعي والصناعي .

١ - الانتاج الزراعي : كان انتاج مدينة القدس الزراعي قليلا جدا في العهد المملوكي والسبب الرئيسي في ذلك هو قلة مياهها ، فقد كان يعوزها الماء حتى لكفاية حاجة سكانها (٢) فضلا عن ري اراضيها الزراعية . ولم يكن لتلك المدينة من مورد للماء الا بعض العيون الصغيرة واكبرها عين سلوان التي كانت لا تتسع لري الزروع.(٣) وتخرج مياه عين سلوان من صدع في الجبل الذي توجد فوقه مدينة القدس، ويسرح ماؤها على وجه الارض ثم يجري في وادي جهنم.(٤)

وامام حاجة هذه المدينة الملحة للماء امر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٣/ ١٣١٣ بوجوب جلب المياه الى القدس فأنشئت قناة لذلك الغرض(٥) كانت تجلب الماء الى المدينة من وادي ارطاس الذي يقع على بعد سبعة اميال جنوبي القدس.(٦) وقد اصلحت هذه القناة سنة ٧٢٦/ ١٣٢٥ (٧) وكذلك سنة ٧٢٨/

---

١. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ .

٢. فرانيكولو ، المصدر ذاته ، ص ١٠ ؛ زيادة ، المصدر ذاته ، ص ٦٨ ، ٩٢ .

٣. ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٢٧ ؛ العمري ، مسالك الابصار ، ج ٣ ، ص ١٨٠ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ .

٤. ابن فضل الله العمري ، المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .

٥. المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

٦. زيادة ، المصدر ذاته ، ص ٩٢ .

٧. ابن بطوطة ، رحلة ، ص ٥٧ .

١٣٢٧ بعد ترميم دام ستة اشهر.(١) وامام هذه القلة في المياه كانت مدينة القدس في العهد المملوكي قليلة الاشجار والخضرة.(٢) ومن الفواكه التي كانت تنتجها القدس : الزبيب والتفاح والعنب والتين.(٣)

والذي تجدر الاشارة اليه هو ان مدينة القدس في العصور الوسطى كانت تعتمد على الانتاج الزراعي الذي كان ينقل اليها ويباع في اسواقها من السهول الزراعية التي تقع الى شمال القدس وجنوبها الغربي ، واحسن هذه السهول انتاجا كان يقع ظاهر مدينة القدس من جهة الغرب ، كان يطلق عليه اسم "البقعة".(٤) ويصف الحنبلي رفاه ملاك هذه الاراضي الخصبة بقوله : "وفي هذه البقعة قصور مبنية بالبناء المحكم وملاكها في كل سنة يقيمون بها في زمن الصيف مدة اشهر اقامة استيطان وينفقون اموالا كثيرة ..(٥)

اما فيما يتعلق بالاشجار المثمرة التي كانت توجد في الاراضي الزراعية القريبة من القدس فقد كان اهمها شجر الزيتون الذي كان له اعتبار كبير من الناحية الانتاجية في تلك المنطقة.(٦)

---

١. ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

٢. فرانيكولو ، المصدر ذاته ، ص ١٠ .

٣. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ .

٤. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ .

٥. المصدر والصفحة ذاتهما .

٦. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٨٦ .

وقد كانت كميات زيت الزيتون التي تنتجها الاراضي المجاورة لمدينة القدس كثيرة ، جلها كان يباع في مدينة القدس ،[١] في سوق كان يطلق عليها اسم " سوق الزيت "[٢] . وبجوار هذه السوق توجد المصابن التي كان يصنع فيها الصابون، الذي يحتاج صنعه الى توفر زيت الزيتون .[٣]

ومما يدلنا على كثرة كميات الزيت التي كانت تباع في تلك المدينة ، وعلى اهمية القدس في تصريف هذا النوع من الانتاج ، الاساليب التي كان بعض النواب يتبعها في جبر سكان تلك المدينة على شراء ذلك المحصول قهرا . ومن هذا القبيل " حادثة الزيت " ، كما يسميها الحنبلي ، التي وقعت في سنة ٨٩٦/ ١٤٩٠ في مدينة القدس. يذكر صاحب الانس الجليل ان الامير دقمان دوادار اينال الاشقر نائب القدس الزم اهل تلك المدينة ، وذلك لما حصل عنده من الحنق عليهم بسبب الشكوى التي بعثوا بها الى السلطان ضده ،[٤] الزم اهل بيت المقدس " الخاص والعام من المسلمين واليهود والنصارى "[٥] بشراء كميات كبيرة من الزيوت بثلاثة اضعاف سعرها العادي.[٦]

---

١. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٨٦ — ٦٨٧ .
٢. كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٢٥١ .
٣. المصدر والصفحة ذاتهما .
٤. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٧٩ .
٥. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٨٦ .
٦. المصدر والصفحة ذاتهما .

يصف الحنبلي ما حصل للناس من ظلم في هذه الواقعة بقوله : "طلب [النائب] اهل القدس بأسرهم وكتب اسماءهم في قوائم وعين على كل انسان قناطير معينة وامرهم بشراء الزيت ... ورسم على الناس وشدد عليهم وضربهم ضربا مؤلما وشرع يحمل كل احد فوق طاقته ومن لم يطعه ضربه حتى يكاد يهلك ومن غاب هجم على منزله واخذ ماله من الامتعة ومن لم يوجد له امتعة ولا موجود احضر زوجته وضربها وسجنها حتى تدفع ما على زوجها ... ومن لم يظفر بزوجته احضر من يكون من اقاربه"(١).

وبالاضافة الى شجر الزيتون كانت الجبال والاودية والسهول المجاورة لتلك المدينة غنية ببساتين الكروم والتين والتفاح التي كانت تدر بخيراتها "من غير سقي ولا انهار"(٢). ويذكر المقدسي كثرة وتنوع الثمار التي كانت بتلك المدينة في زمنه، ولعلها استمرت كذلك في العهد المملوكي، بقوله : "فقد جمع الله فيها فواكه الاغوار والسهل والجبال والاشياء المتضادة كالاترنج واللوز والرطب والجوز والتين والموز."(٣)

---

١. المصدر والصفحة ذاتهما.

٢. المقدسي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد (ت ٣٧٥ / ٩٨٥)، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، حققه ميخائيل جان دي غويه، ليدن، بريل، ١٩٠٧م، ص ١٧١، ١٨٠.

٣. المصدر ذاته، ص ١٦٦.

٢ — الانتاج الصناعي : اشتهرت مدينة القدس ببعض الصناعات منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وهي : صناعة المارايا وقدور القناديل والابـــــــر والجبن [١] . اما في العهد المملوكي فقد امتازت تلك المدينة بصناعة الغضة التي كانت رائجة في تلك المدينة حتى ان فضتها ، كما يذكر الظاهري ، كانت " تجلب من القدس الى سائر البلدان "! [٢] وكذلك امتازت القدس بصناعة الصابون بكميات وافرة، [٣] هذه الصناعة التي كان اربابها يتحكمون في سعر زيت الزيتون في تلك المدينة ، وذلك لما كان لهم من قدرة شرائية تؤثر تأثيرا مباشرا في سوق الزيت. [٤]

ج . التجارة والاسواق :

كانت الحركة التجارية بالقدس، في العهد الذي ندرسه ، محدودة بصفة عامة ، وذلك راجع الى ان تلك المدينة لم تكن تقع على اي طريق رئيسي من طرق التجارة في ذلك العهد. [٥] غير انه على الرغم من هذا الوضع التجاري المحدود الاهمية [٦] كانت تلك

---

١ . المصدر ذاته ، ص ١٨٠ .
٢ . الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص ١٨٠ .
٣ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠٤ .
٤ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٨٦ — ٦٨٧ .
٥ . هايد ، المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ١٧٥ ؛ زيادة ، المصدر ذاته ، ص ٦٩ .
٦ . هايد ، المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

المدينة تحتوي على عدة اسواق لا تخلو من السلع والحبوب والفواكه التي كانت تجلب من مختلف المناطق الشامية ، بل لا تخلو احيانا من بعض السلع المستوردة من الشـــرق الاقصى.(١) .

وقبل ان نتحدث عن اسواق القدس يجب ان نشير الى ان المؤرخين الذين كتبوا عن العهد الذي ندرسه لم يذكروا مصدر البضاعة التي كانت تباع في تلك الاسواق . وكل الذي نعرفه في هذا الصدد هو ما يذكره المقدسي من ان بعض مدن الشام وسهوله كانـت مشهورة بانتاج بعض السلع او الحبوب او المواشي . ولعل مدينة القدس في العهد الذي ندرسه كانت تستورد بعض تلك البضائع من تلك الاماكن، يذكر المقدسي هذه المناطق وما اشتهرت بانتاجه بقوله (٢) : "من فلسطين الزيت ..... والزبيب والخرنوب والملاحم والصابون ..... ومن اريحاء نيل (٣) غاية ، ومن بيسان النيل والتمور ، ومن عمان الحبوب والخرفان والعسل ، ومن طبرية .... الكاغد ، ..... ومن صور السكر والخرز والزجاج المخروط والمعمولات ، ومن مآب قلوب اللوز ، ومن بيسان الرز ، ومن دمشق .... ديباج ودهن بنفسج .... والكاغد والجوز ..... والزبيب ، ومن حلب القطن والثياب ..... ومـــن بعلبـــك الملابن " . ويذكر هـــذا ، المؤلف ايضا بعض المنتوجات التي اشتهرت

---

١. المصدر والصفحة ذاتهما .

٢. المقدسي ، المصدر ذاته ، ص ١٨٠ — ١٨١ .

٣. نيل : "نبات ذو ساق صلب وشعب دقاق وورق صغار مرصفة من جانبين " ؛ البستاني ، بطرس، كتاب محيط المحيط ، ج ٢ ، بيروت ، طبعة ١٨٧٠م .

بها فلسطين ومنها الانجاص والتين والقلقاس والخرنوب والعناب وقصب السكر والتفاح الشامي والرطب والاترج والنارنج والجوز واللوز والموز والكرنب والترمس ولبن الجواميس والشهد والعنب والخس.(١)

هذا وقد كانت اسواق القدس في العهد الذي ندرسه مقسمة على حسب البضاعة التي تباع في كل سوق من تلك الاسواق.(٢) وفيما يلي سنذكرها ونوع البضاعة التي كانت تباع فيها.

١ — سوق اللحم : كان للحم سوق خاصة يباع فيها في مدينة القدس.(٣) ولعل تلك المدينة كانت تجلب الخرفان والمواشي من مدينة عمان التي يصفها المقدسي بانها كانت مصدر الاغنام.(٤)

٢ — سوق القماش : كانت هذه السوق عبارة عن طريق طويلة ومسقوفة ، وقد كانت مختصة ببيع الاقمشة بمختلف انواعها.(٥)

٣ — سوق الصاغة : يذكر دي روتلان ان سوق الصاغة هذه كانت تتألف من جناحين جناح يعمل فيه الصياغ السريان ، وجناح يعمل فيه الصياغ اللاتين.(٦) ويضيف هذا الرحالة انه كان في هذه السوق محل يباع فيه التفاح المستورد من الخارج.(٧) وقد كانت تقع

---

١. المقدسي ، المصدر ذاته ، ص ١٨١ .
٢. الظاهري ، المصدر ذاته ، ص ٢٣ .
٣. دي روتلان ، المصدر ذاته ، ص ١٥٠ .
٤. المقدسي ، المصدر ذاته ، ص ١٧٥ .
٥. دي روتلان ، المصدر ذاته ، ص ١٤٩ — ١٥٠ ؛ فرانيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٩ ، الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠٤ .
٦. دي روتلان ، المصدر ذاته ، ص ١٤٦ — ١٤٧ .
٧. المصدر والصفحة ذاتهما .

على الشارع الذي يبتدئ من باب المسجد الاقصى المعروف بباب السلسلة الى باب المدينة المعروف بباب الخليل.(١)

٤ — سوق السمك : كانت هذه السوق مختصة ببيع السمك الذي كان اكثره يجلب من سواحل البحر الابيض المتوسط، وكانت تقع في شارع يطلق عليه اسم شارع الحشائش.(٢)

٥ — سوق الدجاج والحمير : كانت تقع وراء سوق السمك السابقة الذكر، وهي عبارة عن ساحة كبيرة يباع فيها الدجاج والحمير.(٣)

٦ — سوق الخضار والفواكه والبهارات : كانت هذه السوق عبارة عن طريق طويلة ومسقوفة تباع فيها تلك الاصناف من البضاعة.(٤)

٧ — سوق القمح : كانت تقع على اليمين من برج داوود، وقد كانت عبارة عن ساحة كبيرة يباع فيها القمح.(٥) ولعل مدينة القدس كانت تستورد بعض القمح من عمان التي يصفها المقدسي بانها كانت "معدن الحبوب".(٦)

٨ — سوق الطباخين : يذكر الرحالة كازولا الذي زار القدس سنة ٩٠٠/ ١٤٩٤ ان من ابدع ما رأى في مدينة القدس الطرقات والاسواق المسقوفة التي تمتد بقدر ما يمتد بصر

---

١. الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٤٠٣.
٢. دي روتلان، المصدر ذاته، ص ١٤٦.
٣. المصدر والصفحة ذاتهما.
٤. المصدر والصفحة ذاتهما.
٥. المصدر ذاته، ص ١٤٥ — ١٤٦.
٦. المقدسي، المصدر ذاته، ص ١٧٥.

الناظر.(١) ومن هذه الاسواق سوق الطباخين التي زارها الرحالة حيث وجد فيها الاطعمة تباع مطبوخة وجاهزة للاكل.(٢) وقد اعجب كازولا بهذه السوق واخبر ان المقادسة لا يطبخون في بيوتهم بل يأكلون من الاطعمة التي كانت تباع جاهزة في هذه السوق.(٣) وقد لاحظ هذا الزائر ان الدجاج المطبوخ واللحم والبيض وغيرها من المأكولات الجاهزة كانت رخيصة السعر جدا.(٤)

٩ — سوق الزيت : كان يباع فيها زيت الزيتون ، وبها ايضا المصابن التي يعمل فيها الصابون.(٥) وقد كانت هذه السوق كبيرة وهامة في تلك المدينة بسبب وجود اصحاب المصابن الذين كانوا يشترون الزيت بكميات كبيرة.(٦) اما مصدر هذا الزيت فقد كان من الجبال والسهول القريبة من القدس، وكذلك من جبل نابلس.(٧)

---

١. كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٢٥١ .
٢. المصدر والصفحة ذاتهما ؛ فرانيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٩ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠٣ ، ٦٣٧ .
٣. كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٢٥١ .
٤. المصدر والصفحة ذاتهما .
٥. كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٢٥١ .
٦. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٨٦ — ٦٨٧ .
٧. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٨٦ .

١٠ — سوق القطانين : كان يباع فيها القطن ، وكانت توجد في حارة كان يطلق عليها اسم حارة باب القطانين.(١)

١١ — واخيرا سوق العطارين التي كانت مختصة ببيع مختلف انواع العطور.(٢)

د . الحجاج النصارى مورد رزق لمدينة القدس .

كانت مدينة القدس، كما سبق وذكرنا ، مدينة مقدسة عند النصارى . وبصفتها هذه كانت تستقبل وفودا عديدة من حجاجهم من مختلف البلاد المسيحية .(٣) فكان مجيء هؤلاء الحجاج واقامتهم في المدينة موردا من الموارد التي يرتزق منها سكان المدينة المقدسة . ومما لا يخفى على متصفح كتب الرحالة والحجاج النصارى الذين زاروا القدس في العهد المملوكي تعدد شكاواهم وتذمراتهم من كثرة الضرائب والرسوم المالية التي كانوا يدفعونها سواء للسلطات المملوكية او لمن كانوا يتعاملون معهم من ابناء المنطقة .(٤) وكان هم هؤلاء الوحيد هو ابتزاز اموال الحجاج الى اقصى حد ممكن.(٥) فقد كان الزائرون يدفعون مقدارا من المال يقع الاتفاق عليه بين ربان السفينة ونائب القدس الذي يحضر ليافا خصيصا لهذا الغرض.(٦)

---

١. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠٤ .

٢. المصدر والصفحة ذاتهما .

٣. ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، ج ٣ ، ص ١٤٧ ؛ كازولا ، المصدر ذاته ، ص ١٠٣ .

٤. دي روتلان ، المصدر ذاته ، ص ١٥٤ ؛ كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٢٧٠ ؛ دي لابروكييه، المصدر ذاته ، ص ٢٨٨ .

٥. فرانيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٨ .

٦. غيلفورد ، المصدر ذاته ، ص ١٥ — ١٧ ؛ دي لابروكييه ، المصدر ذاته ، ص ٢٨٦ ؛ بريسكون، المصدر ذاته ، ص ١٠٣ .

وعادة ابتزاز اموال الحجاج كانت سائدة ايضا عند اصحاب الدواب التي يستأجرها الحجاج من يافا الى القدس، وعند البدو الضاربين في المنطقة ليسمحوا لهم بالمرور في اراضيهم ، وكذلك عند حراس ابواب مدينة القدس.(١)

اما في مدينة القدس ذاتها فان هؤلاء الحجاج كانوا يدفعون مقادير من المال لكل الحراس القائمين بحراسة اماكن الزيارة التي يقصدها الحجاج النصارى.(٢) وخاصة منهم حراس كنيسة القيامة الذين كانوا يمنعون الزائرين من دخولها الا بعد مساومات طويلة.(٣) ويذكر دي روتلان (٤) انه لما زار القدس سنة ٦٦٠/ ١٢٦١ كان مقدار ما يدفعه الحاج الواحد لحراس اماكن الزيارة المسيحية في مدينة القدس يبلغ ثلاثين « besant »(٥)

---

١. فرانيكولو، المصدر ذاته، ص٨؛ دي لابروكييه، المصدر ذاته، ص٢٨٨؛ كازولا، المصدر ذاته، ص٢٧٠.

٢. دي روتلان، المصدر ذاته، ص١٥٤.

٣. كازولا، المصدر ذاته، ص٢٥٨.

٤. دي روتلان، المصدر ذاته، ص١٥٤.

٥. ال " besant " هو وحدة لنوع من انواع العملة التي كانت رائجة في عهد اباطرة الروم البيزنطيين بمدينة القسطنطينية، سميت وحدتها بال " besant " نسبة الى بيزنطا. وهذا النوع من العملة منها ما هو من ذهب ومنها ما هو من فضة. وقد كانت اكثر العملات انتشارا في القرون الوسطى ومعترفا بها في البلاد المسيحية والاسلامية على حد سواء؛

Lavoix, Henri, Monnaie A Legendes Arabes, Frappees en Syrie par les Croisades, Paris, Joseph Baer et Co., 1877, p. 51; Lane-Poule, Coins and Medals, Their place in History and Art, 3rd edit., London, Patermoster Row, 1894, p. 81.

اما عدد هؤلاء الحجاج فان المصادر التي بين ايدينا لا تذكر تحديدا له ، وكل ما نعرفه في هذا الصدد هو ان الحجاج والرحالة الاروبيين كانوا يتجمعون في البندقية او في جنوة ومن هنالك تبحر بهم سفن هاتين المدينتين الى الاراضي المقدسة.(١) ويذكر هايد ان سفن البندقية كانت تحمل عادة دفعتين من الحجاج سنويا.(٢)

هـ . العملة والمقاييس والاوزان التي كانت مستعملة في مدينة القدس .

كان سكان القدس يتعاملون في العهد المملوكي بالدنانير المصنوعة من الذهب(٣) والدراهم المصنوعة من الفضة.(٤) والفلوس(٥) المصنوعة من النحاس،(٦) وذلك

---

١. هايد ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٦٧ .

٢. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ .

٣. كان الدينار في العهد المملوكي الى سنة ٨٢٩/ ١٤٢٦ ، يشتمل على ما زنته حوالي ٤،٢٥ غرام من الذهب ؛ Popper, William, Egypt and Syria under The Circassian Sultans, 1382-1468 A.D.: Systematic Notes to ibn Taghri Birdi's Chronicles of Egypt, 2 vols., Berkley and Los Angles, University of California Press, 1955, 1957, vol. II pp. 44 - 45.

سنذكر هذا المؤلف فيما يلي تحت اسم بوبر .

٤. كان الدرهم في العهد المملوكي يزن غالبا حوالي ٢،٩٧٥ غرام ، والدرهم ثلثاه من فضة وثلثه الاخر من النحاس ؛ بوبر ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥١ .

٥. الفلوس جمع فلس واصلها أفْلُس . وكان الفلس يساوى حوالي ثلاثة من المليمات العصرية المصرية ويزن ٧٢ سنتغراما وهو من النحاس ؛ الكرملي ، الاب انستاس مارى البغدادى ، النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ، المطبعة العصرية ، ١٩٣٩ م ، ص ٦٧ ؛ بوبر ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٧ .

٦. القلقشندي ، المصدر ذاته ج ٣ ، ص ٤٣٩ - ٤٤٠ ، ٤٦٣ - ٤٦٤ ج ٤ ص ١٩٩ .

على غرار العملة التي كان يتعامل بها اهل مدينة دمشق في ذلك العهد.[١] هذا ولم ترد اية اشارة تدل على ان عملة خاصة بتلك المدينة كانت تصك فيها .

اما الاوزان والمقاييس التي كانت تستعمل في القدس فان المؤلف الوحيد الذي تصدى لذكرها هو القلقشندي . غير ان ما كتبه في هذا الصدد هو الان بياض[٢] بأصل المخطوط ، ولا نستوضح مما تبقى واضحا سوى ان اوزان تلك المدينة كانت بالرطل[٣] ومكاييلها بالغرارة[٤] ومقاييسها بالذراع.[٥]

---

١. المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ١٩٩ .

٢. انظر القلقشندي ، المصدر والصفحة ذاتهما .

٣. كان الرطل يزن في العهد المملوكي حوالي ١٩١١،٦ غرام ؛ بوبر ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠ .

٤. كانت الغرارة في دمشق تساوي ما حجمه بالاقدام المكعبة ١٨،٦٩ ؛ بوبر ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

٥. يذكر القلقشندي ان الذراع نوعان ذراع يستعمل في قياس البنيان من الدور وغيرها ، وذراع يستعمل في قياس الاقمشة . اما الاول فقد كان يطلق عليه اسم " ذراع العمل " ، كان طوله يساوي ثلاثة اشبار بشبر رجل معتدل . اما الذراع الثاني فقد كان يساوي ذراعا بذراع اليد واربع اصابع مطبوقة ؛ صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٤٤٢ — ٤٤٣ .

و ٠ مراكز الحمام :

ذكرنا في اول هذا الفصل ان مدينة القدس لم تكن مركزا تجاريا مهما ، ولم يكن هناك طريق رئيسي تجاري بالشام يمر بها ٠ وهذه القيمة الثانوية لمدينة القدس من الناحية التجارية تنطبق عليها ايضا من ناحية البريد فلم يكن هناك من البـــــــرد السلطانية ما يمر بالقدس في العهد المملوكي ، لا من القاهرة الى دمشق ولا من دمشق الى مختلف انحاء المملكة الشامية.(١) اما فيما يتعلق بمراكز الحمام فقد كان بمدينة القدس في العهد المملوكي برج ينزل فيه الحمام الحامل للبطائق(٢) واعتبرنا مركز الحمام الزاجل بالقدس موردا من موارد المدينة لان كل برج من هذه الابراج كان يعمل فيه عدد من الرجال لهم مرتبات من الخزينة السلطانية ٠ وفي هذا المعنى يقول الظاهري : "ومراكز الحمام ٠٠٠ لها براجة وخدام واقفاص وابغال للتدريج ومرتبات وارزاق لتصير الاخبار متصلة ٠٠"(٣) اما المراكز التي كان يحط فيها الحمام من قلعة الجبـــــل بالقاهرة الى القدس فهي كما يذكرها ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٢/ ١٣٤١)

---

١٠ المصدر ذاته ، ج ١٤ ، ص ٣٧٦ ؛ الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص ١١٨ — ١٢٠ ؛ Sauvaget, Jean, La poste aux chevaux dans l'empire des Mamlouks, Paris, Maisonneuve, 1941, p. 37.

سنذكر هذا المؤلف فيما يلي تحت اسم سوفاجي ٠

٢٠ القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ١٤ ، ص ٣٩٢ — ٣٩٣ ؛ سوفاجي ، المصدر ذاته ، ص ٣٧ ٠

٣٠ المصدر ذاته ، ص ١١٧ ٠

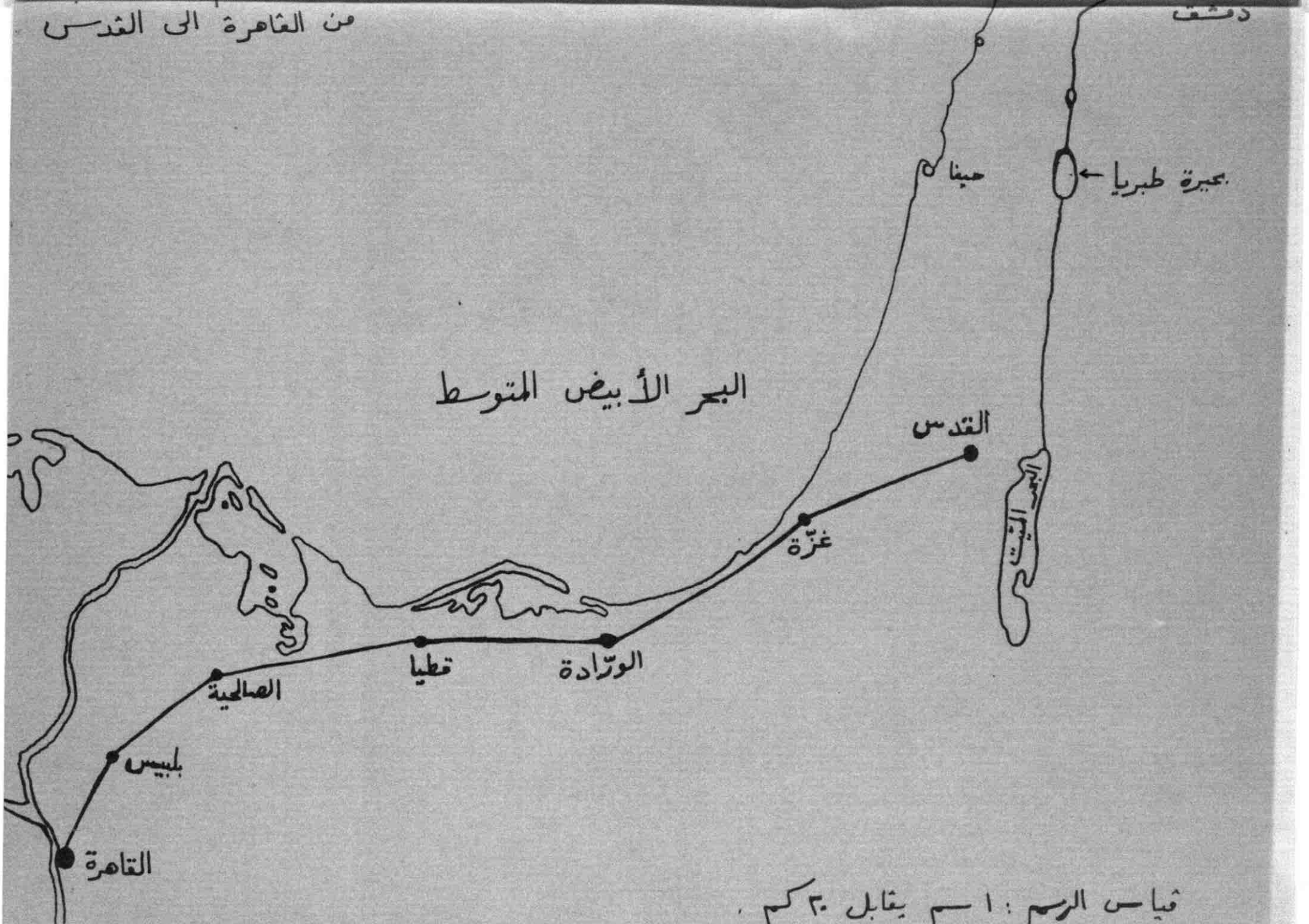

قياس الرسم : ١ سم يقابل ٣٠ كم .

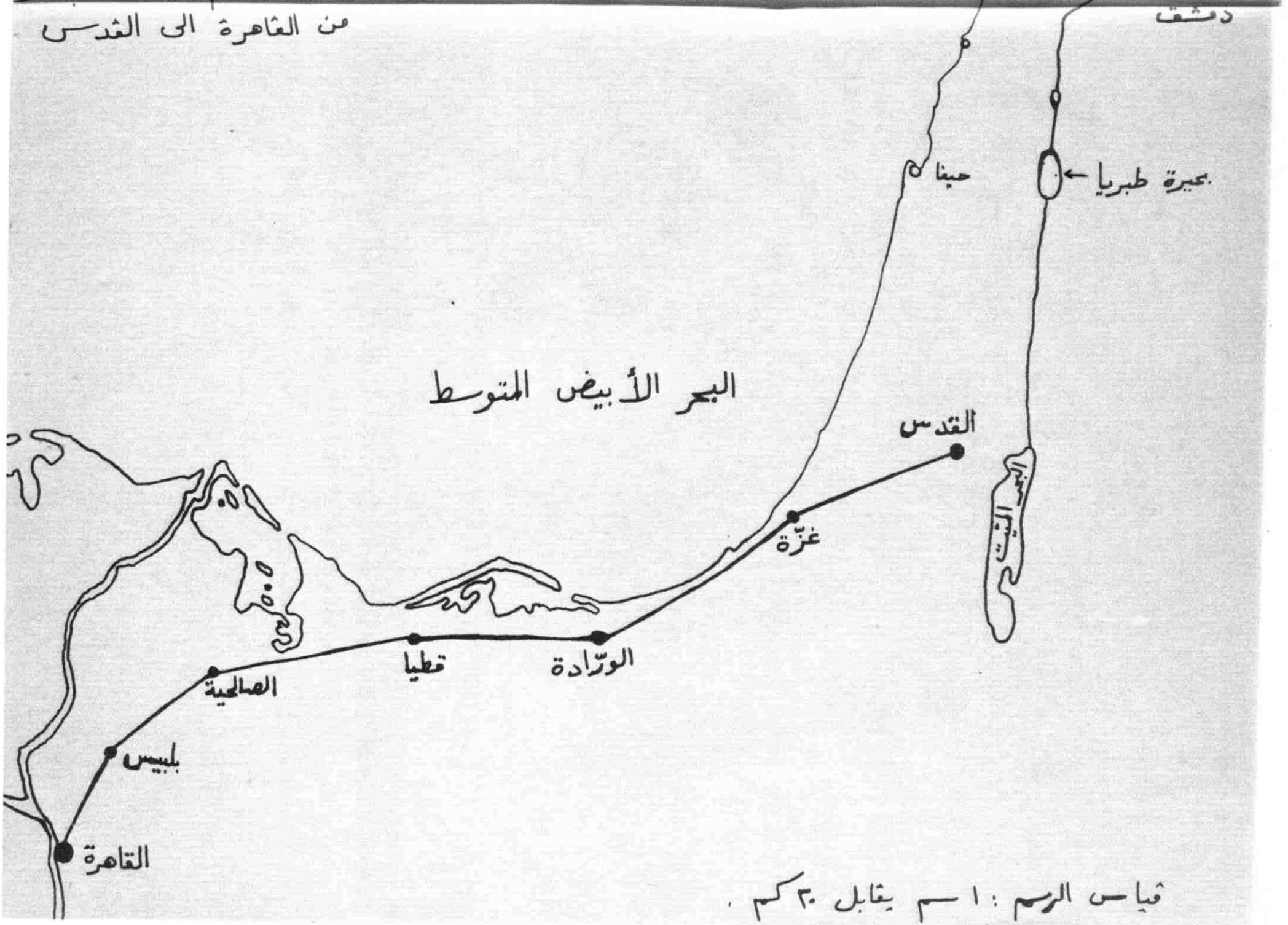

قياس الرسم : ١ سم يقابل ٣٠ كم .

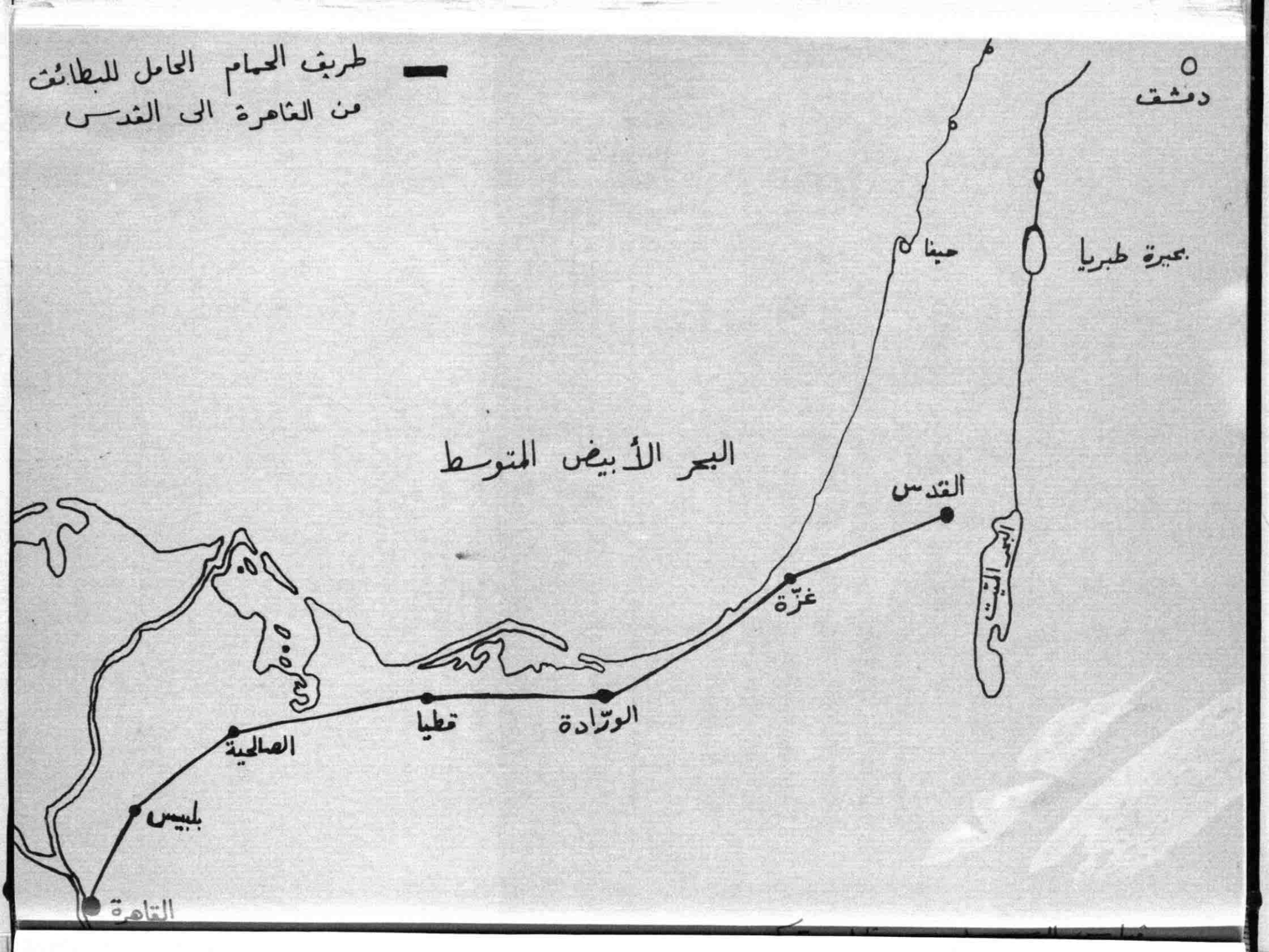
طريق الحمام الحامل للبطائق
من القاهرة الى القدس
دمشق
حيفا
بحيرة طبريا
البحر الأبيض المتوسط
القدس
غزة
الورّادة
قطيا
الصالحية
بلبيس
القاهرة

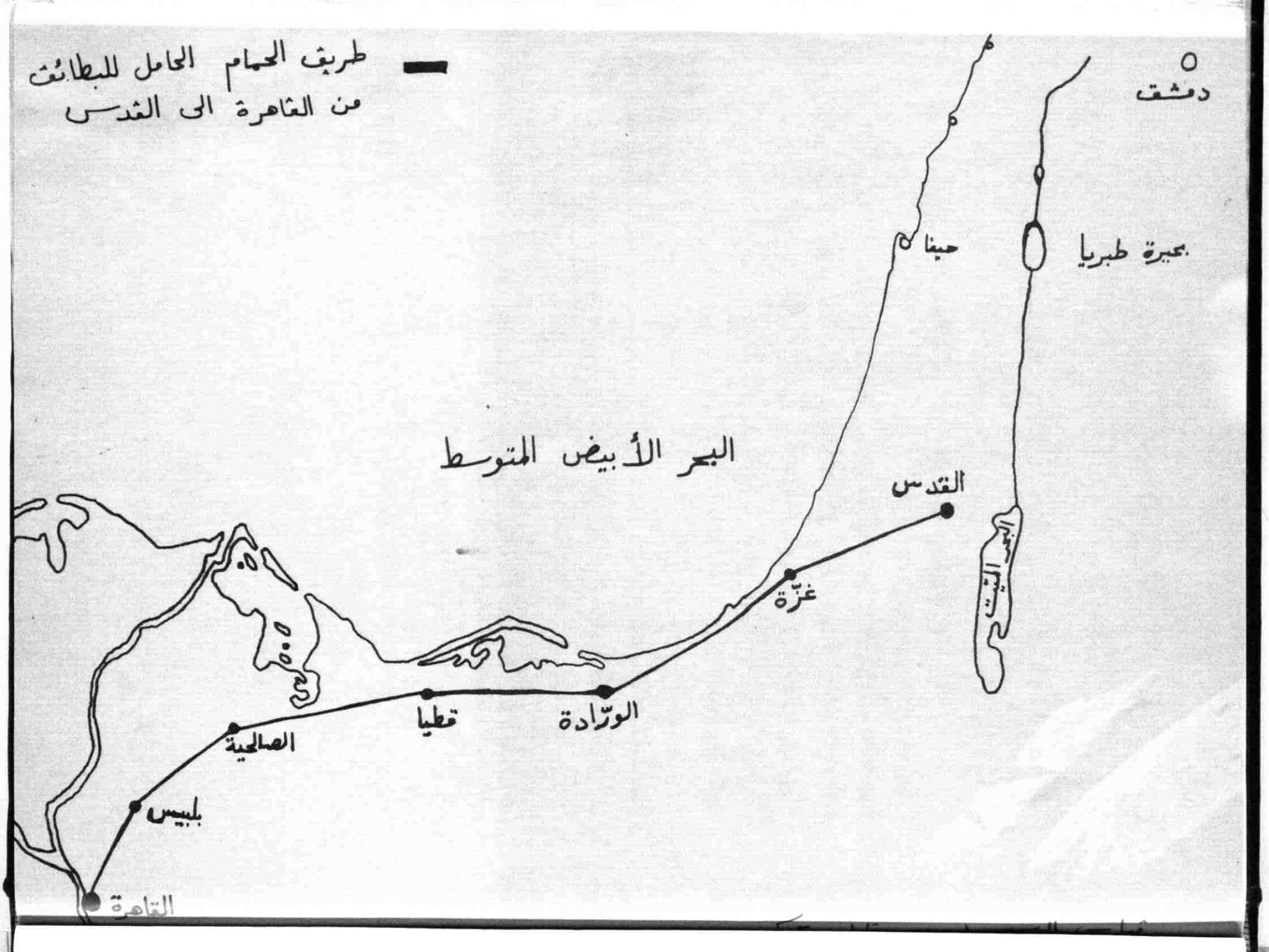
طريق الحمام الحامل للبطائق
من القاهرة الى القدس
دمشق
بحيرة طبريا
حيفا
البحر الأبيض المتوسط
القدس
البحر الميت
غزة
الورّادة
قطيا
الصالحية
بلبيس
القاهرة

والقلقشندي : القاهرة — بلبيس — الصالحية — قطيا — الورادة — غزة — القدس (١).

ز . الاحداث الطبيعية :

اذا كانت موارد القدس في العهد المملوكي ضعيفة وقليلة ، كما سبق ورأينا ، فأن الطبيعة ايضا كان لها دور فعال في هذا المجال . ففي سنة ٦٧٢/ ١٢٧٣ حصلت بمدينة القدس والرملة امراض وحميات مات منها عدد من سكان المدينة (٢) . اما في سنة ٦٩٥/ ١٢٩٥ فقد تأخرت الامطار ببلاد الشام ودخل الشتاء فأصاب اهل القدس من ذلك ضيق عظيم ، يصف المؤرخ المجهول ما اصاب الناس من هذا الجفاف بقوله ان "الرجل المسافر كان يريد يسقي دابته بدرهم ويشرب هو بربع درهم وظهر القحط في الارض وقلة العشب" (٣) . ويذكر ابن الفرات نتائج هذا القحط قائلا ان الناس كانوا في ضيق عظيم وتزايدات الاسعار

---

١ . ابن فضل الله العمري ، ابو العباس احمد بن يحيى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ، مطبعة العاصمة ، ١٣١٢/ ١٨٩٤ ، ص١٩٧ ؛ القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ١٤ ، ص٣٩٢ — ٣٩٣ .

٢ . المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص٦١٢ .

٣ . المؤرخ المجهول ، تاريخ ، ص ٣٧ .

"الى الغاية ولا سيما بلاد حوران والقدس ونابلس".(١) وبلغت غرارة القمح في القدس والساحل "الى مائتي درهم وعشرين والشعير بالنصف من ذلك ، واللحم الرطل الى عشرة دراهم ، والفاكهة الى اربعة امثالها".(٢) وكان ذلك نتيجة فوات اوان الزرع وجفاف الآبار ونضوب ماء عين سلوان التي بوادي جهنم .(٣) ويذكر الدمشقي (ت٧٢٧/ ١٣٢٧) انه في سنة ٧٠٠/ ١٣٠٠ نزل جبل شامخ في بيت المقدس واستوى مع الارض.(٤) ولم يذكر المؤلف مقدار ما احدثه نزول الجبل من الخسائر في مدينة القدس . وفي سنة ٧٤٣/ ١٣٤٢ اجتاح الجراد مدينتي القدس وغزة وبلغ من الكثرة حدا منع الناس من رؤية السماء ، وقد اجتاح الطاعون مدينة القدس مرة اخرى سنة ٨٨١/ ١٤٧٦ فبقي في المدينة مدة طويلة وقضى على عدد كبير من سكانها يذكره الحنبلي قائلا : " .. ولم يزل الطاعون بالقدس ... الى سنة ٨٨٢/ ١٤٧٧ وافنى خلقا من الشباب والنساء واهل الذمة ولم يكن طال

---

١. ابن الفرات ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٢١٠ .

٢. المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ، (ت٨٥٤/ ١٤٥٠) ، كتاب اغاثة الامة بكشف الغمة ، نشره مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٩ / ١٩٤٠ ، ص ٣٤ .

٣. المصدر ذاته ، ص ٣٢ .

٤. الدمشقي ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ٨٥ .

ببلد اكثر من بيت المقدس "٠[١] وكذلك دخل الطاعون القدس سنة ٨٩٧/ ١٤٩١ فأفنى عددا كبيرا من الاطفال والشباب "وافنى طائفة الهنود عن اخرهم وكذلك الحبش ومات جماعة من الاخيار الصالحين "٠[٢] وهكذا نرى ان الوباء والقحط والجراد كان لها دورها الفعال في تقليل موارد القدس الاقتصادية ، بالاضافة الى وضع هذه المدينة التجاري المحدود الاهمية ٠

---

١٠ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٥٠ ٠

٢٠ المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٩٠ ٠

الفصل السابع

العمران

آ — مظهر المدينة العمراني اجمالا ٠

تقع مدينة القدس على جبل عال مستدير،[١] محاط بعدد من الجبال ٠ وبسبب موقعها هذا كان قاصدها ، لا يتمكن من رؤيتها الا اذا كانت المسافة التي تفصله عنها لا تزيد على الميل الواحد ٠[٢] وكانت رؤية مدينة القدس من تلك المسافة تعد في ذلك العهد من العجائب المشهورة لحسن منظرها ٠[٣] فاذا قطع المسافر الجبال المحيطة بالقدس وصعد للمدينة فان كل المشقة التي حصلت له في الطريق تزول لما كان يجد فيها من انس وبهجة ٠[٤]

يصف ياقوت الرومي (ت٦٢٦/ ١٢٢٨) هذه المدينة قائلا : "ان ارضها وضياعها كلها جبال شامخة وليس حولها ولا بالقرب منها ارض وطيئة البتة ٠٠٠ واما نفس المدينة فهي على فضاء في وسط الجبال وارضها كلها حجر من الجبال التي هي عليها ٠"[٥]

---

١٠ العمري ، مسالك الابصار ، ج ٣ ، ص ١٨٠ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٠٢ ٠

٢٠ فرانيكولو ، المصدر ذاته ، ص ١٠ ٠

٣٠ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ ٠

٤٠ المصدر والصفحة ذاتهما ٠

٥٠ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ١٦٨ ٠

ب ٠ سورها وابوابها :

لما تسلم صلاح الدين الايوبي مدينة القدس من الصليبيين سنة ٥٨٨/ ١١٩٢ اعاد بناء سور تلك المدينة ٠ وقد عمل صلاح الدين بنفسه في بنائه وكذلك فعل اولاده والامراء والقضاة والعلماء والصوفية.(١) حتى تعمر ذلك السور وشمخ بمناعته وجودة بنائه.(٢) غير ان هذا السور هدم من جديد في سنة ٦١٦/ ١٢١٩ بأمر من الملك المعظم وذلك خوفا من ان يتملك الفرنج مدينة القدس بعد ان تملكوا مدينة دمياط.(٣)

اما في العهد المملوكي فقد كانت اسوار تلك المدينة يغلب عليها الخراب وحتى العناية بترميمها كانت قليلة ٠ فلا نجد في المراجع المتوفرة لدينا ما يشير الى اي ترميم حصل في اسوار القدس، في ذلك العهد ، الا اشارتين يذكرهما الحنبلي ٠ يذكر في الاولى ان السلطان الملك العادل كتبغا الذي تولى السلطنة سنة ٦٩٤/ ١٢٩٤ جدد عمارة السور الشرقي المطل على مقبرة باب الرحمة في شهور سنة ٦٩٥/ ١٢٩٥.(٤) والاشارة الثانية يذكر فيها ان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون عمر سور مدينة القدس القبلي الذي عند محراب داود سنة ٧٠١/ ١٣٠١.(٥)

---

١٠ الاصفهاني ، الفتح القسي ، ص٣٠٢ ٠

٢٠ ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن (ت٧٣٩/ ١٣٣٨) ، مراصد الاطلاع في الامكنة والبقاع ، ج ٦ ، حققه يونبول وغال ، ليدن ، بريل ، ١٨٥٠ — ١٨٦٤م ، ج ٣ ، ص ١٣١ ٠

٣٠ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٥٥ ٠

٤٠ المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ ٠

٥٠ المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ ٠

غير انه على الرغم من هذه الترميمات كان سور القدس يغلب عليه الخراب . فقد ذكر ابن عبد الحق الذي توفي سنة ٧٣٩/ ١٣٣٨ انه شاهد سور تلك المدينة وهو مخرب ،[١] وكذلك تحدث فرانيكولو الذي زار القدس سنة ٧٤٦/ ١٣٤٦ عن عدم مناعة اسوار المدينة بقوله انه باستطاعة مائتي فارس فقط الاستيلاء عليها .[٢] وقد اكد ذلك ايضا الرحالة كازولا لما زار القدس سنة ٨٩٩/ ١٤٩٤ .[٣]

اما ابواب مدينة القدس في العهد المملوكي فقد كان تعدادها عشرة ابواب هي :

من الجهة الجنوبية للمدينة بابان : ١ — باب حارة المغاربة ٢٠ — باب صهيون ، المشهور زمن الحنبلي بباب حارة اليهود .[٤]

ومن الجهة الغربية كان للمدينة ثلاثة ابواب : ١ — باب سر صغير قرب دير الارمن ،[٥] وهو في عصرنا الحاضر مسدود .[٦] ٢ — باب المحراب ، كان يطلق عليه

---

١ . ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج ٣ ، ص ١٣١ .
٢ . فرانيكولو ، المصدر ذاته ، ص ١٠ .
٣ . كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٢٥٦ .
٤ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ .
٥ . المصدر والصفحة ذاتهما .
٦ . لوسترانج ، المصدر ذاته ، ص ٢١٥ .

في زمن الحنبلي باب الخليل.[١] ٣ ـ باب الرحبة،[٢] وهو الان مغلق.[٣] اما من الجهة الشمالية فكان للمدينة اربعة ابواب: ١ ـ باب دير السرب،[٤] وهو غير موجود الان[٥]. ٢ ـ باب العامود.[٦] ٣ ـ باب الداعية "المتوصل منه الى حارة بني زيد"،[٧] وهو الان غير موجود ولا يعرف اين كان يقسم بالضبط.[٨] ٤ ـ باب الساهرة.[٩] اما من الجهة الشرقية فقد كان للمدينة باب واحد هو باب الاسباط.[١٠]

ويضيف الحنبلي بعد ذكره لابواب مدينة القدس العشرة هذه، ان للمدينة بابين آخرين كانا مسدودين في عهده.[١١]

ج. طرقات المدينة واسواقها ومساكنها:

يذكر العمري ان مدينة القدس كان متغلبا عليها الخراب والهدم من العهد الصليبي الى زمنه (ت٧٤٢/ ١٣٤١)، وانه وقع الاهتمام بها في ايامه حيث "انصرفت الهمم

---

١. الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص٤٠٦ ـ ٤٠٧.
٢. المصدر ذاته، ص٤٠٧.
٣. لوسترانج، المصدر ذاته، ص٢١٥.
٤. الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص٤٠٧.
٥. لوسترانج، المصدر ذاته، ص٢١٥.
٦. الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص٤٠٧.
٧. المصدر والصفحة ذاتهما.
٨. لوسترانج، المصدر ذاته، ص٢١٥ ـ ٢١٦.
٩. الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص٤٠٧.
١٠. المصدر والصفحة ذاتهما.
١١. المصدر والصفحة ذاتهما.

الى عمارة اماكن بها وتوفرت الدواعي عليها ...»(١) ويؤكد القلقشندي هذا المعنى ذاكرا ان امر مدينة القدس تراجع للعمران في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون الى ان "صارت في نهاية الحسن ، بها المدارس والحمامات والاسواق وغيرها". (٢) اما الرحالة فرانيكولو فقد امدنا بمعلومات دقيقة ومفصلة عن بناء طرقات ومساكن القدس في العهد المملوكي ، فهو يذكر ان طرقات مدينة القدس كانت مبلطة بالحجر ونظيفة ، وكانت الامطار التي تهطل في القدس لا ينتج عنها انتشار الوحل في الطرقات ولا تسبب اي ازعاج للمارة. (٣) ويضيف ان كثيرا من طرقات المدينة كانت مسقوفة بقباب صغيرة. (٤) وبعض هذه الطرقات المسقوفة كانت اسواقا تباع فيها المأكولات والاقمشة. (٥) وقد نالت هذه الطرقات والاسواق ، خاصة المسقوفة منها ، اعجاب الرحالة كازولا حيث اعتبرها من ابدع ما شاهد في مدينة القدس. وذكر ان هذا النوع من الشوارع يمتد امام الناظر بقدر ما يمتد بصره. (٦) غير ان بعض طرقات هذه المدينة كانت في ذلك العهد ضيقة ووعرة المسلك. (٧)

---

١. ابن فضل الله العمري ، المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .
٢. القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ١٠١ .
٣. فرانيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٩ .
٤. المصدر والصفحة ذاتهما .
٥. المصدر والصفحة ذاتهما .
٦. كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٢٥١ .
٧. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ .

اما بيوت المدينة التي كانت مبنية بالحجر المنحوت والكلس [١] فقد كانت كثيرة التلاصق [٢] بحيث "لو تفرق [البناء] على حكم غالب مدن مملكة الاسلام لكان حجم المدينة [القدس] ضعف ما هو عليه". [٣]

وان نالت اسواق وشوارع القدس اعجاب كازولا فان بيوت سكنها لم تعجبه لانها كانت، كما وصفها، كثيرة التداخل والالتحام وبشعة المظهر. [٤] ويذكر ان نمط بناء تلك البيوت كان عبارة عن اقبية تعلوها اقبية وسطوحها مسطحة. [٥] اما الحنبلي، ابن مدينة القدس البار، فانه يصف اتقان بناء مدينة القدس بقوله: "واما بناء بيت المقدس فهو في غاية الاحكام والاتقان جميعه بالاحجار البيض النحت، وسقفه معقود، وليس في بنائه لبن ولا في سقفه خشب. وقد ذكر المسافرون انه لم يكن في جميع المملكة اتقن عمارة، ولا احسن رؤية، من بناء بيت المقدس، وفي معناه بناء بلد سيدنا الخليل عليه السلام. لكن بناء القدس امكن واتقن ويقرب منه بناء مدينة نابلس. فهذه المدن الثلاث بناؤها متقن لكونها في الجبل والحجارة فيها كثيرة متيسرة". [٦]

---

١. ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج ٣، ص ١٨٠؛ ابن بطوطة، المصدر ذاته، ص ٥٧.
٢. كازولا، المصدر ذاته، ص ٢٥٠.
٣. الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٤٠٠.
٤. كازولا، المصدر ذاته، ص ٢٥٠.
٥. المصدر ذاته، ص ٢٥١.
٦. الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٤٠٦.

د • اهم المزارات في مدينة القدس •

١ — اهم المزارات الاسلامية : الحرم الشريف •

يقع الحرم الشريف في طرف مدينة القدس الشرقي.(١) اما صفات هذا الحرم ومقاييسه في العهد المملوكي ، فقد نقلها الينا من مؤرخي ذلك العصر وزواره شهاب الدين النويري في كتابه نهاية الارب في فنون الادب وابن عبد الحق في مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع وابن بطوطة في رحلته والزائر الايطالي كازولا ، وآخرهم واهمهم مجير الدين الحنبلي في كتابه الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل • وفي ما يلي وصف هذا الحرم كما ذكره هؤلاء المؤرخون والزوار ، مع ملاحظة ان صفة ذلك الحرم كما ذكرها الحنبلي هي ذاتها التي عليها هذا الحرم في عصرنا الحاضر.(٢)

طول الحرم الشريف من الشرق الى الغرب ، دون حساب السورين ، ستمائة وستون ذراعا وعرضه اربعمائة وستة اذرع.(٣) بذراع العمل.(٤) اما ابواب الحرم فقد كانت

١• ابن حوقل ، صورة الارض ، ج ١ ، ص ١٧١ •

٢• لوسترانج ، المصدر ذاته ، ص ١١٠ •

٣• الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٧٧ •

٤• "ذراع العمل" هو الذراع الذي كانت تقاس به ارض البنيان من الدور وغيرها ، طول هذا الذراع ثلاثة اشبار بشبر رجل معتدل ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٤٤٢ — ٤٤٣ • ويذكر لوسترانج انه بعد ان طبق المقاييس التي ذكرها الحنبلي على الحرم الشريف وجد ان "ذراع العمل" تساوي بالاقدام حوالي قدمان وربع القدم ، اى ما يساوي بالسنتمترات حوالي ٦٨،٥٠ ؛ لوسترانج ، المصدر ذاته ، ص ١١٠ •

ثمانية في زمن الحنبلي [١] وهو العدد ذاته لابواب الحرم الان .[٢]

هذا ويشتمل الحرم الشريف على عدة مساجد وابنية دينية توجد داخله ، منها المسجد الاقصى .

ترجع تسمية هذا المسجد — بالاقصى — الى الاسراء ومعراج النبي (صلعم) الذي زار الاقصى اثناء الاسراء . وقد وردت هذه التسمية في قوله تعالى :(سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله).[٣] اما النويري [٤] فانه يرجع تسمية هذا المسجد بالاقصى الى كونه ابعد المساجد التي تزار وتشد لها الرحال . ويقصد بهذه المساجد التي تزار مسجد مكة ومسجد المدينة والمسجد الاقصى .[٥]

يقع المسجد الاقصى في صدر الحرم الشريف عند القبلة ،[٦] طوله مائة ذراع وعرضه ستة وسبعون ذراعا بذراع العمل .[٧] ويشتمل هذا المسجد على بناء عظيم به قبة مرتفعة مزينة بالفصوص الملونة ، وعدة ما فيه من العمد خمسة واربعون عمودا منها ثلاثة وثلاثون من الرخام واثنا عشر من الحجر .[٨] وقد كان صدر المسجد الاقصى القبلي وبعض الشرقي مبنيين بالرخام الملون .[٩]

---

١ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ — ٣٨٤ .
٢ . لوسترانج ، المصدر ذاته ، ص ١١٠ .
٣ . قرآن كريم ، سورة ١٧ ، آية ١ .
٤ . النويري ، المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ٣١٤ .
٥ . ابن حوقل ، صورة الارض ، ج ١ ، ص ١٧١ .
٦ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٦٦ .
٧ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ .
٨ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٦٦ .
٩ . المصدر والصفحة ذاتهما .

ومن المساجد الواقعة داخل الحرم ايضا مسجد المغاربة ، يقع في الجهة الغربية من الحرم الشريف ، ويقال ان مسجد المغاربة هذا هو من بناء سيدنا عمر بن الخطاب.(١)

وفي الحرم الشريف توجد ايضا الصخرة الشريفة ومسجدها وقبتها . وهذه الصخرة هي عبارة عن حجر كبير مرتفع كالدكة غير مستو.(٢) وهي الصخرة الكريمة التي عرج منها النبي (صلعم) الى السماء.(٣)

اما قبة الصخرة التي بناها الوليد بن عبد الملك فقد كانت كما يصفها ابن بطوطة " من اعجب المباني واتقنها واغربها شكلا ، قد توفر حظها من المحاسن واخذت من كل بديعة بطرف ... وفي ظاهرها وباطنها من انواع الزواقة ، ورائق الصنعة ما يعجز الوصف ، واكثر ذلك مغشي بالذهب ، فهي تتلألأ نورا وتلمع لمعان البرق ، يحار بصر متأملها في محاسنها ، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها."(٤) وعلو قبة الصخرة ، كما يذكر الحنبلي ، احد وخمسون ذراعا بذراع العمل ،(٥) وهي مرتفعة على اثني عشر عمودا من رخام واربع سواري من حجر.(٦) وكانت ارضها وحيطانها مبنية بالرخام باطنا وظاهرا " ومزينة بالفصوص الملونة في العلو من الباطن والظاهر ".(٧)

---

١. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ .

٢. ابن حوقل ، المصدر ذاته ، ص ١٧١ ؛ ابن عبد الحق ، المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ١٣١ ؛ ابن بطوطة ، المصدر ذاته ، ص ٥٨ ؛ القلقشندي ، المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ١٠١ .

٣. ابن بطوطة ، المصدر ذاته ، ص ٥٨ .

٤. المصدر والصفحة ذاتهما .

٥. انظر مدلول هذا الذراع في هذه الدراسة ص ١١٣ .

٦. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .

٧. المصدر والصفحة ذاتهما .

اما البناء الذي فوقه قبة الصخرة فهو على حكم التثمين تتخلله اعمدة ، محيطة من الخارج مائتا ذراع واربعون ذراعا بذراع العمل.(١)

وبهذا البناء ابواب القبة الاربعة التي يفتح كل باب منها على جهة من الجهات الاربع ، وكان لكل باب من هذه الابواب عضائد وعمد من رخام وسقف يعلوه.(٢) اما صحن الصخرة الذي كان مفروشا بالبلاط الابيض فطوله مائتان وثلاثون ذراعا وعرضه ، شرقا بغرب ، مائة وتسعة وثمانون ذراعا بذراع العمل.(٣)

هذا وقد كان للحرم اربعة منائر ، الاولى على مقدم المسجد من جهة القبلة ، والثانية على باب السلسلة على الجانب الغربي من المسجد وهي من بناء تنكز نائب الشام ، والثالثة على مؤخر المسجد من جهة الشمال ، اما الرابعة فهي على الجهة الشمالية من المسجد وقد بناها قطلوبغا ناظر الحرمين سنة ٧٦٩/ ١٣٦٧ في سلطنة الملك الاشرف شعبان.(٤)

والذي تجب ملاحظته في هذا المجال هو ان قدرا كبيرا من الترميمات والتزويقات التي تمت في مدينة القدس في العهد الذي ندرسه ، كانت في المباني الدينية . وقد نال المسجد الاقصى وقبة الصخرة القدر الكبير من ذلك الترميم والاصلاح . فقد اهتم سلاطين المماليك بالحرم الشريف ، بما فيه المسجد الاقصى والصخرة الشريفة ، منذ اول عهدهم ، فقد جهز الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٥٩/ ١٢٦٠ الاموال والآلات والصناع

---

١. ابن عبد الحق ، المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ١٣١ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .

٢. ابن عبد الحق ، المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ١٣١ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ .

٣. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ ، ٣٧٧ .

٤. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ .

لعمارة قبة الصخرة التي كانت قد وهت وتداعت للسقوط.[١] وفي زيارة هذا السلطان للقدس سنة ٦٦١/ ١٢٦٢ امر بعمارة المسجد الاقصى ورتب له في كل سنة خمسة الاف درهم[٢] ثم في سنة ٦٦٨/ ١٢٦٩ في زيارة اخرى له لمدينة القدس، جدد فصوص الصخرة الثمينة على الرخام من الظاهر.[٣] وكذلك وضع الدرابزين حول الصخرة وعمل فيها منبرا وسقفه بالذهب[٤] وفي عهده ايضا بلط صحن الصخرة الشريفة.[٥]

وفي زمن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي (ت٦٨٩/ ١٢٩٠) عمر سقف المسجد الاقصى من جهة القبلة.[٦] وفي سنة ٦٩٤/ ١٢٩٤، في عهد السلطان الملك العادل كتبغا، جدد عمل فصوص الصخرة.[٧] اما في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فقد رخم هذا السلطان صدر المسجد الاقصى، وفتح به الشباكين اللذين على يمين المحراب وشماله وجدد تذهيب قبته.[٨] وكذلك ادخل الى المسجد الاقصى

---

١. ابن الوردي، المصدر ذاته، ج ٢، ص٢١٩؛ الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص٤٣٣.
٢. المقريزي، السلوك، ج ١، قسم ٢، ص٤٩١.
٣. الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص٤٣٤.
٤. المصدر ذاته، ج ٢، ص٤٣٤.
٥. المصدر ذاته، ج ٢، ص٦٠٦.
٦. المصدر ذاته، ج ٢، ص٤٣٥.
٧. المصدر ذاته، ج ٢، ص٤٣٦.
٨. ابن شاكر الكتبي، المصدر ذاته، ج ١، ص١٧٥؛ ابن كثير، المصدر ذاته، ج ١٤، ص١٣٣؛ الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص٤٣٨.

قناة ماء ، وبنى بركة هائلة مرخمة ما بين الصخرة والمسجد الاقصى .(١) اما قبة الصخرة فقد جددها وذهبها في سنة ٧١٨/ ١٣١٨ ،(٢) ولما تسلطن الملك الاشرف شعبان سنة ٧٦٤/ ١٣٦٢ تم تجديد الابواب الخشبية المركبة على ابواب الجامع الاقصى .(٣) اما دكة المؤذنين التي تقع تجاه محراب الصخرة فقد عمرها الظاهر برقوق سنة ٧٩٧ / ١٣٩٤ .(٤) هذا وقد جددت في العهد المملوكي المنائر الاربعة التي على الاقصى ، وآخر منارة منها جددت سنة ٧٦٩/ ١٣٦٧ (٥) في سلطنة الملك الاشرف شعبان .

ويصف ابن بطوطة المسجد الاقصى بقوله : " هو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن " .(٦) اما كازولا الرحالة فقد ذكر ان المسجد الاقصى مبنى بديع جدا ، ومتين البناء اذا قارناه بمعظم المساكن والبيوت التي في القدس .(٧) ويضيف قائلا ان الناظر الى فناء هذا المسجد المبلط بالرخام الناصع البياض ، لا يمكنه الا ان يبدي دهشته واستحسانه .(٨)

---

١ . ابن شاكر الكتبي ، المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ١٧٥ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ .

٢ . المصدر والصفحة ذاتهما .

٣ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ .

٤ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤٠ — ٤٤١ .

٥ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ — ٣٨٠ .

٦ . ابن بطوطة ، المصدر ذاته ، ص ٥٧ .

٧ . كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٢٤٩ .

٨ . المصدر والصفحة ذاتهما .

الحرم الشريف والاعياد ·

كان للحرم الشريف بمدينة القدس مكانة خاصة عند المسلمين عامة والمقادسة خاصة · فهو ثالث الحرمين بعد المسجد الحرام ومسجد المدينة ، وبه المسجد الاقصى الذي زاره النبي (صلعم) في اسرائه ، وبه ايضا الصخرة الشريفة التي كانت اولى القبلتين في الاسلام · فلا غرو اذا ، وهذا مقام الحرم الشريف عند المسلمين ، ان يكون مركز الاحتفالات الدينية والسياسية والمدنية التي كانت تقام في تلك المدينة ·

اما في المناسبات الدينية فقد كانت تقام الاحتفالات في اماكن عديدة من ذلك الحرم · ففي رمضان كانت تقام صلاة التراويح بالجامع الاقصى وبمغارة الصخرة وعند ابواب الحرم · وكان اكثر سكان القدس يحضرون هذه الصلاة كامل شهر رمضان ، حتى ان عددا من الائمة ، بداخل الجامع الاقصى والصخرة وعند ابواب الحرم ، كانوا لا يقومون بوظيفتهم هذه الا في صلاة التراويح اي في شهر رمضان فقط.[١] واما في ليلة النصف من شعبان ، وهي الليلة التي تعتبر من اشهر ليالي اعياد القدس واعظمها ، وفي ليلة المعراج وهي ليلة السابع والعشرين من رجب ، وفي ليلة المولد الشريف ، وكذلك في ليلة السابع والعشرين من رمضان ، فان مدينة القدس في كل هذه الاعياد كانت تلبس حلة العيد القشيبة وتقام فيها الاحتفالات والزينة.[٢] وقد كانت هذه الاحتفالات الدينية متمركزة اكثر ما يكون في الحرم الشريف ، فتوقد قناديل المسجد الاقصى والصخرة كلها وهي تزيد على عشرين الف قنديل ، بعد ان كان عدد القناديل الموقدة في الايام العادية لا يتجاوز ، في المسجد الاقصى والصخرة معا ، الفا ومائتين وخمسين قنديلا.[٣]

---

١ · الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ ·

٢ · المصدر والصفحة ذاتهما ·

٣ · المصدر والصفحة ذاتهما ·

ويذكر الحنبلي ان هذا العدد من المصابيح لا توقد ، في ذلك العهد ، في اي مسجد من مساجد البلاد الاسلامية قاطبة .(١)

اما في ما يتعلق بالاحتفالات السياسية والمدنية في القدس فقد كان الحرم الشريف مركزها ايضا . ففيه كانت تقام اغلب الاحتفالات عندما يزور احد سلاطين المماليك تلك المدينة .(٢) وكان الواحد منهم يزور الحرم والامكنة الشريفة التي فيه ثم يصلي بقبة الصخرة ويتصدق ، وبعد ذلك يجلس في محراب المسجد الاقصى لسماع الشكاوى وحل القضايا التي تعرض عليه من خاصة القوم وعامتهم .(٣) ويبقى السلطان في المسجد الى ما بعد صلاة العشاء ، يحيط به في المحراب عدد من الامراء واركان الدولة والقضاة .(٤) وكانت هذه الاحتفالات تتم في جو كله زينة وابتهاج ، فتوقد القناديل في المسجد الاقصى والصخرة على العادة التي تكون في الاعياد الدينية الكبيرة مثل ليلة نصف شعبان وليلة المولد النبوي الشريف ، ويقرأ على السلطان وجموع الناس الحاضرين في المسجد ما يتيسر من القرآن الكريم ، وبعدها يصلي السلطان العشاء وراء امام المسجد ثم ينصرف بما استقبل به من حفاوة وتكريم .(٥)

---

١ . المصدر والصفحة ذاتهما .

٢ . ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٧٤ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ — ٤٤٠ .

٣ . ابن عبد الظاهر ، المصدر ذاته ، ص ٧٤ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤٠ ، ٥٦٠ ، ٦٣٠ .

٤ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ .

٥ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤٠ — ٤٤٣ ، ٥٦٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٨ .

اما نواب السلطنة بالقدس فقد كانوا يزورون الحرم الشريف يوم وصولهم الى القدس وهناك يستقبلهم الاهلون وكانت تقام في المدينة والحرم مهرجانات شعبية احتفاء بالنائب الجديد.(١) وعلى غرار ما كان يقام للنواب الجدد من احتفال في الحرم ، كان خطباء المسجد الاقصى وقضاة القدس . فبعد ان يعين الواحد من هؤلاء في وظيفته يدخل المسجد الاقصى مع عدد كبير من سكان القدس المحتفلين ثم يجلس في محراب المسجد ، وعندها يتولى احد القضاة قراءة توقيع التولية ، وكانت احتفالات تولية الخطباء والقضاة تقع عادة بعد صلاة الجمعة في المسجد الاقصى في مهرجانات شعبية حافلة.(٢)

---

١. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٢٧ .

٢. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٣٢ ، ٦٣٧ — ٦٣٨ ، ٦٤٤ .

٢ — اهم المزارات المسيحية : كنيسة القيامة .

اذا تصفحنا المراجع العربية التي كتبت في العهد المملوكي ، لوجدنا مؤلفيها يندر جدا ان يكتبوا عن المعالم والكنائس المسيحية . وبالنسبة لكنيسة القيامة ، التي هي اعظم الكنائس المسيحية في القدس،[١] لا نجد المؤرخين المسلمين في ذلك العصر يعيرونها اي اهتمام يذكر . وعلى سبيل المثال نذكر فيما يلي ما كتبه الحنبلي عن هذه الكنيسة ، مع ملاحظة ان النص الذي سنذكره الان لهذا المؤرخ هو اطول النصوص التي كتبت عن هذه الكنيسة في الكتب العربية في العهد المملوكي ، يقول : "وفي القدس الشريف عدة من الكنائس والديارات من زمن الروم نحو عشرين مكانا . وعمدة النصارى منها كنيسة قمامة فانها عندهم بمكان عظيم ، وبناؤها في غاية الاحكام والاتقان ، ويقصدونها في كل سنة في عدة اوقات من بلاد الروم والافرنج ومن بلاد الارمن ومن الديار المصرية والمملكة الشامية وسائر الاقطار ، ويسمونها القيامة ويزعمون ان حجهم اليها ".[٢]

اما الحجاج والرحالة النصارى فقد اهتموا بذكر كل ما يتعلق بهذه الكنيسة ، وامدونا بتفصيلات كثيرة . غير اننا سنقتصر في هذه الدراسة على ذكر ما جد في هذه الكنيسة ، وذلك لان بناءها بقي على حاله كما كان قبل ذلك العهد . وسبب بقاء بناء تلك الكنيسة كما هو في العهد المملوكي مرجعه ان السلطات المملوكية لم تغير شيئا من بناء تلك الكنيسة بل ابقتها كما وجدتها .[٣] وكذلك لم يحصل في تلك الكنيسة شيء من بناء وترميم ، وذلك لان المماليك كانوا يمنعون اي ترميم او بناء في المباني الدينية المسيحية [٤] .

---

١ . الظاهري ، المصدر ذاته ، ص ٢٣ .

٢ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠١ .

٣ . فرانيكولو ، المصدر ذاته ، ص ١٤ .

٤ . كازولا ، المصدر ذاته ، ص ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٧٦ ، الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤٣ .

تقع هذه الكنيسة كما يصفها فرانيكولو داخل سور المدينة [١] لها بابان يفتحان على ساحة جميلة المنظر، احد هذين البابين كان مفتوحا اما الاخر فكان مغلقا.[٢] وكان يقف على باب هذه الكنيسة ثمانية حراس من المماليك كل منهم يحمل مفتاحا للكنيسة وخاتما.[٣]

وقد كانت بتلك الكنيسة في العهد المملوكي عدة طوائف مسيحية تتعبد فيها تبركا بها حيث يعتقد ان السيد المسيح عليه السلام قبر بعد ان انزل من الصليب في المكان الذي شيدت عليه كنيسة القيامة.[٤] وقد كانت كل طائفة من تلك الطوائف تمثل وتنوب عن جميع من ينتمي الى تلك الطائفة في العالم.[٥] وقد عددها لنا الحجاج والرحالة المسيحيون الذين زاروا تلك الكنيسة في العهد المملوكي فكانت ١٣ طائفة هي:[٦]

١ —	طائفة الارثوذكس	The Greeks
٢ —	طائفة الارمن	" Armenians
٣ —	طائفة اليعاقبة	" Jacobites
٤ —	طائفة الهنود	" Indians
٥ —	طائفة الاحباش	" Ethiopians

---

١. فرانيكولو، المصدر ذاته، ص١٤.
٢. المصدر ذاته، ص١٢.
٣. المصدر والصفحة ذاتهما.
٤. المصدر ذاته، ص٢٢؛ كازولا، المصدر ذاته، ص٢٧٥ — ٢٧٦.
٥. فرانيكولو، المصدر ذاته، ص٢٢؛ كازولا، المصدر ذاته، ص٢٧٥ — ٢٧٦.
٦. انظر هذه الدراسة ص. ٧٤ — ٧٧.

٦ — طائفة النوبيون The Nubians

٧ — طائفة اللاتين " Latins

٨ — طائفة الكرج " Georgians

٩ — طائفة السريان " Syrians

١٠— طائفة النساطرة " Nestorians (١)

١١— طائفة الموارنة " Maronites

١٢— طائفة الاقباط " Copts

١٣— طائفة " Golbites (٢)

اما فيما يتعلق بما استجد من بناء في كنيسة القيامة في العهد المملوكي فالذي نعرفه ، كما سبق واشرنا ، ان السلطات الحاكمة كانت تمنع اي ترميم او بناء في اي مبنى ديني ، سواء كان ذلك المبنى تابعا للمسيحيين او لليهود . غير انه على الرغم من هذا الاجراء فقد كانت تحصل بعض الترميمات خفية في تلك المباني الدينية في القدس . واحتسابا لذلك كانت السلطات المملوكية في تلك المدينة تقوم بكشف على الاديرة وتهدم ما استجد بها . من ذلك ما حصل سنة ٨٥٦/ ١٤٥٢ لما وقع البطش بالنصارى ، وهدم كل ما استجد بكنيسة القيامة ومن ذلك درابزين خشب قلع واخذ الى المسجد الاقصى.(٣) وفي السنة نفسها كشفت كل الاديرة التي بالقدس وهدم جميع ما استجد

---

١. فرانيكولو ، المصدر ذاته ، ص٢٢ .

٢. كازولا ، المصدر ذاته ، ص٢٧٥ — ٢٧٨ .

٣. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٤٤٣ .

بها ، وكان ذلك في اواخر سلطنة الملك ابي سعيد جقمق (ت ٨٥٧/ ١٤٥٣).[١] هذا وقد تحولت عدة كنائس مسيحية في القدس في العهد المملوكي الى مدارس او زوايا اسلامية منها كنيسة قسمت الى نصفين ، الاول جعل مدرسة اسمها المدرسة الجهاركسية والثاني جعل زاوية . وسميت هذه المدرسة بالجهاركسية نسبة لواقفها الامير جهاركس الخليلي الذي توفي قتيلا بدمشق سنة ٧٩١/ ١٣٨٨.[٢] ويذكر الحنبلي ايضا ان زاوية الشيخ شمس الدين ابن عبدالله البغدادي كانت سابقا كنيسة من بناء الروم ،[٣] غير ان هذا المؤلف لا يذكر لنا تاريخ هذا التحويل .

وقبل ان نذكر اشهر الاعياد والاحتفالات التي تقام في كنيسة القيامة يجدر بنا ان ننبه ان المصادر المتوفرة لدينا لا تذكر اية معلومات عن المزارات اليهودية ، وكل ما تذكره هو ان اليهود المقيمين بمدينة القدس في العهد المملوكي كانوا يمنعون ، كالمسيحيين ، من اي ترميم او بناء في مبانيهم الدينية .[٤]

---

١. المصدر والصفحة ذاتهما .
٢. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ .
٣. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٨ .
٤. ابن اياس ، المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص ١٠٢ — ١٠٣ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤٣ .

كنيسة القيامة والاعياد .

كانت كنيسة القيامة في العهد الذي ندرسه اشهر مواضع الزيارة والعبادة [١] عند المسيحيين.[٢] وكانت تقام فيها الاحتفالات الدينية في الاعياد المسيحية . ومن اشهر هذه الاعياد ، التي كان يقيمها رهبان القدس في القيامة ويحضرها في كل سنة النصارى من بلاد الروم والافرنج ومن بلاد الارمن ومن الديار المصرية والمملكة الشامية وسائر الاقطار.[٣] من اشهر هذه الاعياد يوم احد النخلة "عيد الشعانين" ، ويوم الجمعة العظيمة ، ويوم سبت النور ، ويوم عيد الفصح .

اما يوم احد النخلة فقد كان يلتقي فيه جميع المسيحيين المحتفلين في داخل كنيسة القيامة ، وتتجمع كل طائفة منهم في مكان معين بتلك الكنيسة حيث يقوم كاهن كل طائفة بترتيل القداس باللغة التي يتخاطب بها افراد تلك الجماعة . ويذكر فرانيكولو ان الجماعات التي احتفلت بهذا العيد لما كان بالقدس هي : الروم الارثوذكس، الارمن ، اليعاقبة ، الهنود ، الاحباش، النوبيون ، اللاتين ، الكرج ، والنسطرة .[٤]

وفي يوم الجمعة العظيمة كان الرهبان يتجمعون في مصلى كنيسة القيامة الرئيسي ثم يحتفلون ، بعد صلاة الغروب ، بجناز المسيح عليه السلام . وهذا الاحتفال كان عبارة على انزال المسيح عن الصليب والاحتفال بدفنه بترتيل صلاة الجناز.[٥]

---

١. انظر الطوائف المسيحية التي كانت تتعبد في القيامة في هذه الدراسة ص ٧٤ - ٧٧، ١٢٣ .

٢. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

٣. المصدر والصفحات ذاتها .

٤. فرانيكولو ، المصدر ذاته ، ص ٢٢ .

٥. المصدر ذاته ، ص ٢٣ .

وقد كان الرهبان المحتفلون بذلك اليوم ، كما شاهدهم فرانيكولو ، لابسين حللهم الكهنوتية المختلفة الزي والمظهر.(١) ويذكر ذلك الرحالة ايضا ان افراد كل طائفة كانوا يتجمعون حول بعضهم في مصلى الكنيسة مرتلين صلواتهم بصوت عال ، كل جماعة بلغتها وعلى طريقتها الخاصة .(٢) فمنهم من كان يرتل بصوته والآخر يقوم بحركات تعبيرية بيديه وكل منهم يصلي بلحنه وادائه الخاص . وفي هذه الاثناء كانت هذه الجماعات تدور دورات متوالية حول المصلى هاتفين بأعلى اصواتهم : يا رب ارحم (Kyrie eleison) ، يا مسيح ارحم (Christe eleison).(٣)

اما في يوم سبت النور ، الذي يقع بين يوم الجمعة العظيمة واحد عيد الفصح ، فيذكر هذا الرحالة ان الاحتفالات التي كانت تقام في القيامة في ذلك اليوم كانت عظيمة ، يجتمع فيه افراد الطوائف المسيحية مع رهبانهم . وبعد انتهاء الصلاة تطفأ كل الانوار في القيامة وتتجه انظار المحتفلين الى النوافذ العليا في الكنيسة لرؤية النار المقدسة.(٤) ويذكر هذا الزائر ، الذي كان حاضرا داخل الكنيسة في ذلك العيد ، انه راى من خلال احدى تلك النوافذ حمامة تحط على مصلى الكنيسة ، وعندها شع داخل القيامة نور ساطع قوى فهجم الحاضرون على ذلك النور ، كل منهم يحاول ان يقبض على ذلك النور قبل غيره . وبعد ذلك يشعل كل فرد قنديله او الشموع التي معه ، فتظهر الكنيسة ، بسبب كثرة القناديل

---

١. المصدر والصفحة ذاتهما .
٢. المصدر والصفحة ذاتهما .
٣. المصدر والصفحة ذاتهما .
٤. المصدر والصفحة ذاتهما .

والشموع المضاءة ، وكأنها تحترق . وفي نهاية الاحتفال يرجع افراد كل طائفة الى مذبحهم الخاص بهم ليحضروا القداس الذي يقيمونه على طريقتهم ولغتهم الخاصة.(١)

اما في الاحتفالات التي كانت تقام في القيامة يوم عيد الفصح فقد كان جموع مسيحيي القدس والزوار يذهبون لتلك الكنيسة ، اين يكون رهبان كل طائفة من الطوائف المسيحية في القيامة تجمعوا في المذبح الخاص بهم . وهناك ينضم الزائرون الى رهبانهم حيث يقوم راهب كل طائفة بترتيل القداس بلغة تلك الطائفة . ثم يقرأ الانجيل ويرتلون "المسيح قام من بين الاموات" ثم تقرع الاجراس بعد منتصف الليل ، وتبقى الاحتفالات قائمة في الكنيسة الى ساعة متأخرة من الليل .(٢)

هـ . القنوات والحمامات والبرك .

وجود الحمامات والبرك الكبيرة يستلزم كميات وافرة من الماء ، وعدم وجود تلك الكميات من الماء في اول العهد المملوكي في مدينة القدس اوجب تأخر انشائها الى ان بنيت قناة تجلب الماء الى تلك المدينة سنة ٧٢٨/ ١٣٢٧م.(٣)

---

١. المصدر ذاته ، ص ٢٣ — ٢٤ .

٢. المصدر ذاته ، ص ٢٢ .

٣. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٣٣ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، قسم ١ ، ص ٣٠٢ .

كانت مدينة القدس تشكو قلة مستمرة في الماء [١] حتى ان اهلها كانوا يشربون من خزانات اعدت خصيصا لخزن ماء المطر.[٢] وامام هذه الحاجة الملحة للماء امر الامير تنكز، نائب الشام، ببناء قناة تجلب الماء لمدينة القدس من عين العروب [٣] التي تقع على بعد سبعة اميال جنوبي تلك المدينة.[٤] وقد تم بناء هذه القناة سنة ٧٢٨/ ١٣٢٧ بعد عمل دام سنة كاملة، وكان اندفاق الماء من تلك القناة حدثا زينت بسببه المدينة عدة ايام.[٥] يذكر المقريزي هذا العمل بقوله: "وفيها [في سنة ٧٢٨هـ] كملت العين التي اجراها الامير تنكز بالقدس، بعد ما اقام الصناع فيها مدة سنة ... وركب في الجبل مجارى نقب لها في الحجر حتى دخل الماء الى القدس، فكان لها يوم مشهور."[٦] وقد رممت هذه القناة عدة مرات بعد بنائها مرة في سنة ٧٩١/ ١٣٨٨ في عهد الملك الظاهر برقوق،[٧] ومرة في سلطنة الظاهر خشقدم (ح ٨٦٥ — ٨٧٢/ ١٤٦٠ —

---

١. مونديل، المصدر ذاته، ص٨٧؛ زيادة، المصدر ذاته، ص ٩٢.

٢. القلقشندي، المصدر ذاته، ج ٤، ص١٠١؛ الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص٤٠١.

٣. اليافعي، مرآة الزمان، ج ٤، ص٢٧٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص١٣٣.

٤. زيادة، المصدر ذاته، ص٩٢.

٥. اليافعي، مرآة الزمان، ج ٤، ص٢٧٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص١٣٣؛ المقريزي، السلوك، ج ٢، قسم ١، ص٣٠٢؛ الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص٣٨٧؛ الدمشقي النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج ١، ص١٢٦.

٦. المقريزي، السلوك، ج ٢، قسم ١، ص٣٠٢.

٧. اليافعي، مرآة الزمان، ج ٤، ص٢٧٧؛ ابن الفرات، تاريخ، ج ٩، قسم ١، ص٨٦.

١٤٦٧) [١] ، وكذلك مرة اخرى في سنة ٨٨٧/ ١٤٨٢ في عهد الملك الاشرف قايتباي وقد دام اصلاحها هذه المرة خمسة اشهر وخمسة عشر يوما. [٢]

اما فيما يتعلق بالحمامات فقد كانت مدينة القدس، نتيجة قلة مياهها ، في احوج ما يكون لها وحتى الحمامات التي كانت في المدينة كانت حالتها غير مرضية. [٣] فلما ساق الامير تنكز الماء الى القدس سنة ٧٢٨/ ١٣٢٧ عمر فيها حمامين من اجل الحمامات واتقنها، [٤] احدهما كان يطلق عليه في زمن الحنبلي اسم الحمام الجديد. [٥]

اما البرك التي تتجمع فيها المياه في القدس فلم يبنى منها في العهد المملوكي الا واحدة فقط ، وهي التي انشأها الامير تنكز ، نائب الشام ، سنة ٧٢٨/ ١٣٢٨ ، وذلك لما بنيت القناة التي جلبت الماء للقدس. [٦] كانت تلك البركة تقع داخل الحرم ما بين الصخرة والمسجد الاقصى ، وهي بركة كبيرة وملبسة بالرخام. [٧]

---

١. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤٥ .

٢. العمري ، مسالك الابصار ، ج ٣ ، ص ١٨٠ — ١٨١ .

٣. المصدر والصفحات ذاتها .

٤. المصدر والصفحات ذاتها ؛ ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٤ ، ص ١٣٣ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، قسم ١ ، ص ٣٠٢ .

٥. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ .

٦. العمري ، مسالك الابصار ، ج ٣ ، ص ١٨٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٣٣ .

٧. المصدر والصفحة ذاتهما .

الفصل الثامن

الحياة العلمية في القدس

أ — المدرسون ، المواد الدراسية ، المدارس .

كانت مدينة القدس في العهد المملوكي مدينة علمية بقدر ما كانت دينية . يدلنا على ذلك كثرة المدارس في تلك المدينة التي بلغت ثلاثة واربعون مدرسة . هذا عدا المساجد والزوايا التي كانت تعقد فيها حلقات التدريس.(١) وقد كان المدرسون في اماكن التعليم هذه يقومون ، في كثير من الاحيان ، بمهنة التدريس الى جانب قيامهم بخطة اخرى مثل القضاء او الخطابة في احد الجوامع.(٢)

اما المواد التي كانت تدرس في دور التعليم بالقدس فانها كانت لا تخرج عن

---

١. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٤١ ، ٥٦٥ .

٢. اليافعي ، عبدالله بن احمد (ت ٧٦٨/ ١٣٦٦) ، مرآة الزمان وعبرة اليقظان ، ٤ج ، الطبعة الاولى ، حيدراباد الدكن ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، ١٩١٨ — ١٩٢٠م ، ج ٤ ، ص ٢٨٨ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٩٧ ، ٣٣٧ ؛ السخاوي ، التبر المسبوك ، ص ١٣٠ — ١٣١ ، ٣٦٠ ؛ النعيمي الدمشقي ، عبد القادر بن محمد (ت ٩٢٧/ ١٥٢٠) ، الدارس في تاريخ المدارس ، ٢ ج ، حققه جعفر الحسيني ، دمشق ، مطبعة الترقي ، ١٩٤٨ — ١٩٥١م ، ج ١ ، ص ٧٠ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٣٨ ، ٥٦٧ .

العلوم الشرعية واللغوية . اما الشرعية فقد كانت علم الحديث (١) والتفسير (٢) والفرائض (٣) والقراءات واصول الفقه (٤) . واما العلوم اللغوية فقد كانت : اللغة العربية (٥) والصرف والنحو (٦) .

وقبل ان ننتقل الى ذكر هذه المدارس يجدر بنا ان نذكر انها كانت مقسمة حسب المذاهب السنية التي كانت في القدس . فقد كانت منها المدارس الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية . وفي استعراضنا لاسماء هذه المدارس سنذكر ، بقدر ما تسمح لنا المعلومات التي بين ايدينا ، المذهب الديني الذي تنتمي اليه كل مدرسة من هذه المدارس ، والمواد التي كانت تدرس فيها . وقد رتبنا هذه المدارس حسب تاريخ بناء كل منها او تاريخ وقفها .

---

١. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٢٢٨ ، ج ١٤ ، ص ١٠٤ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٦٩ — ٧٠ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٣٣٧ ؛ السخاوي ، التبر المسبوك ، ص ١٣٠ ، ١٥٨ .

٢. الذهبي ، ابوعبدالله محمد بن احمد (ت ٧٤٨/ ١٣٤٧) ، دول الاسلام ، ٢ج ، حيدراباد الدكن ، مطبعة المعارف النظامية ، ١٩١٨ ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ؛ ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٤ ، ص ٤ .

٣. السخاوي ، المصدر ذاته ، ص ١٣٠ — ١٣١ .

٤. ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٤ ، ص ١٤٢ ؛ السيوطي ، نظم العقيان ، ص ١٤٨ .

٥. السخاوي ، المصدر ذاته ، ص ١٣٠ — ١٣١ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٣٨ .

٦. المصدر والصفحة ذاتهما .

١ - المدرسة الصلاحية : تقع بالقرب من باب الاسباط ، وقفها السلطان صلاح الدين على الشافعية سنة ٥٨٨/ ١١٩٢م.(١) وهي مبنية على انقاض كنيسة كان اسمها كنيسة "قبر حنة" ، هدمها السلطان لما استرد مدينة القدس من الصليبيين واقام مدرسته هذه مكانها (٢) . وكانت وظيفة مشيخة هذه المدرسة تعتبر في العهد المملوكي من الوظائف السنية بالبلاد الاسلامية.(٣) ولقد كتبت وقفية صلاح الدين لهذه المدرسة على حجر وضع على بابها نقش عليه ما يلي : "بسم الله الرحمن الرحيم . وما بكم من نعمة فمن الله . هذه المدرسة المباركة وقفها مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ابو المظفر يوسف بن ايوب بن شاذى محيي الدولة امير المؤمنين اعز الله انصاره وجمع له بين خير الدنيا والاخرة على الفقهاء من اصحاب الامام ابي عبدالله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه سنة ثمان وثمانين وخمس مائة."(٤)

---

١. ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٣٣٧ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٤٧ .

٢. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ ؛ Buhl, F., "Al - Kuds", The Encyclopaedia of Islam, vol. II, p. 1101.

٣. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ .

٤. العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٣٦ .

ومن المواد التي كانت تدرس في هذه المدرسة : الفقه ، الفرائض ، الحديث ، النحو[١] الشعر واللغة العربية .[٢]

٢ - المدرسة الافضلية : بحارة المغاربة ، وقفها الملك الافضل نور الدين ابو الحسن علي بن الملك صلاح الدين على فقهاء المالكية بالقدس.[٣] وهي في عصرنا هذا دار يسكنها جماعة من فقراء المغاربة.[٤]

٣ - المدرسة الميمونية : عند باب الساهرة ، كانت كنيسة [٥] ثم صارت مدرسة في سنة ٥٩٣/ ١١٩٦ وذلك عندما اوقفها الامير فارس الدين ابو سعيد ابن عبد الله القصري خازندار الملك صلاح الدين.[٦] وهي في عصرنا مدرسة للبنات تابعة للمعارف وجعل اسمها - المأمونية.[٧]

---

١. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٨ ، ٥٣٤ ، ٥٣٧ .
٢. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٥٣٤ ، ٥٣٧ .
٣. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص١٢٤ ، ٣٩٧ .
٤. العارف ، المصدر ذاته ، ص٢٣٨ .
٥. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٣٩٩ .
٦. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٣٩٩ .
٧. كرد علي ، خطط الشام ، ج ٦ ، ص١٢٥ .

٤ — المدرسة النحوية : تقع هذه المدرسة على طرف صحن الصخرة من جهة القبلة الى الغرب، بناها الملك المعظم عيسى سنة ٦٠٤/ ١٢٠٧م[١] وسميت بالنحوية لانه كان يدرس فيها "الكتاب لسيبويه".[٢]

٥ — المدرسة الناصرية [٣] : كانت هذه المدرسة على برج باب الرحمة ، تعرف بالناصرية نسبة للشيخ نصر المقدسي [٤] ثم عرفت بالغزالية نسبة لابي حامد الغزالي . ثم جدد بناءها الملك المعظم عيسى وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو ووقف عليها كتبا.[٥] وكان ذلك بتاريخ ٦١٠/ ١٢١٣ . وقد صارت في عصرنا عبارة عن غرفتين معدتين للزيارة.[٦]

٦ — المدرسة البدرية : واقفها بدر الدين محمد بن ابي القاسم الهكاري ، احد امراء الملك المعظم عيسى ، وقفها سنة ٦١٠/ ١٢١٣ على فقهاء الشافعية [٧] وهي في عصرنا هذا دار للسكن.[٨]

---

١. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٣٨٦ .
٢. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص١١٩ .
٣. كذا وردت في الانس الجليل ، ج ٢ ، ص٣٨٦ . ولكن كرد علي نقلها في خطط الشام باسم المدرسة النصرية ، ج ٦ ، ص١١٩ ، ولعله فعل ذلك نسبة لمؤسس هذه المدرسة نصري المقدسي .
٤. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٣٨٦ .
٥. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٣٨٦ .
٦. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص١١٩ .
٧. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٣٩٨ .
٨. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص١٢٥ .

٧ - المدرسة المعظمية : تقع مقابل باب شرف الانبياء المعروف بباب الدويدارية ، وقفها الملك المعظم عيسى على الفقهاء الحنفية سنة ٦٦٠/ ١٢٦١م.(١) يذكر العارف انه قرأ (سنة ١٩٤٧م) على بلاطة كانت لا تزال مثبتة في جدار هذه المدرسة القبلي الكلمات التالية : "امر بعمله مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين ابو العزائم عيسى بن ابي بكر ايوب الواقف لهذه المدرسة على الفقهاء والمتفقهة من اصحاب الامام الاعظم ابي حنيفة رضي الله عنه وارضاه ..(٢)

٨ - دار الحديث : تقع بجوار التربة الجالقية من جهة الغرب بالقرب من باب السلسلة ، وقفها الامير شرف الدين عيسى بن بدر الدين ابي القاسم الهكاري سنة ٦٦٦/ ١٢٦٧م.(٣) وهذه الدار هي الان دار للسكنى.(٤)

٩ - المدرسة الدوادارية : ويطلق عليها ايضا الدويدارية.(٥) عمرها الامير علم الدين ابو موسى سنجر بن عبدالله الدويدار الصالحي النجمي سنة ٦٩٥/ ١٢٩٥ ، اما تاريخ وقفها فقد كان سنة ٦٩٦/ ١٢٩٦(٦) تقع هذه المدرسة شمالي الحرم الشريف.(٧) كانت هذه المدرسة من المدارس الشافعية ، يدلنا على هذا الكتابة المنقوشة على بابها الخارجي من جهاته الثلاث والتي منها : "... وقف ذلك ... على تدريس مذهب

---

١. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ ، ٥٠٦ .
٢. العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٤٠ .
٣. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ ؛ كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢٤ .
٤. العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٤١ .
٥. المصدر ذاته ، ص ٢٤٢ .
٦. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ .
٧. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ ، ٤٩٥ .

الامام الشافعي".[١] ويذكر العارف ان هذه المدرسة كانت في سنة ١٩٤٦م ، دارا عامرة اتخذتها مصلحة الوقف مدرسة للتعليم.[٢]

١٠ — المدرسة السلامية : واقفها الخواجا مجد الدين ابو الفداء اسماعيل السلامي ، وقفت بعد سنة ٧٠٠/ ١٣٠٠[٣] . وهي في عصرنا هذا دار سكن.[٤]

١١ — المدرسة الوجيهية : وهي من وقف الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن اسعد ابن النجا الحنبلي المتوفي سنة ٧٠١/ ١٣٠١.[٥] وهي في عصرنا دار للسكن.[٦]

١٢ — المدرسة الجاولية : وقفها الامير علم الدين سنجر الجاولي.[٧] المتوفي سنة ٧٤٥/ ١٣٤٤[٨] وهي في ايامنا هذه مدرسة ايضا.[٩]

---

٠١ العارف ، المصدر ذاته ، ص٢٤٢ .

٠٢ المصدر ذاته ، ص٢٤٣ .

٠٣ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٣٩٣ .

٠٤ كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص١٢٣ .

٠٥ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٣٩٤ .

٠٦ كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص١٢٣ ؛ العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٤٣ .

٠٧ ولد الامير سنجر بن عبدالله الجاولي سنة ٦٥٣/ ١٢٥٥ بآمد ، ثم صار لامير يقال له جاول في سلطنة الظاهر بيبرس فنسب اليه ، ولي نيابة حماة ثم غزة . كان مطلعا على العلوم خاصة منها علم الحديث ، توفي بعد ان قارب المائة ؛ ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين احمد بن علي (ت٨٥٢/ ١٤٤٨) ، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، ٤ ج ، حيدراباد الدكن ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٤٨ — ١٣٥٠/ ١٩٢٩—١٩٣١ ، ج ٢ ، ص١٧٠ — ١٧٢ .

٠٨ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٣٩٠ .

٠٩ العارف ، المصدر ذاته ، ص٢٤٤ .

١٣ — المدرسة الكريمية : واقفها الصاحب كريم الدين بن المعلم هبة الله بن مكانس ناظر الخواص الشريفة بالديار المصرية .(١) تاريخ وقف هذه المدرسة سنة ٧١٨ / ١٣١٨(٢) . وهي في زمننا هذا دار للسكن.(٣)

١٤ — المدرسة التنكزية : انشأها الامير تنكز الناصري نائب الشام سنة ٧٢٩ / ١٣٢٨(٤) ، يصف الحنبلي هذه المدرسة بقوله : "وهي مدرسة عظيمة ليس في المدارس اتقن من بنائها".(٥) ويذكر كرد علي ان هذه المدرسة صارت مقر المحكمة الشرعية بالقدس.(٦)

١٥ — دار الحديث : بناها الامير تنكز ايضا في مدينة القدس سنة ٧٢٨/ ١٣٢٧ . كان يدرس فيها الحديث الشريف.(٧)

١٦ — المدرسة الامينية : تقع بباب الدويدارية انشأها الصاحب امين الدين عبد الله سنة ٧٣٠/ ١٣٢٩(٨) . وهذه المدرسة هي الان دار سكن.(٩)

---

١. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩١ .
٢. المصدر والصفحة ذاتهما .
٣. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢٢ ؛ العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٤٤ .
٤. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٤٨ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ .
٥. المصدر والصفحة ذاتهما .
٦. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١١٩ .
٧. ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٤ ، ص ١٣٣ ، ١٨٧ .
٨. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ .
٩. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢١ ؛ العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٤٥ .

١٧ - المدرسة المالكية : تقع شمالي الحرم عمرها الحاج ملك الجوكندار [١] سنة ٧٤١/ ١٣٤٠م.[٢] يذكر العارف انه نقش على رخامة على حائط هذه المدرسة ما نصه : "بسم الله الرحمن الرحيم . تقرب بعمارة هذا المكان المبارك العبد الفقير الى الله تعالى الحاج ملك الجوكندار الملكي الناصري ، غفر الله له حيا وميتا ولمن دعا له بالرحمة والمغفرة . وكان الفراغ منه في شهر الله الحرام غرة عام احد واربعين وسبع مائة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والتسليم".[٣] وهذه المدرسة هي في زمننا هذا دار للسكن.[٤]

١٨ - المدرسة الفارسية : توجد هذه المدرسة شمال المسجد الاقصى ، واقفها هو الامير فارس البكي ابن الامير قطلوملك . تم وقف هذه المدرسة سنة ٧٥٥/ ١٣٥٤م.[٥] وهي في وقتنا دار سكن .[٦] ولهذا الوقف مدرسة اخرى بداخل المسجد الاقصى.[٧] وهي الى اليوم عامرة فيها دار كتب المسجد الاقصى.[٨]

---

١. الحاج ملك الجوكندار الملكي الناصري ، كان في اول امره جاشنكير بمصر ثم تولى نيابة السلطنة بمصر . اعتقل سنة ٧٥٣هـ ثم افرج عنه وعاد الى دمشق بطالا الى ان مات ، ابن حجر العسقلاني ، المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ٣٥٧ .

٢. ابن بطوطة ، المصدر ذاته ، ص ٥٩ ، الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٨١ ، كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢١ .

٣. العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٤٦ .

٤. المصدر والصفحة ذاتهما .

٥. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٩٧ .

٦. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢١ .

٧. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ .

٨. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١١٨ .

١٩ — المدرسة الارغونية : وهي من المدارس التي انشئت في عهد المماليك ايضا ، كانت تقع في الناحية الغربية من الحرم . واقف هذه المدرسة هو الامير ارغون الكاملي [١] نائب الشام المتوفي سنة ٧٥٨/ ١٣٥٧ [٢] . وقد اكملت عمارة هذه المدرسة بعد وفاة واقفها بسنة واحدة . [٣]

٢٠ — المدرسة التشتمرية : واقفها الامير تشتمر السيفي احد امراء الملك الناصري حسن بن محمد بن قلاوون ، تاريخ وقفها سنة ٧٥٩/ ١٣٥٧ . [٤] وهي في هذا العهد دار سكن . [٥]

٢١ — دار القرآن السلامية : واقفها سراج الدين عمر ابن ابي بكر ابن القاسم السلامي ، وقد تم وقفها سنة ٧٦١/ ١٣٥٩ . [٦]

٢٢ — المدرسة الاسعردية : تقع شمالي الحرم ، واقفها هو الخواجا مجد الدين عبد الغني بن سيف الدين ابن بكر ابن يوسف الاسعردي ، وقد تم وقفها في سنة ٧٧٠/ ١٣٦٨ [٧] . اما ما آلت اليه هذه المدرسة في عصرنا هذا فان العارف يذكر انها رممت ونقلت اليها دار الكتب . [٨]

---

١ . الامير آرغون الكاملي ، كان امير طبلخاناه ولي نيابة حلب " فباشرها مباشرة حسنة ومشى حالها بسياسة ومهابة فخافه التركمان والعرب " ، ثم ولي نيابة دمشق سنة ٧٥٢/ ١٣٥١ . وفي سنة ٧٥٥/ ١٣٥٤ اعتقل ثم افرج عنه واقام بالقدس بطالا الى ان مات ؛ ابن حجر العسقلاني ، المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ٣٥٣ .

٢ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ — ٣٨٩ .

٣ . المصدر والصفحة ذاتهما .

٤ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ .

٥ . كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢٣ .

٦ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ ، ٥٨٣ .

٧ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ .

٨ . كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢١ .

٢٣ - المدرسة المنجكية : انشأها الامير سيف الدين منجك سنة ٧٦٢/ ١٣٦٠ وسميت باسمه ، وهي تقع في طرف الحرم من الناحية الغربية .(١) اما في عصرنا هذا فقد عمرت واتقنت وصارت مقر المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى بالقدس .(٢)

٢٤ - المدرسة المحدّثية : واقفها محدّث من اهل العلم اسمه عز الدين ابو محمد عبد الله العزيز العجمي الاردبيلي ، وقد تم وقفها في سنة ٧٦٢/ ١٣٦٠(٣) اما الان فهي قسم من كلية روضة المعارف الوطنية .(٤)

٢٥ - المدرسة الحسنية : كان موقعها قرب باب الاسباط ، ويقال انها وقف شاهين الحسني الطواشي ، وهو من دولة الملك الناصر حسن المتوفي سنة ٧٦٢/ ١٣٦٠.(٥) وقد تحولت هذه المدرسة منذ زمن الحنبلي دارا للسكنى .(٦)

٢٦ - المدرسة الطازية : كانت هذه المدرسة تقع بالقرب من باب السلسلة ، وقفها الامير طاز المتوفي سنة ٧٦٣/ ١٣٦١م(٧) وهي في وقتنا الحاضر دار للسكن ايضا .(٨)

---

١ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ .
٢ . كرد علي ، المصدر ذاته ج ٦ ، ص ١٢٠ ؛ العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٤٩ .
٣ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ .
٤ . كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢٣ .
٥ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ .
٦ . المصدر والصفحة ذاتهما .
٧ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ .
٨ . كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢٤ .

٢٧ - المدرسة البارودية : بباب الناظر واقفتها امرأة اسمها الحاجة سفري خاتون ابنة شرف الدين ابي بكر ابن محمود المعروف بالبارودي ، وقفت هذه المدرسة سنة ٧٦٨/ ١٣٦٦.[١] وهي الان دار للسكن.[٢]

٢٨ - المدرسة الحنبلية : توجد هذه المدرسة بباب الحديد ، واقفها الامير بيدمر ، الذى كان نائبا للسلطنة بدمشق في سلطنة الاشرف شعبان ، في سنة ٧٧٧/ ١٣٧٥.[٣] وقد تم بناء هذه المدرسة وتجهيزها سنة ٧٨١/ ١٣٧٩.[٤] وهي الان دار للسكنى.[٥]

٢٩ - المدرسة اللؤلؤية : وقفها الامير لؤلؤ غازي (ت٧٨٧/ ١٣٨٥) وهو من عتقاء الملك الاشرف شعبان بن حسين [٦] كانت هذه المدرسة موجودة وعاملة قبل وفاة واقفها بخمس سنوات.[٧] وهذه المدرسة لا تزال موجودة وقسم منها صار زاوية.[٨]

---

١. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ .
٢. العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٥٠ .
٣. ابن حجر العسقلاني ، المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ٥١٣ - ٥١٤ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ .
٤. المصدر والصفحة ذاتهما .
٥. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢٤ .
٦. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٨ .
٧. المصدر والصفحة ذاتهما .
٨. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢٤ .

٣٠ - المدرسة الخاتونية : توجد جوار الحرم الشريف واقفتها امرأة اسمها اغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية ، وقفتها سنة ٧٥٥ / ١٣٥٤.(١) ويظهر ان هذه السيدة توفيت والبناء لم ينته بعد حيث يذكر الحنبلي ان هذه المدرسة اكملت عمارتها ، ووقفت عليها السيدة اصفهان شاه بنت الامير قازان شاه ، سنة ٧٨٢/ ١٣٨٠.(٢) وهذه المدرسة هي الان دار سكن فيها قبر منشئتها الاولى السيدة خاتون القازانية البغدادية.(٣)

٣١ - المدرسة البلدية : توجد هذه المدرسة بجوار باب السلسلة واقفها الامير منكي بغا الاحمدي نائب حلب الذي دفن فيها لما توفي سنة ٧٨٢/ ١٣٨٠.(٤) ولا زال بناء هذه المدرسة ، التي صارت دار سكن ، موجودا.(٥) وقد نقش على احدى ابوابها الكلمات التالية : "بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه تربة المرحوم السيفي منكلي باغا الاحمدي كافل المملكة الحلبية تغمده الله برحمته ، توفي ودفن بها في جمادى الاخر سنة اثنين وثمانين وسبع مائة".(٦)

٣٢ - المدرسة الجهاركسية : كانت هذه المدرسة كنيسة في الاصل ، ثم قسمت الى

---

١. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ .
٢. المصدر والصفحة ذاتهما .
٣. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢٠ .
٤. ابن حجر العسقلاني ، المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ٣٦٨ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ .
٥. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١١٩ .
٦. العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٥١ .

الى نصفين : الاول جعل المدرسة الجهاركسية ، والثاني زاوية.[١] والجهاركسية سميت كذلك نسبة لواقفها الامير جهاركس الخليلي الذي توفي قتيلا بدمشق سنة ٧٩١/ ١٣٨٩[٢] وهذه المدرسة لا تزال معمورة الان.[٣]

٣٣ — المدرسة الطولونية : كانت هذه المدرسة توجد داخل الحرم الشريف ، انشأها شهاب الدين احمد بن الناصري محمد الطولوني الظاهري قبل سنة ٨٠٠/ ١٣٩٧[٤] وهي الان من المدارس التي اندثرت ولم يعد لها اثر في مدينة القدس.[٥]

٣٤ — المدرسة الصبيبية : كانت في العهد المملوكي ، توجد في الجهة الشمالية من الحرم ، واقفها الامير علاء الدين علي بن ناصر الدين محمد . ولما توفي واقفها هذا بدمشق سنة ٨٠٩/ ١٤٠٦ نقل الى هذه المدرسة ودفن بها.[٦]

٣٥ — المدرسة الفنرية : هذه المدرسة انشأها شهاب الدين الطولوني ، ولما تم تعميرها ، جعلها منشئها للملك الظاهر برقوق.[٧] فلما توفي برقوق وآل الامر لولده

---

١ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ .
٢ . المصدر والصفحة ذاتهما .
٣ . كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢٤ ؛ العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٥١ .
٤ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩١ .
٥ . كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢٢ ؛ العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٥١ — ٢٥٢ .
٦ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ .
٧ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ .

الملك الناصر فرج " رتب لها قرى واقام نظامها وجعل لها معاليم تصرف ".[١] ثم اشتراها ووقف عليها ، رجل عالم من الروم يقال له محمد شاه بن الفنري الرومي ، الذي كان شيخ هذه المدرسة ، وسميت هذه المدرسة بالفنرية نسبة اليه.[٢] اما الان فقد درست هذه المدرسة واصبحت مساكن.[٣]

٣٦ — المدرسة الكاملية : وافقها رجل من مدينة طرابلس اسمه الحاج كامل ، لهذه المدرسة محضر كتب بوقفها سنة ٨١٦/ ١٤١٣.[٤] وهذه المدرسة لا اثر لها الان .[٥]

٣٧ — المدرسة الباسطية : تقع هذه المدرسة شمال الحرم ، اول من اختط اساسها الشيخ شمس الدين محمد الهروي شيخ الصلاحية وناظر الحرمين ، ولكن المنية ادركته قبل اتمام عمارتها ، فعمرها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقي ووقف عليها بعض الاراضي ، وكان ذلك في سنة ٨٢٤/ ١٤٥٠.[٦] كانت حلقات العلم في هذه المدرسة تتناول مختلف الدراسات الدينية وخاصة دراسة علم الحديث.[٧] وقد صارت الان " مدرسة البنات الاسلامية ".[٨]

---

١. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ .
٢. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ ، ٥٧٢ .
٣. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢٢ ؛ العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٥٢ .
٤. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ .
٥. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢٣ .
٦. السخاوي ، المصدر ذاته ، ص ٢٩٤ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩١ .
٧. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥١٣ .
٨. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢٢ ؛ العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٥٣ .

٣٨ — المدرسة الغادرية : كانت بداخل الحرم ، واقفها الامير ناصر الدين محمد بن دلغادر ، تم بناؤها في سنة ٨٣٦/ ١٤٣٢.(١)

٣٩ — المدرسة الحسنية : كانت تقع غربي الحرم ، عمرها الامير حسام الدين ابو محمد الحسن بن ناصر الدين محمد ابن جمال الدين عبدالله الشهير بالكشكيلي ، الذي كان ناظر الحرمين ونائب السلطنة بالقدس . بنى هذه المدرسة في سنة ٨٣٧/ ١٤٣٣.(٢) ووقف عليها " اوقافا ورتب فيها وظائف ".(٣) وهي في عهدنا هذا دار سكن.(٤)

٤٠ — المدرسة العثمانية : واقفتها امرأة من اكابر الروم اسمها اصفهان شاه خاتون وتدعى خانم ، وقد اشترطت هذه الواقفة ان لا يتولى مشيخة هذه المدرسة الا من كان اعلم اهل زمانه (٥) . وعلى هذه المدرسة ، التي بنيت في سنة ٨٤٠/ ١٤٣٧ ، اوقاف بعضها ببلاد الروم.(٦) كتب فوق مدخل هذه المدرسة : " بسم الله الرحمن الرحيم . امرت بعمارة هذه المدرسة المباركة الست الجليلة المحجبة اسفهان شاه خاتون ابنة المرحوم الامير محمود العثمانية الشهيرة بخانم لطف الله بها ووفق عليها الانتقال سنة اربعين وثمانمائة . وكان الفراغ من عمارتها في سلخ سنت المذكورة . وذلك بهمة جميع الخواجا ولد صاطي الرومي ".(٧)

---

١ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩١ .

٢ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ ، ٦١٠ .

٣ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦١٠ .

٤ . كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢٣ ؛ العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٥٤ .

٥ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ ، ٥٦٦ .

٦ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ ؛ كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٢٠ .

٧ . العارف ، المصدر ذاته ، ص ٢٥٤ .

٤١ - المدرسة الجوهرية : تقع بجوار الحرم الشريف ، وقفها شخص اسمه الصفوي جوهر في سنة ٨٤٤/ ١٤٤٠.[١] وهي الان دار للسكن.[٢]

٤٢ - المدرسة المزهرية : تقع بجوار الحرم ، وقفها المقر الزيني ابو بكر بن مزهر الانصاري ، تم بناء هذه المدرسة سنة ٨٨٥/ ١٤٨٠.[٣] وقد غدت هذه المدرسة ، الان دار للسكنى.[٤]

٤٣ - المدرسة الاشرفية : كانت هذه المدرسة داخل الحرم ، امر الملك الاشرف قايتباي ببنائها في سنة ٨٨٥/ ١٤٨٠.[٥] وفي سنة ٨٨٧/ ١٤٨٢ تكاملت عمارة هذه المدرسة الاشرفية [٦] التي يصفها ابن اياس بكونها " جاءت غاية في الحسن".[٧] ويذكرها الحنبلي بقوله: " وصارت جوهرة ثالثة وهي قبة الصخرة وقبة الاقصى وهذه المدرسة".[٨] وهي في عهدنا هذا خراب لم يبق منها الا سطحها وبابها.[٩]

---

١. السيوطي ، نظم العقيان ، ص١٤٨ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ص٣٨٩.

٢. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ص١٢٠ ؛ العارف ، المصدر ذاته ص٢٥٤ - ٢٥٥.

٣. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٣٨٩ .

٤. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص١٢٠ .

٥. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٣٨٧ .

٦. المصدر والصفحة ذاتهما .

٧. ابن اياس ، المصدر ذاته ، ج ٣ ، ص٢١٨ .

٨. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٣٨٧ .

٩. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص١١٩ .

ب — المسجد الاقصى وزوايا القدس كأماكن للتعليم .

بالاضافة الى المدارس، التي كانت تعقد فيها حلقات التدريس في مدينة القدس، نجد في تلك المدينة اماكن اخرى كانت تلقى فيها الدروس ويقصدها طلبة العلم في العصر الذى ندرسه . وهذه الاماكن هي المسجد الاقصى وبعض زوايا تلك المدينة .

لقد اشتهر المسجد الاقصى بحلقات العلم التي كانت تعقد فيه.(١) وكانت الدروس التي تلقى فيه لا تختلف كثيرا في موضوعها عن التي كانت تلقى في مدارس تلك المدينة ، فقد كانت الدروس التي تدرس فيه تشمل العلوم الشرعية من فقه وحديث واصول وقراءات ووعظ،(٢) والعلوم اللغوية من لغة عربية ونحو وصرف.(٣)

ومن الجدير بالذكر ان المدرسين الذين كانوا يباشرون مهنتهم في الاقصى كانت لهم رواتب معينة تصرف عليهم من اوقاف المسجد ،(٤) او من اوقاف اوقفت عليهم وعلى مساعديهم عند قيامهم بوظيفتهم.(٥)

---

١. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٣١ ، ٥٣٨ ، ٥٤١ ، ٥٦٥ ، ٦٠٣ ؛ زيادة ، المصدر ذاته ، ص ١٥٤ .

٢. السخاوي ، التبر المسبوك ، ص ١٣٨ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٣٦ ، ٥٣٨ ، ٥٤١ ، ٥٤٣ ، ٥٦٥ .

٣. السخاوي ، المصدر ذاته ، ص ١٣٨ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٣٨ ، ٥٤١ ، ٥٦٥ .

٤. العمري ، مسالك الابصار ، ج ٣ ، ص ١٨٠ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ .

٥. عن كتابة نقشت على باب المدرسة الدوادارية ورد نصها في كتاب تاريخ القدس المطول للعارف ، ص ٢٤٢ .

اما فيما يتعلق بالزوايا فان ما بين ايدينا من معلومات يثبت ان زاويتين من زوايا مدينة القدس كانت تلقى فيهما الدروس على طلبة العلم والمعرفة ، وهما :

١ — الزاوية الخنثنية : كانت تقع بجوار المسجد الاقصى خلف المنبر ، وقفها سنة ٥٨٧/ ١١٩١ السلطان صلاح الدين الايوبي على رجل من اهل الصلاح وهو الشيخ الزاهد جلال الدين محمد بن احمد بن محمد جلال الدين الشاشي المجاور في بيت المقدس.(١) وينص وقف هذه الزاوية على انها ترجع ، بعد وفاة الشيخ جلال الدين ، الى من يحذو حذوه من اهل الصلاح والزهد والورع ، وكذلك الى طلبة العلم فيها (٢) . وقد كانت هذه الزاوية في الاصل كنيسة بناؤها قديم من زمن الروم.(٣) . اما في عصرنا هذا فقد درست معالمها ولا يعرف عنها شيء.(٤)

٢ — الزاوية الناصرية : كانت تقع قرب باب الرحمة ، انشأها الملك المعظم عيسى وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو.(٥) وبسبب كثرة الكتب التي كانت موقوفة على هذه الزاوية امها طلبة العلم طوال العهد الايوبي وفترة طويلة من العهد المملوكي.(٦) اما في اواخر عهد المماليك فقد صارت خرابا حيث يذكر الحنبلي

---

١ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٦ .
٢ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ ، ٣٨٦ ، ٥٤٦ .
٣ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٦ .
٤ . كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٥٤ .
٥ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ ، ٣٨٦ .
٦ . المصدر والصفحات ذاتها .

انه "لم يبق لها اثر سوى بعض بناء مهدم ".(١)

هاتان الزاويتان اللتان ذكرناهما انفا كانت تقام فيهما حلقات التدريس وهما ، من هذه الناحية ، في حكم المدارس . اما زوايا القدس الاخرى ، والتي سنذكرها فيما يلي ، فقد كان بعضها عبارة على امكنة يقصدها التلاميذ الصغار والايتام لحفظ القرآن على ايدي المؤدبين فيها.(٢)

١ — الزاوية الجراحية : كانت تقع ظاهر القدس من جهة الشمال ، وسميت بالجراحية نسبة لواقفها الامير حسام الدين الحسين ابن شرف الدين عيسى الجراحي ، احد امراء الملك صلاح الدين (ت٥٩٨/ ١٢٠١).(٣) وقد كان ينتهي هذه المدرسة وظائف مرتبة للقائمين بهذه الزاوية.(٤)

٢ — زاوية الشيخ خضر : بناها الملك الظاهر بيبرس لاحد الصلحاء واسمه الشيخ خضر ابن ابي بكر ابن موسى العدوي المهراني (ت٦٧٦/ ١٢٧٧) . كان السلطان يعتقد في هذا الشيخ حتى اطلق يده "يتصرف في جميع مملكة الظاهر بما يختار ويريد ".(٥) وقد بنى له الملك الظاهر بالاضافة الى هذه الزاوية بالقدس ، زاوية بالقاهرة وزاوية بدمشق وزاوية ببعلبك وزاوية بحماة وزاوية بحمص.(٦) ولجميع

---

١ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٣٨٦ .

٢ . العمري ، مسالك الابصار ، ج ٣ ، ص١٨٠ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٦٠٣ .

٣ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٣٩٩ .

٤ . المصدر والصفحة ذاتهما .

٥ . ابن ابي الفضائل ، النهج السديد ، ج ٢ ، ص٤٥٢ — ٤٥٨ .

٦ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٤٥٨ .

هذه الزوايا اوقاف يصرف ريعها على الفقراء.[١]

٣ - الزاوية اليونسية [٢]: كان البناء الذي به هذه الزاوية كنيسة في الاصل، حولت الى زاوية قبل سنة ٦٩١/ ١٢٩١م.[٣] وسميت باليونسية نسبة للفقراء اليونسية.[٤] ويذكر كرد علي ان هذه الزاوية لا زالت موجودة حتى الان.[٥]

٤ - زاوية المغاربة : كانت تقع بأعلى حارتهم في القدس، وهي من وقف الشيخ عمر بن عبدالله بن عبد النبي المغربي المصمودي . اوقفها على الفقراء والمساكين في سنة ٧٠٣/ ١٣٠٣م.[٦]

٥ - الزاوية الامينية : كانت تقع بباب الدويدارية بالقدس، واقفها الصاحب امين الدين عبد الله في سنة ٧٣٠/ ١٣٢٩م.[٧] وقد كان شيخ هذه الزاوية ينصب في وظيفته بطرة توقيع من نائب السلطنة . يذكر القلقشندي نص توقيع في مشيخة هذه الزاوية كتب به للشيخ برهان الدين الموصلي هذا نصه :

---

١. المصدر ذاته، ج ٢، ص ٤٥٩ .

٢. الطريقة اليونسية اسسها الشيخ المتصوف الشيباني (ت ٦١٩/ ١٢٢٢) ؛

Massignon, Louis, "Tarika", The Encyclopaedia of Islam, vol. IV, edit. by M.Th. Houtsma and A.J. Wensick, Leyden, Brill, 1934, p. 672.

٣. الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٣٩٥ .

٤. المصدر والصفحة ذاتهما .

٥. كرد علي، المصدر ذاته، ج ٦، ص ١٥٣ .

٦. الحنبلي، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٣٩٧، ٥٨٠ .

٧. المصدر ذاته، ج ٢، ص ٣٩٠ .

" توقيع كريم بان يحمل الجناب العالي ، الشيخي ، البرهاني ، ابراهيم ابن سيدنا المرحوم الشيخ القطب ، تقي الدين ابي بكر الموصلي ، رضي الله عنه واعاد من بركاتهما ، في وظيفتي النظر والمشيخة ، بالزاوية الامينية بالقدس الشريف ، على حكم النزول الشرعي ، واستمرار ذلك بمقتضاها ، ومنع المنازع بغير حكم الشرع الشريف ، حسب ما رسم به ، على ما شرح فيه ."(١)

٦ — الزاوية المهمازية : بناها واوقف عليها وعلى المشايخ المقيمين بها الشيخ كمال الدين المهمازي سنة ٧٤٥/ ١٣٤٤م.(٢) وهذه الزاوية لا زالت معروفة حتى الان.(٣)

٧ — زاوية المسجد الاقصى : ذكرها ابن بطوطة الذي زار شيخ هذه الزاوية شرف الدين الحشي.(٤)

٨ — الزاوية المحمدية : واقفها محمد بك زكريا الناصري . تم وقفها سنة ٧٥١/ ١٣٥٠م.(٥) : وهي في عصرنا هذا خراب.(٦)

٩ — الزاوية الطواسية : كانت تقع بحارة الاكراد بالقدس، واقفها الشيخ شمس الدين محمد بن جلال الدين عرب بن فخر الدين احمد المجاور بالقدس في سنة ٧٥٣/ ١٣٥٢م.(٧)

---

١. القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ، ص ٢٩٨ .
٢. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ .
٣. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٥٣ .
٤. ابن بطوطة ، رحلة ، ص ٦٥٣ .
٥. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ .
٦. كرد علي ، المصدر ذاته ، ج ٦ ، ص ١٥٣ .
٧. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ .

١٠ - الزاوية البكائية [١] : اول ذكر لهذه الزاوية يورده الحنبلي عند ترجمته لشيخ هذه الزاوية شمس الدين ابي الجعفري . ولد هذا الشيخ ، الذي تولى المشيخة بعد عمه ، سنة ٧٥٦/ ١٣٥٥ [٢] .

١١ - الزاوية الشيخونية : كانت تقع بالقرب من المدرسة الاصلاحية بباب الاسباط ، واقفها الامير سيف الدين قطيشا بن علي بن محمد من اعيان دمشق ، وقد كان مجاورا بالقدس . اوقفها سنة ٧٦١/ ١٣٥٩ [٣] سميت بالشيخونية نسبة لولد الواقف الذي كان يدعى شيخون [٤] .

١٢ - الزاوية البسطامية : كانت هذه الزاوية موجودة بالقدس قبل سنة ٧٧٠/ ١٣٦٨ [٥] واقفها الشيخ عبدالله البسطامي [٦] .

١٣ - زاوية الازرق : كانت تقع بظاهر القدس الشريف من جهة القبلة . سميت بزاوية الازرق نسبة لواقفها الشيخ ابراهيم الازرق المتوفي سنة ٧٨٠/ ١٣٧٨ ، وقد تعرف هذه الزاوية احيانا باسم زاوية السرائي [٧] .

---

١ . الطريقة البكائية هي طريقة متفرعة عن الطريقة القادرية ، كان اول ظهور لها في بلاد السودان ؛ Massignon, L., "Tarika", The Encyclopaedia of Islam, vol. IV, p. 669.

٢ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٩٨ .

٣ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ .

٤ . المصدر والصفحة ذاتهما .

٥ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ ، ٤٩٩ ، ٥٣٧ .

٦ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ .

٧ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ .

١٤ - الزاوية اللؤلؤية : كانت تقع بالقرب من باب مدينة القدس المسمى بباب العمود ، وهي وقف بدر الدين لؤلؤ غازي (ت٧٨٧/ ١٣٨٥) احد عتقاء الملك الاشرف شعبان بن حسن .[١]

١٥ - الزاوية القلندرية [٢] : كانت تقع بظاهر مدينة القدس،[٣] كانت هذه الزاوية موجودة في القدس سنة ٧٩٥/ ١٣٩٢،[٤]

١٦ - الزاوية الوفائية [٥] : تقع بباب الناظر . كانت هذه الزاوية تعرف بدار الشيخ شهاب الدين ابن الهائم ، ثم عرفت بزاوية بني ابي الوفا لسكن فقراء الطريقة الوفائية بها [٦] . واول اشارة لتاريخ وجود هذه الزاوية بالقدس يوردها الحنبلي عند ترجمته لشيخ الوفائية الذي يذكره بقوله : "الشيخ العالم المسلك السيد الشريف الحسيب النسيب تقي الدين ابو بكر بن الشيخ تاج الدين ابي الوفا محمد بن الشيخ

---

١. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٣٩٨ .

٢. الطريقة القلندرية فارسية الاصل ، ظهر اتباعها في دمشق سنة ٦١٠/ ١٢١٣ ، زيادة ، المصدر ذاته ، ص١٦٣ .

٣. الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص٢٣ ، الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٥٠٤ ، ٥٠٥ .

٤. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٥٠٤ .

٥. الطريقة الوفائية هي فرع من الطريقة الشاذلية ، ظهر اتباعها في سوريا في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، زيادة ، المصدر ذاته ، ص١٦٣ .

٦. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص٣٨٩ ، ٥٢٦ ، ٥٣٣ ، ٥٥٠ .

علاء الدين بن ابي الوفاء الشافعي شيخ الوفائية بالقدس الشريف مولده ... سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م ... توفي ٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م ...(١)

ومن الزوايا التي كانت موجودة في مدينة القدس في العهد المملوكي اربع زوايا اخرى لم يذكر الحنبلي ، الذي انفرد بذكرها ، تاريخ بنائها بمدينة القدس . هذه الزوايا هي :

١٧ — الزاوية القادرية (٢) : يذكر الحنبلي هذه الزاوية بالقدس عند ترجمته لاحد شيوخها وهو الشيخ شرف الدين موسى بن الشيخ شهاب الدين احمد بن الشيخ جمال الدين عبد الله بن الصامت القادري الحنفي.(٣)

١٨ — زاوية الهنود : كانت هذه الزاوية تقع بظاهر باب الاسباط ، كانت للفقراء الرفاعية ثم نزل بها طائفة الهنود فعرفت بهم.(٤)

١٩ — زاوية الشيخ يعقوب العجمي : كانت تقع بظاهر القدس ، كانت في الاصل كنيسة

---

٠١ المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٢٦ .

٠٢ الطريقة القادرية نسبة لمؤسسها عبد القادر بن عبد الله الجيلاني ، ولد بمدينة جيلان في فارس سنة ٤٧١/ ١٠٧٨ . ثم انتقل الى بغداد حيث توفي سنة ٥٦١/ ١١٦٦ ؛ Arberry, A.J., Sufism: an account of the mystics of Islam, London, Allen, 1950, p. 85.

٠٣ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ .

٠٤ المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ .

ثم حولت الى زاوية .[١] اشتهرت هذه الزاوية في عهد الحنبلي باسم زاوية الشيخ شمس الدين ابن الشيخ عبدالله البغدادي ، وهو احد عدول القدس كان يسكن بتلك الزاوية .[٢]

٢٠ — زاوية البلاسي : كانت تقع بظاهر القدس من جهة القبلة ، سميت بزاوية البلاسي نسبة للشيخ الصالح احمد البلاسي .[٣]

---

١ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٨ .

٢ . المصدر والصفحة ذاتهما .

٣ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٩٧ .

ج — علماء عرفتهم القدس في العهد المملوكي ٠

اذا تصفحنا مصادر العهد المملوكي نجدها تذكر العشرات من العلماء المقادسة ٠ غير ان المعلومات التي وردت في هذه المصادر عن هؤلاء الرجال كانت قليلة ومقتضبة ، الى حد انها لا تكفي لكتابة سيرهم ٠ لذا رأينا ان نذكر منهم من توفرت لدينا معلومات كافية عنهم ٠

١ — الشيخ برهان الدين ابو اسحاق ابراهيم بن ابي الفضل سعدالله بن جماعة (٥٩٦—٦٧٥/ ١١٩٩—١٢٧٦) ، ولد بحماة ثم انتقل وهو شاب الى القدس ٠ وفي تلك المدينة انكب على تحصيل العلم حتى برز في الفقه والحديث ، ثم تعاطى مهنة التدريس فزادت شهرته وقصده الطلاب من كل جهة (١) ٠ يصف ابن الفرات هذا الشيخ بقوله : "كان خيرا صالحا زاهدا عابدا كثير الذكر "(٢) . اما الحنبلي فيذكر ان هذا الشيخ كان "حسن الكلام فيه له قبول عند الناس ولهم فيه اعتقاد "٠ (٣)

وقد اسس الشيخ برهان الدين ، الذى كان اول من استوطن بيت المقدس من بني جماعة الحموي الاصل ، عائلة فاضلة نبغ منها عدد كبير من الابناء والاحفاد الذين كان منهم القضاة والعلماء والاجلاء (٤) طوال العهد المملوكي ٠

---

١٠ ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٣ ، ص ٢٧٣ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٩٣ ٠

٢٠ ابن الفرات ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٦٩ — ٧٠ ٠

٣٠ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٩٣ ٠

٤٠ ابن الفرات ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٧٠ ٠

منهم الشيخ العلامة زين الدين عبد الرحيم بن جماعة (٧٧٧—٨٠٩/ ١٣٧٥—١٤٠٦) الذي كان مدرسا في الصلاحية ،[١] واخوه خطيب الاقصى جمال الدين بن جماعة .[٢] ومنهم ايضا القاضي الشيخ الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن برهان الدين بن جماعة (٨٢٥—٨٦١/ ١٤٢١—١٤٥٦) مدرس الصلاحية وعالمها .[٣] كان هذا الشيخ "خطيبا فصيحا زاهدا متواضعا ".[٤]

٢ — الشيخ جمال الدين ابو عبد الله محمد بن سليمان ابن الحسن بن الحسين المقدسي ، المعروف بابن النقيب (٦٢١—٦٩٨/ ١٢٢٤—١٢٩٨) . ولد بالقدس وتلقى بها علومه الدينية الاولى ثم انتقل الى القاهرة حيث درّس بالجامع الازهر وفي بعض المدارس الاخرى هناك .[٥] ثم انتقل الى القدس الشريف حيث صنف كتابا كبيرا في التفسير جمع فيه خمسين مصنفا من التفاسير [٦] بلغ تسعة وتسعين مجلدا .[٧] وقد لاقى كتاب الشيخ جمال الدين رواجا كبيرا حتى صار ينعت مؤلفه بـ "صاحب التفسير الكبير ".[٨]

---

١. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٠٨ .
٢. المصدر والصفحة ذاتهما .
٣. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٢٧ .
٤. المصدر والصفحة ذاتهما .
٥. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٤ .
٦. المصدر ذاته ، ج ١٤ ، ص ٥ .
٧. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٠٦ .
٨. الذهبي ، دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .

وقد كان الشيخ جمال الدين عالما فاضلا يقصد الناس زيارته بالقدس ويتبركون بدعائه.(١)

٣ - الشيخ جلال الدين ابو اسحاق ابراهيم بن زين الدين محمد بن احمد بن محمود العقيلي ، المعروف بابن القلانسي (٦٥٤-٧٢٢/ ١٢٥٦-١٣٢٢) . تلقى علومه الدينية الاولى في مدينة القدس وتلقى علم الحديث على جماعة من العلماء.(٢) ثم اشتغل بصناعة الكتابة والانشاء حتى برع فيهما.(٣) ومن القدس ارتحل الى دمشق فلاقى من اهلها كل الترحيب والاكرام. يصف ابن كثير ذلك بقوله : " وقدم دمشق مرة فاجتمع به الناس واكرموه وحدث بها ثم عاد الى القدس".(٤) وبعد دمشق زار الشيخ جلال الدين القاهرة ، وهناك انقطع عن تدريس الفقه والكتابة والانشاء واقبل على العبادة والزهادة فبنى له الامراء بمصر في سنة ٦٩٩/ ١٢٩٩ زاوية يتعبد بها.(٥) وفي مدة اقامته بمصر نال كل تقدير واحترام من الامراء واهل الدولة فكانوا يترددون الى زاويته ويبالغون في اكرامه.(٦) ثم انتقل الى القدس حيث توفي بها سنة ٧٢٢/ ١٣٢٢.(٧) يصفه المقريزي بأنه كان " كاتبا فاضلا معتقدا "(٨) ، اما الحنبلي فيصفه بأنه "كان فيه بشاشة وقضاء حاجة وكان ثقيل السمع".(٩)

---

١. ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٤ ، ص ٤ ؛ الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٠٦ .
٢. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٠٤ .
٣. المصدر والصفحة ذاتهما .
٤. المصدر والصفحة ذاتهما .
٥. المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، قسم ١ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .
٦. المصدر والصفحة ذاتهما .
٧. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ .
٨. المقريزي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، قسم ١ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .
٩. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ .

٤ — الشيخ صلاح الدين ابو سعيد خليل بن كيكلدي ابن عبدالله العلائي (٦٩٤—٧٦١/ ١٢٩٤—١٣٥٩) . كان شافعي المذهب . ولد بدمشق ثم ارتحل وهو شاب الى القدس لطلب العلم ، وبعدها الى مصر والحجاز . ثم رجع ثانية الى القدس سنة ٧٣١/ ١٣٣٠ وبقي بها الى ان توفاه الله.[١]

كان الشيخ صلاح الدين من اشهر علماء مدينة القدس في ذلك العهد ، ولا غرو في ذلك بعد ان بلغ عدد شيوخه الذين اخذ عنهم بالسماع سبعمائة شيخ.[٢] درس بالمدرسة الصلاحية والتنكزية بالقدس،[٣] ثم اضيفت اليه مشيخة دار الحديث التي استمر شيخا لها مدة ثلاثين سنة.[٤] وقد برز هذا الشيخ في علم الحديث [٥] والتفسير والاصول والفرائض والفقه واللغة العربية والادب.[٦] اما تصانيفه فهي عديدة [٧] منها :

---

١. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ .
٢. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٥١ — ٤٥٢ .
٣. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ .
٤. ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٤ ، ص ٢٦٧ .
٥. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ .
٦. ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٤ ، ص ٢٦٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٩٠ — ٩١ .
٧. ابن كثير ، المصدر ذاته ، ج ١٤ ، ص ٢٦٧ .

١ — الفوائد المجموعة في الفرائد المسموعة ، جمع فيه المؤلف كل ما سمعه عن شيوخه.(١)
٢ — تحفة الرائض بعلوم آيات الفرائض.(٢)
٣ — الاربعين في اعمال المتقين .(٣)
٤ — شرح حديث ذي اليدين ، في مجلد .(٤)
٥ — الوشي المعلم فيمن روى عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.(٥)
٦ — عقيلة الطالب في ذكر اشرف الصفات والمناقب.(٦)
٧ — تنقيح المفهوم في صيغ العموم.(٧)
٨ — المجموع المذهب في قواعد المذهب .
٩ — مختصر جامع الاصول لاحاديث الرسول ، اشتهر هذا الكتاب باسم تهذيب الاصول .

---

١ . ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٩١ .
٢ . المصدر والصفحة ذاتهما ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ .
٣ . ابن حجر العسقلاني ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٩١ .
٤ . المصدر والصفحة ذاتهما ، الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ .
٥ . ابن حجر العسقلاني ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٩١ ، والحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ .
٦ . المصدر والصفحة ذاتهما .
٧ . المصدر والصفحة ذاتهما .

١٠ - الاشباه والنظائر في فروع الفقه الشافعي .

١١ - تفصيل الاجمال في تعارض الاقوال والافعال .

١٢ - برهان التيسير في عنوان التفسير.(١)

يصف ابن حجر العسقلاني الشيخ صلاح الدين العلائي بأنه كان "متقنا في كل باب .. يحفظ تراجم اهل العصر ومن قبلهم وكان له ذوق في الادب ونظم حسن مع الكرم وطلاقة الوجه..(٢)

٥ - ابو محمود احمد بن محمد بن ابراهيم بن هلال بن تميم بن سرور المقدسي (٧١٤-٧٦٥/ ١٣١٤-١٣٦٤) ، وهو شافعي المذهب ، ولد بالقدس ونشأ وتوفى بها.(٣)

كان المقدسي ، منذ بداية عهده بتحصيل العلم ، طالبا نجيبا سريع القراءة والحفظ ، عني بالحديث فأكثر من استحضاره حتى برز فيه.(٤) وعندما اتم تحصيله وبرع في العلوم الدينية عين مدرسا لمادتي الحديث والفقه بالمدرسة التنكزية بالقدس (٥) وبجانب قيامه بوظيفة التدريس بتلك المدرسة انصرف المقدسي الى وضع المؤلفين التاليين :

---

١. كحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية ، ١٥ ج ، دمشق ، مطبعة الترقي ، ١٩٥٧ - ١٩٦١ ، ج ٤ ، ص ١٢٦ .

٢. ابن حجر العسقلاني ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٩١ .

٣. ابن حجر العسقلاني ، المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

٤. المصدر والصفحة ذاتهما .

٥. المصدر والصفحة ذاتهما ، والحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٩٩ .

١ — المصباح في الجمع بين الاذكار والسلاح [١] .

٢ — انتماء السنن واقتفاء السنن [٢] : هذا الكتاب هو عبارة عن شرح لبعض الاحاديث التي وردت في كتاب السنن لابي داود سليمان بن اشعث السجستاني المتوفي سنة ٢٧٥/ ٨٨٨ [٣] في اول كتاب انتماء السنن واقتفاء السنن يقول المقدسي : "الحمد لله الذي ارسل رسوله محمدا بالهدى الخ ." [٤]

وللمقدسي كتابان آخران هما :

١ — اقتفاء المنهاج في احاديث المعراج [٥] .

---

١ . المصدر والصفحة ذاتهما ؛ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله (ت١٠٦٧/ ١٦٥٧) ، ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، ٢ ج ، حققه محمد شرف الدين يالتقيا ، استانبول ، مطبعة المعارف ، ١٩٤١ — ١٩٤٣ ، ج ٢ ، ص ١٧٠٧ .

٢ . كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ١ ، ص ٦٢ — ٦٣ .

٣ . حاجي خليفة ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ١٠٠٤ .

٤ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ١٠٠٦ .

٥ . المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

٢ — مثير الغرام الى زيارة القدس والشام.[١] اوله : "الحمد لله الذي زاد مسجدنا الاقصى شرفا الخ ."[٢] قسم المؤلف كتابه [٣] هذا الى قسمين بحث في اولهما في فضل الشام وبيان حدوده واشتقاق اسمه ، وذكر الآيات الشريفة التي وردت في القرآن الكريم في فضله . والقسم الثاني بحث فيه فضل المسجد الاقصى ثم ذكر بعض من ورد القدس من الاخيار والصالحين.[٤] فرغ المقدسي من تأليف

Brockelmann, Carl, Geschichte der Arabischen Litteratur, 2 vols.,
Leiden, Brill, 1937 - 1949, vol. 2, Sup. 2, p. 162.

سنشير الى هذا المرجع فيما يأتي باسم : تاريخ الاداب العربية .

٢ . حاجي خليفة ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٧٧ .

٣ . لهذا الكتاب ثلاث نسخ على شكل مخطوطات : نسخة جيدة كتبت في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ببسوهاج تحت رقم ١٦٠ تاريخ ، طول صفحتها ثمانية عشر سنتمترا ، وعرضها ثلاثة عشر سنتمترا . ومنه نسخة اخرى بها نقص من اولها ، كتبت سنة ٨٨٤/ ١٤٧٩ ، توجد بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤ تاريخ . طول صفحتها واحد وعشرون سنتمترا وعرضها اربع عشرة سنتمترا . ونسخة ثالثة كتبت في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي توجد بمكتبة الاحمدية بحلب تحت رقم ١٢٢٧ ، طول صفحتها ثمانية عشر سنتمترا وعرضها خمسة عشر سنتمترا ؛ عبد البديع ، لطفي ، فهرس المخطوطات المصورة ، ٣ج في ٨ م ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ١٩٥٤ — ١٩٦٣ ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .

٤ . حاجي ، خليفة ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٣٧٧ .

هذا الكتاب ، الذي يصفه الحنبلي بانه ذائع الصيت وعظيم الفائدة ،[١] في سنة ٧٥٢/ ١٣٥١ ببيت المقدس.[٢]

هذا وقد نشر القسم الاخير من اصل هذا الكتاب تحت اسم كتاب مثير الغرام بفضائل القدس والشام ،[٣] يذكر فيه المؤلف اسماء وسير بعض من ورد القدس من الصالحين ، خاصة منهم الصحابة والتابعين الذين قدموا بيت المقدس واقاموا فيها او توفوا ودفنوا هنالك . ويعتبر هذا القسم الذي نشر من الكتاب احد المصادر الهامة لدرس تاريخ بيت المقدس في العصور الوسطى ، خاصة فيما يتعلق باسماء من ورد القدس من الاخيار والامكنة التي دفنوا فيها . ومن الجدير بالذكر ان مجير الدين الحنبلي اعتمد اكثر من مرة على كتاب المقدسي عند كتابته للانس الجليل ، ويظهر ذلك خاصة في ما يتعلق بفضل بيت المقدس ومزاراته وذكر من دخل تلك المدينة من الصحابة والصالحين .[٤]

وقبل ان ننهي حديثنا عن هذا العالم يجب ان نشير الى انه كان ، بجانب كتاباته الدينية والتاريخية ، ينظم الشعر . ومن ذلك قوله :

---

١. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٤٩٩ .

٢. المصدر والصفحة ذاتهما .

٣. المقدسي ، ابو محمود احمد بن محمد بن ابراهيم بن هلال بن تميم بن سرور ، كتاب مثير الغرام بفضائل القدس والشام ، حققه احمد سامح الخالدي ، يافا ، المطبعة العصرية ، ١٩٤٦م .

٤. انظر مثير الغرام ، ص ٧ — ٥٥ ، والانس الجليل ، ج ١ ، ص ٢٣٠ — ٢٣٧ .

قد صح عند الناس اني مغـــــرم　　اترى تجود بما ادعوه وتنعم
فلقد شهدتك دونهم بدر الدجى　　لبليتي ومنيتي ولقد عمـــوا
كم ذا اورّي والعواذل حضـــــر　　واصد عن ذكراك كي يتوهموا
واذا ذكرت ارى الرقيب تجلـــدا　　واخو الصبابة ما عساه يكتم
عذر الهوى من بعد ما سالمتـــه　　ومن الذى يهوى ومنه يسلم (١)

٦ — الشيخ شهاب الدين احمد بن عمر الشافعي ، المشهور بابن روحة ابي عذيبة (٨١٩—٨٥٦/ ١٤١٦—١٤٥٢) . ولد بالقدس ومات بها . حفظ القرآن في صغره ثم تلقى علومه الدينية الاولى على عدد من العلماء في مدينة القدس ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره ارتحل الى مكة والمدينة حيث سمع الحديث على عدد من المشايخ الاعلام.(٢) وفي سنة ٨٣٧/ ١٤٣٣ انتقل الى القاهرة ثم الى دمشق فالى مسقط راسه مدينة القدس.(٣) وفي تلك المدينة انيطت به خطة تدريس الفقه في المدرسة الصلاحية ، وبقى مباشرا لعمله ذاك الى ان توفاه الله سنة ٨٥٦/ ١٤٥٢ .(٤)

---

١. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٠٠ .
٢. السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .
٣. المصدر والصفحة ذاتهما .
٤. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٢٤ .

لهذا الشيخ كتابا تاريخ ، احدهما مطول [١] سماه : تاريخ دول الاعيان شرح قصيدة نظم الجمان [٢] ، والثاني "تاريخ مختصر" [٣] . يذكر السخاوي ان كتاب التاريخ المطول اتلف على الرغم مما كان فيه من فوائد وذلك لان مؤلفه تتبع فيه مساوي الناس وثلب اعراضهم . [٤] اما الحنبلي فيذكر ان هذا الكتاب لم يظهر بعد وفاة مؤلفه بسبب اتلاف بعض الناس له ، وفي ذلك يقول : "ولم يظهر تاريخه الكبير بعد وفاته ... وقد اطلع بعض الناس عليه فوجد فيه اشياء فاحشة من ثلب اعراض الناس فأعدمه ." [٥]

اما كتاب تاريخه الثاني "المختصر" ، فقد وقف السخاوي على نسخة منه مكتوبة بخط مؤلفه ، وذكر ان هذا الكتاب "فيه اوهام كثيرة جدا ومجازفات تفوق الحد ." [٦] وكذلك اطلع صاحب الانس الجليل على معظم هذا الكتاب وقال انه "مرتب على حروف المعجم." [٧]

---

١ . المصدر والصفحة ذاتهما .

٢ . الزركلي ، خير الدين ، الاعلام بقاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ١٠ ج ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مطبعة كوستاتوماس ، ١٩٥٤ — ١٩٥٩ م ، ج ١ ، ص ٢١٨ .

٣ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٢٤ .

٤ . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ١٦٢ — ١٦٣ .

٥ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٢٤ .

٦ . السخاوي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ١٦٢ — ١٦٣ .

٧ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٢٤ .

٧ — الشيخ تقي الدين ابو الفداء اسماعيل بن علي بن الحسن بن سعيد بن صالح القرقشندي (٧٠٢—٧٧٨/ ١٣٠٢—١٣٧٦) . ولد بمصر وتعلم بها علومه الدينية الاولى ثم ارتحل الى القدس واقام بها . ودأب على تحصيل العلم في تلك المدينة حتى صار فقيه القدس المشار اليه بالبنان.(١) ثم تزوج بنت الشيخ العلائي (٢) المدرس بالمدرسة الصلاحية فعين معيدا له بتلك المدرسة ، فاشتهر بمثابرته على نشر العلم حتى صار قبلة طلاب المعرفة وكثر تلامذته وقصدوه من مختلف البلاد.(٣) والشيخ تقي الدين القرقشندي هو مؤسس عائلة القرقشندي في القدس . وقد برز في هذه العائلة بتلك المدينة عدد من العلماء منهم ابنه برهان الدين (٧٤٨ — ٧٩٠/ ١٣٤٧—١٣٨٨) ، الذي تفقه على والده وجده العلائي حتى صار من العلماء الاعلام درس وافتى بالقدس واخذ عن عدد كبير من العلماء.(٤) يصفه الحنبلي بقوله "وكان من عجائب الدهر حفظا وذكاء واستحضارا للعلوم".(٥)

ومن ابناء العلامة تقي الدين القرقشندي ايضا المسندة امنة (ت٨٠٩ / ١٤٠٦) ، تلقت دروسها الاولى الدينية ببيت ابيها ثم سمعت عليه وعلى جدها لامها العلامة العلائي حتى صارت من كبار المحدثين بمدينة القدس.(٦) ومنهم

---

١. السيوطي ، نظم العقيان ، ص٩٦ .
٢. انظر هذه الدراسة ص ١٦٠ .
٣. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٠١ .
٤. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٠٣ .
٥. المصدر والصفحة ذاتهما .
٦. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٠٧ .

ايضا العلامة شمس الدين بن تقي الدين القرقشندي (٧٤٥–٨٠٩/ ١٣٤٤ – ١٤٠٦) ، اخذ عن ابيه وجده لامه الحافظ صلاح الدين العلائي ، اشتغل واجتهد حتى صار شيخ علماء القدس في الفتوى والتدريس.[١]

٨ – ابو اليمن عبد الرحمن بن محمد بن مجير الدين العليمي الفخري الحنبلي (٨٦٠–٩٢٨/ ١٤٥٦–١٥٢٢) ، ولد في القدس . ومنذ حداثة سنه لازم مجالس علماء القدس وحضر الدروس التي كانوا يلقونها في مختلف العلوم اللغوية والدينية.[٢] وقد امتاز بفطنته وحبه للعلم منذ صغره حتى انه عرض على شيخه تقي الدين اسماعيل القرقشندي تحصيله في العلوم اللغوية والحديث ، فأجازه الشيخ ولم يتجاوز الحنبلي في ذلك العهد السادسة من عمره . وفي ذلك يقول الحنبلي في كتابه الانس الجليل[٣] : " وقد عرضت عليه [على الشيخ القرقشندي] ملحة الاعراب ... ولي دون ست سنين ... وهو اول شيخ عرضت عليه وتشرفت بالجلوس بين يديه واجازني بالملحة ... وبغيرها من كتب الحديث الشريف ... وكتب والدي الاجازة بخطه وكتب الشيخ خطه الكريم عليها ".

ولما بلغ عمر مجير الدين عشرين سنة ارتحل الى القاهرة حيث قضى تسع سنوات في الدرس والتحصيل . وبعد انهاء دراسته في القاهرة عين قاضيا لمدينة

---

١. المصدر والصفحة ذاتهما .

٢. سركيس ، يوسف اليان ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة ، مطبعة سركيس ، ١٩٢٨ – ١٩٣٠م ، ص ٣٥٨ .

٣. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٥٢٩ .

٤.

الرملة سنة ٨٨٩/ ١٤٨٤ ، ثم قاضيا بالقدس سنة ٨٩١/ ١٤٨٦ ، وبقي في خطته تلك الى ان تقاعد عن العمل سنة ٩٢٢/ ١٥١٦ ، وبقي بمدينة القدس الى ان توفى سنة ٩٢٨/ ١٥٢٢.(١)

من آثار القاضي عبد الرحمن العليمي الحنبلي :

١ — اتحاف الزائر واطواف المقيم المسافر .

٢ — فتح الرحمن في تفسير القرآن .(٢)

٣ — المنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد .(٣)

٤ — التاريخ المعتبر من انباء من عبر .(٤)

---

١ Brockelmann, C., "Al-Olaimi", The Encyclopaedia of Islam, vol. III; edit. by M.Th. Houtsma and A.J. Wensick, Leyden, Brill, 1936, p. 974.

٢ . كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٥ ، ص ١٧٧ .

٣ . المصدر والصفحة ذاتهما ؛ بروكلمان ، تاريخ الاداب العربية ، ج ٢ ، ملحق ٢ ، ص ٤١ ، ٤٢ .

٤ . حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٣٠٥ ، ج ٢ ، ص ١٧٣١ ؛ بروكلمان ، تاريخ الاداب العربية ، ج ٢ ، ملحق ٢ ، ص ٤١ — ٤٢ ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٥ ، ص ١٧٧ .

٥ — الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل [١] : يعتبر هذا الكتاب اهم مؤلفات القاضي العليمي على الاطلاق ، جمع فيه تواريخ مدينة القدس من آدم الى سنة ٩٠٠/ ١٤٩٤ . وهو اهم الكتب التي تناولت تاريخ مدينة القدس والخليل في العهدين الايوبي والمملوكي . [٢] بدأ الحنبلي كتابة تاريخه هذا في ٢٥ ذى الحجة سنة ٩٠٠/ ١٧ ايلول ١٤٩٤ ، وانتهى منه في ١٧ رمضان سنة ٩٠١/ ٣١ ايار ١٤٩٥ [٣]

يذكر الحنبلي في مقدمة هذا الكتاب الاسباب التي دعته لتأليفه بقوله :

" وانما دعاني لذلك ان غالب بلاد الاسلام قد اعتنى بها الحفاظ وكتبوا ما يتعلق بتاريخها مما يفيد اخبارها الواقعة في الزمن السابق وبيت المقدس لم اطلع له على شيء من ذلك يختص به وانما ذكروا في التواريخ اشياء في اماكن متفرقة ورأيت الانفس متشوقة الى شيء من هذا النمط الذي قصدت فعله فان بعض العلماء كتب شيئا يتعلق بالفضائل فقط وبعضهم تعرض لذكر الفتح العمري وعمارة بني امية وبعضهم ذكر الفتح

---

١ . ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية سوفير Henri Sauvaire, Histoire de Jerusalem et d'Hebron depuis Adam jusqu'a la fin du XV^eme siecle: Fragments de la chronique de Moudjiraddyn, Paris 1876.

٢ . انظر تقييم هذا الكتاب في هذه الدراسة ص ١١ - ٢٣ .

٣ . Brockelmann, Carl, "Al-Olaimi", The Encyclopaedia of Islam, vol. III, p. 974.

الصلاحي واقتصر عليه ولم يذكر ما وقع بعده وبعضهم كتب تاريخا تعرض فيه لذكر بعض جماعة من اعيان بيت المقدس مما ليس فيه كبير فائدة فأحببت ان اجمع بين ذكر البناء والفضائل والفتوحات وتراجم الاعيان وذكر بعض الحوادث المشهورة ليكون تاريخـــا كاملا ...(١)

هذا وقد اعتمد الحنبلي في كتابة الفصول الاولى من كتابه الانس الجليل على كتاب شهاب الدين المقدسي (٢) (ت٧٦٥/ ١٣٦٤) مثير الغرام الى زيارة القدس والشام ، ويظهر هذا جليا خاصة في ما يتعلق بفضل بيت المقدس ومزاراته ، وذكر من دخل تلك المدينة من الصحابة والصالحين.(٣) وقد رجعنا الى هذا الكتاب في كتابة هذه الدراسة مرات عديدة . وذلك لكثرة المعلومات التي انفرد بذكرها هذا المؤلف ، والتي اعانتنا كثيرا في دراسة تاريخ مدينة القدس في العهد المملوكي .

---

١. الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ٦ .
٢. انظر هذه الدراسة ص ١٦٢ — ١٦٥ .
٣. انظر هذه الدراسة ص ١٦٥ .

د — موقف علماء تلك المدينة من بعض المسائل الدينية ، ومن السلطة المملوكية في ذلك العهد .

ان الحكم بانصاف على موقف علماء القدس من بعض المسائل الدينية ، التي كانت رائجة في ذلك الوقت ، يعتبر امر صعب لعدم وجود مصنفاتهم بين ايدينا . غير ان بعض المعلومات التي تذكرها كتب تاريخ العهد المملوكي ، تلقي لنا بعض الضوء على موقف اولئك العلماء من تلك المسائل .

من ابرز الحوادث التي وقف فيها علماء القدس موقفا صلبا لا تسامح فيه ،

١٠ هو تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن محمد بن تيميه الحراني ، متكلم وفقيه حنبلي (٦٦١ـ٧٢٨/ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨) . برع في علوم القرآن والحديث والفقه والكلام . دافع عن سنن السلف الصالح من المسلمين بأدلة لم يسبق اليها ، مع انها مستقاة من القرآن والحديث ، ولكن حريته في الجدل والمناظرة جلبت عليه عداوة الكثير من علماء المذاهب الثلاثة الاخرى . ونتيجة لتعاليمه الدينية الجريئة حرم ، في القاهرة ، من منصب التدريس سنة ٦٩٩/ ١٢٩٩ ، والقي في الجب بقلعة الجبل لمدة سنة ونصف . وبعد ذلك سجن ، لاسباب سياسية ، بحبس القضاة بالقاهرة سنة ونصفا . ثم اعتقل في برج الاسكندرية مدة ثمانية اشهر . وفي سنة ٧٢٠/ ١٣٢٠ سجن ، لاسباب تتعلق باجتهاداته الدينية ، في قلعة دمشق مدة خمسة اشهر وثمانية عشر يوما . وفي سنة ٧٢٦/ ١٣٢٦ ، صدر مرسوم سلطاني باعتقاله في قلعة دمشق ، التي بقي فيها مسجونا الى ان توفي سنة ٧٢٨/ ١٣٢٨ .

ومع ان ابن تيمية كان من الحنابلة فانه لم يتبع تعاليم ذلك المذهب من غير تبصر او روية ، بل كان يعتبر نفسه مجتهدا في المذهب . وقد افتى في عدة مسائل ولم يأخذ فيها ابن تيمية بالتقليد ولا بالاجماع . هذا ولا يزال الخلاف في سنية ابن تيمية باقيا الى يومنا هذا ، حيث يرميه عدد من علماء المسلمين بالزندقة . وقد وصل الينا من بين الخمسمائة مؤلف التي يقال انه صنفها اربعة وستون فقط .

Ben Cheneb, Mohamed, " Ibn Taimiya" The Encyclopaedia of Islam, vol. II, pp. 421 - 423.

الجوزية.[١] فقد انكر هؤلاء العلماء على ابن تيمية قوله ان الطلاق بالثلاث لا يقع بلفظ واحد،[٢] وانكروا على ابن قيم الجوزية كلامه ، بمدينة القدس سنة ٧٢٦/ ١٣٢٥ ، بعدم جواز الشفاعة والتوسل بالانبياء ، وكذلك آخذوا عليه نكرانه " مجرد القصد للقبر الشريف دون قصد للمسجد النبوي ".[٣] وما كان من علماء القدس الا ان اجتمعوا وكتبوا في ابن القيم الى قاضي القضاة جلال الدين محمد القزويني وغيره من قضاة دمشق . ولما وصلت كتب المقادسة في ابن القيم ، كتب قضاة دمشق فيه وفي استاذه ابن تيمية الى السلطان فكان جزاء ابن تيمية الحبس وجزاء ابن القيم الضرب المبرح.[٤]

---

١. هو شمس الدين محمد بن ابي بكر (٦٩١—٧٥١/ ١٢٩٢—١٣٥٦) ، اشتهر بابن قيم الجوزية نسبة للمدرسة الجوزية بدمشق ، والتي كان ابوه قيما عليها . كان شمس الدين تلميذ ابن تيمية ، آمن بآراء استاذه في الاجتهاد وعمل بها . ومثله مثل استاذه حارب اهل الفلسفة والنصارى واليهود ؛ Juynboll, Th.W., "Ibn Kaiyim Al-Djawziya", The Encyclopaedia of Islam, vol. II, pp. 392-393.

٢. المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، قسم ١ ، ص ٢٧٣ .

٣. المصدر والصفحة ذاتهما .

٤. المصدر والصفحة ذاتهما .

اما فيما يتعلق بموقف علماء القدس من السلطة المملوكية فان المعلومات المتوفرة لدينا ، مثلها في ذلك مثل المعلومات التي تتعلق بموقف هؤلاء من القضايا الدينية ، قليلة ومقتضبة . ومن هذه المواقف التي تلقي لنا ضوءا على نفوذهم في مدينة القدس في ذلك العهد ، انهم في سنة ٨٧٨/ ١٤٧٣ اجتمعوا بقضاة المذاهب السنية بالقدس ، وقرروا جميعا ان احدى كنائس اليهود في تلك المدينة كانت محدثة بالرغم من استظهار اليهود بمستندات كافية لاثبات عكس ذلك.(١) فكتب محضر في منع اليهود من دخول ذلك الكنيس " وكتب فيه العلماء والمشايخ خطوطهم ... واغلقت الكنيسة ومنع اليهود من دخولها والتعبد فيها .(٢) ومما تجب الاشارة اليه في هذا المجال ان قضية كنيس اليهود هذا لم تقف عند هذا الحد ، بل زادت خطورة وتشعبا عندما اشتكى اليهود الى السلطان المملوكي من ظلم علماء ومشائخ القدس لهم .(٣) وعلى الرغم من صدور مرسوم السلطان " بتمكين اليهود من كنيستهم وعدم معارضتهم على عادتهم "(٤) كتب علماء القدس وفقراؤها الى القاهرة كتابا يتهمون فيه " الخزائن الشريفة " بالتواطؤ مع اليهود مقابل ما دفعه هؤلاء من مال كثير . ولما سمع السلطان بهذه التهمة غضب اشد الغضب وامر كلا من ناظر الحرمين ونائب السلطنة بالقدس بارسال كل من كان له ضلع في كتابة

---

١ . الحنبلي ، المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٣٤ .

٢ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٣٥ .

٣ . المصدر والصفحة ذاتهما .

٤ . المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٣٧ .

تلك الرسالة . وكان الرد على مرسوم السلطان : "ان العلماء والفقراء حلفوا بالله العظيم انهم لم يكونوا كتبوا ذلك ولا علموا به ".(١) وقد تطور هذا الخلاف بين السلطان وعلماء القدس الى ان توجه احد المشائخ المقادسة واسمه محمد بن عفيف الدين ومعه جموع غفيرة من العوام وامر بهدم تلك الكنيسة "فشرع المسلمون في هدمها فهدم غالبها ثم .... هدم باقيها وكان يوما مشهودا ".(٢) واثناء عملية الهدم كان احد العلماء يحرض الناس على الهدم ويقوي عزمهم حتى انه "كلما ثار الغبار من التراب على رؤوس الناس واثوابهم ينفضه عنهم بمنديل في يده ويقول هذا غبار الجنة تثابون على هذا الفعل في الجنة".(٣)

واخيرا انتهت هذه الفتنة على غير ما كان يريده علماء ومشائخ القدس ، فقد امر السلطان بجلب كل من اشترك منهم في التحريض على الهدم وجلدهم في مجلسه بالقاهرة . ثم امر باعادة بناء كنيسة اليهود سنة ٨٨٠/ ١٤٧٥ . ومن الملاحظ ان اكثر هؤلاء العلماء لم يرجعوا الى القدس، فمنهم من سافر الى مكة واستقر بها ومنهم من اقام بالقاهرة ومنهم من سكن الرملة ، وآخرون استوطنوا دمشق.(٤) يصف الحنبلي هذه الواقعة بقوله : "كانت فتنة فاحشة فالحكم لله العلي الكبير ".(٥)

---

١. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٣٩ .
٢. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٤٠ .
٣. المصدر والصفحة ذاتهما .
٤. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٤٠ — ٦٤٣ .
٥. المصدر ذاته ، ج ٢ ، ص ٦٤٣ .

مما سبق يمكننا ان نستخلص ان علماء مدينة القدس في العهد المملوكي ، كانوا لا يقفون موقفا سلبيا ازاء المشاكل التي كانت تظهر في المجال الديني في عصرهم . ونستنتج ايضا انه كان لهم رأي في تسيير الشؤون الدينية والعلمية في المدينة ، زيادة على ما كان لديهم من تأثير كبير على العامة في مدينة القدس .

خاتمة

كانت مدينة القدس في العهد المملوكي ، كما كانت في العهود الاسلامية السابقة له ، تمتاز بصبغة دينية كلها جلال وقداسة . فهي المدينة المقدسة لدى المسلمين بقدر ما هي مقدسة عند النصارى واليهود .

وقد ازداد اهتمام المسلمين بتلك المدينة منذ امتلاك الصليبيين لها سنة ٤٩٣/ ١٠٩٩ الى ان استرجعها صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٣/ ١١٨٧ . ولما دخلت هذه المدينة تحت حكم المماليك (٦٥١-٩٢٢/ ١٢٥٣-١٥١٦) ، شعر هؤلاء السادة الجدد ، كما شعر اسلافهم الايوبيون ، بوجوب الدفاع عن حوزة البلاد الاسلامية الخاضعة لحكمهم ، وهي مصر وسوريا ، من كل طارئ وعدو .

وقد حقق المماليك هدفهم هذا في القرنين السابع والثامن هـ/ الثالث عشر والرابع عشر م ، وذلك عندما تغلبوا على الجيوش التترية وقطعوا دابرها ، وطردوا الصليبيين نهائيا من المنطقة .

وبما ان قبلة الصليبيين وهدفهم كانت مدينة القدس فقد بقت فكرة احتمال رجوع هؤلاء وامتلاكهم لها امرا يهز الدولة المملوكية ويزعجها .

وعلى ضوء ما كانت تتمتع به مدينة القدس من مركز ديني ، بالنسبة للاديان السماوية الثلاث ، يمكننا ان نفسر اهتمام السلطة المملوكية بالقدس ، والطرق التي ارتأتها في معالجة وضع تلك المدينة . هذا الاهتمام الذي انعكست اضواؤه على مجالات عديدة . منها كثرة الزيارات التي قام بها سلاطين المماليك لتلك المدينة ، والمنشآت الدينية والعلمية الكثيرة التي اقاموها فيها ووقفوا عليها الاموال الطائلة . وما الاتفاقات التي عقدت والمراسلات التي تمت بين المماليك والملوك النصارى في ذلك العهد ، والتي كان اكثرها يتعلق بوضع النصارى

/٠٠

في القدس، الا مظهرا من مظاهر الاهتمام بتلك المدينة ، والعمل على ضمان تحقيق اكبر قسط من امن واستقرار للطوائف الدينية القاطنة فيها . وقد حدثت بعض الخلافات بين المسلمين من ناحية والنصارى واليهود القاطنين بالقدس من ناحية ثانية ، فكان النظر والبت فيها يعود لقضاة القدس ان كانت عادية ، او الى السلطان ذاته ان كانت هذه الخلافات هامة .

اما من الناحية الادارية فقد قوى المماليك نفوذهم في تلك المدينة وربطوا ادارتها مباشرة بالقاهرة . وقد تم ذلك عندما جعلوا ولاية القدس نيابة ، نائبها يعينه السلطان المملوكي ، بعد ان كان واليها يعين من قبل نائب السلطنة بدمشق .

ومن المظاهر البارزة في تاريخ مدينة القدس في ذلك العهد تشجيع سلاطين المماليك وامرائهم حركة العلم في المدينة ، حتى صارت بمدارسها وعلمائها الكثر ، قبلة طلاب المعرفة ، خاصة فيما يتعلق بالعلوم الدينية على مختلف فروعها . وهذه الظاهرة ، مع غيرها مما سبق ذكره ، يؤكد لنا استمرار الصبغة الدينية التي كانت سائدة على مختلف مظاهر الحياة في مدينة القدس في العهد المملوكي .

ثبت بالمصادر والمراجع

١. المصادر

أ. المصادر العربية مرتبة حسب التسلسل التاريخي لوفاة مؤلفيها:

(١) المقدسي، ابو عبد الله بن أحمد (ت ٣٧٥/ ٩٨٥)، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، حققه ميخائيل جان دى غويه، ليدن، بريل، ١٩٠٧م.

(٢) ابن حوقل، ابو القاسم محمد (ت ٣٦٧/ ٩٧٧)، كتاب صورة الأرض، ٢ج، الطبعة الثانية، ليدن، بريل، ١٩٣٨م.

(٣) الأصفهاني، عماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ٥٩٧/ ١٢٠١)، كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي، القاهرة، مطبعة الموسوعات، ١٣٢١/ ١٩٠٣.

(٤) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦/ ١٢٢٨)، معجم البلدان، ٢٠ج في ٥م، بيروت، دار بيروت وصادر للطباعة والنشر، ١٩٥٥ - ١٩٥٧م.

(٥) ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠/ ١٢٢٨)، الكامل في التاريخ، ٩ج، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ١٣٤٨ - ١٣٥٧/ ١٩٤٩ - ١٩٣٨.

(٦) سبط بن الجوزي، ابو محمد يوسف (ت ٦٥٤/ ١٢٥٧)، مرآة الزمان، حيدراباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ج ٨، لا ت.

(٧) ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد (ت ٦٨١/ ١٢٨٢)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان مما ثبت بالنقل او السماع او اثبته العيان، ٦ج، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٤٨ - ١٩٤٩م.

(٨) ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت ٦٨٤/ ١٢٨٥) ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ٣ج ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ١٩٥٦م .

(٩) ابن العبري ، غريغور يوس الملطي (ت ٦٨٥/ ١٢٨٦) ، تاريخ مختصر الدول ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٨م .

(١٠) ابن عبد الظاهر ، محي الدين (ت ٦٩٢/ ١٢٩٢) ، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، حققه مراد كامل ، راجعه محمد علي النجار ، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦١م .

(١١) ـــــ الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، حققته Fatima Sadeque كملحق في كتابها Baybars I of Egypt ، دكا ، مطبعة جامعة اكسفورد ، ١٩٥٦م .

(١٢) ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧/ ١٢٩٨) ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ٣ج ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩٥٣ ـ ١٩٥٧م .

(١٣) اليونيني ، قطب الدين موسى بن محمد (ت ٧٢٦/ ١٣٢٦) ، ذيل مرآة الزمان ، ٢ج ، حيدراباد الدكن ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥م .

(١٤) الدمشقي ، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن ابي طالب الانصاري (ت ٧٢٧/ ١٣٢٧) ، كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، نشره مهرن ، بطرسبورغ ، المطبعة الاكاديمية ، ١٨٦٥م .

(١٥) ابو الفداء ، المؤيد عماد الدين اسماعيل بن الافضل (ت ٧٣٢/ ١٣٣١) ، كتاب تقويم البلدان ، حققه م . رينود ، والبارون ماك كوكين دي سلان ، باريس ، المطبعة الملكية ، ١٨٤٠م .

(١٦) ـــــــ المختصر في أخبار البشر، ٤ج في ٢، القاهرة، المطبعة الحسينية، ١٣٢٥/ ١٩٠٧ .

(١٧) النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢/ ١٣٣٢)، نهاية الارب في فنون الادب، ١٨ج، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٣ ـ ١٩٥٥م.

(١٨) ابن أيبك الدواداري، ابو بكر عبد الله (ت ٧٣٤/ ١٣٣٤)، كنز الدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر، ج ٩، حققه هانس روبرت ريمر، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٩/ ١٩٦٠ .

(١٩) ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩/ ١٣٣٨)، مراصد الأطلاع على أسماء الامكنة والبقاع، ٦ج، حققه يونبول وغال، ليدن، بريل، ١٨٥٠ ـ ١٨٦٤م.

(٢٠) المؤرخ المجهول (ت ٧٤٢؟/ ١٣٤١؟)، تاريخ سلاطين المماليك، حققه زيتر سين، ليدن، بريل، ١٩١٩م.

(٢١) ابن فضل الله العمري، ابو العباس احمد بن يحي (ت ٧٤٢/ ١٣٤١)، التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة، مطبعة العاصمة، ١٣١٢/ ١٨٩٤.

(٢٢) ـــــــ مسالك الابصار في ممالك الامصار، مخطوطة ايا صوفيا، مصورة في الجامعة الاميركية ببيروت في المكتبة ج ٢ ـ ٦ .

(٢٣) الذهبي، ابو عبد الله محمد بن احمد (ت ٧٤٦/ ١٣٤٦)، دول الاسلام، ٢ج، حيدراباد الدكن، مطبعة المعارف النظامية، ١٩١٨م.

(٢٤) ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر الشافعي (ت ٧٤٩/ ١٣٤٨)، تتمة المختصر في أخبار البشر، ٢ج، القاهرة، المطبعة الوهابية، ١٢٨٥/ ١٨٦٨ .

(٢٥) ابن ابي الفضائل، المفضل (ت ٧٥٩/ ١٣٥٨)، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ٢ج، حققه وترجمه الى الفرنسية E. Blochet، باريس، بلوشيه، ١٩١٩ - ١٩٢٩م.

(٢٦) ابن شاكر الكتبي، ابو عبدالله محمد (ت ٧٦٤/ ١٣٧٢)، فوات الوفيات، ٢ج، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٥١م.

(٢٧) المقدسي، ابو محمود أحمد بن محمد بن ابراهيم بن هلال بن تميم بن سرور (ت ٧٦٥/ ١٣٦٤)، كتاب مثير الغرام بفضائل القدس والشام، حققه أحمد سامح الخالدي، يافا، المطبعة العصرية، ١٩٤٦م.

(٢٨) ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن عمر الشافعي (ت ٧٧٤/ ١٣٧٢)، البداية والنهاية في التاريخ، ١٤م، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٤٨/ ١٩٢٩ - ١٣٥٨/ ١٩٣٩.

(٢٩) ابن بطوطة، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابراهيم (ت ٧٧٩/ ١٣٧٧)، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٠م.

(٣٠) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧/ ١٤٠٥)، تاريخ الدول والملوك، نشر باسم تاريخ ابن الفرات، ج ٧ - ج ٩، حققه قسطنطين زريق وشاركت نجلا عز الدين في تحقيق المجلد الثامن والجزء الثاني من المجلد التاسع، بيروت، المطبعة الاميركانية، ١٩٣٦ - ١٩٤٢م.

(٣١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨/ ١٤٠٦)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ٧ج، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٥٦ - ١٩٥٩م.

(٣٢) القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١/ ١٤١٨)، نهاية الارب في معرفة انساب العرب، حققه ابراهيم الأبياري، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٩م.

(٣٣) ـــــــ صبح الأعشى في صناعة الانشا، ١٤ ج، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، القاهرة، مطابع كوستاماس وشركاه، ١٣٨٣/ ١٩٦٣ .

(٣٤) ابن يحى، صالح (ت ٨٤٠/ ١٤٣٦؟)، كتاب تاريخ بيروت وأخبار الامراء البحتريين من بني الغرب، حققه الاب لويس شيخو، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٠٢م .

(٣٥) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢/ ١٤٤٨)، الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة، ٤ج، حيدراباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٨ ـ ١٣٥٠/ ١٩٢٩ ـ ١٩٣١ .

(٣٦) ـــــــ رفع الاصر عن قضاة مصر، حققه حامد عبد المجيد، محمد المهدي ومحمد اسماعيل الصاوي، القاهرة، المطبعة الأميرية، الادارة العامة للثقافة، ١٩٥٧م .

(٣٧) المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٥٤/ ١٤٥٠)، كتاب اغاثة الأمة بكشف الغمة، نشر مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٩/ ١٩٤٠ .

(٣٨) ـــــــ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ٤ج، القاهرة، مكتبة المليجي، ١٣٢٤ ـ ١٣٢٦/ ١٩٠٦ ـ ١٩٠٨ .

(٣٩) ـــــــ الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، حققه جمال الدين الشيال، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥م .

(٤٠) ـــــــ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢ج في ٦م، حققه محمد مصطفى زيادة، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٤ ـ ١٩٤٢م .

(٤١) اليافعي، ابو محمد عبد الله بن احمد (ت ٨٦٨/ ١٣٦٦)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٤ج، الطبعة الأولى، حيد اباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٣٨ ـ ١٣٣٩/ ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ .

(٤٢) ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل (ت ٨٧٣/ ١٤٦٨)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، حققه بولس راويس، باريس، المطبعة الجمهورية، ١٨٩٤م .

(٤٣) ابن تغري بردي ، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤/ ١٤٧٠) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ ج ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه ١٣٨٣/ ١٩٦٣ .

(٤٤) السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢/ ١٤٩٧) ، التبر المسبوك في ذيل السلوك ، نشره احمد زكي ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٨٩٦م .

(٤٥) ـــــــ الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، ١٢ ج ، القاهرة ، مكتبة القدسي ، ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥/ ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨ .

(٤٦) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١/ ١٥٠٥) ، نظم العقيان في اعيان الاعيان ، حققه فيليب حتى ، نيويورك ، المطبعة السورية الاميركية ، ١٩٢٧م .

(٤٧) الحنبلي ، مجير الدين العليمي (ت ٩٢٧/ ١٥٢٠) ، كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ٢ج ، القاهرة ، المطبعة الوهبية ، ١٢٨٣/ ١٨٦٦ .

(٤٨) النعيمي الدمشقي ، عبد القادر بن محمد (ت ٩٢٧/ ١٥٢٠) ، الدارس في تاريخ المدارس ، ٢ج ، حققه جعفر الحسيني ، دمشق ، مطبعة الترقي ، ١٩٤٨ ـ ١٩٥١م .

(٤٩) ابن اياس ، محمد بن احمد (ت ٩٣٠/ ١٥٢٤) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ٣ ـ ج ٥ ، حققه محمد مصطفى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٠ ـ ١٩٦١م .

(٥٠) ـــــــ صفحات لم تنشر من بدائع الزهور في وقائع الدهور ، حققه محمد مصطفى ، القاهرة ، دار المعارف ، منشورات الجمعية الملكية للدراسات التاريخية ، ١٩٥١م .

(٥١) ابن طولون، شمس الدين محمد (ت ٩٥٣/ ١٥٤٦)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان: تاريخ مصر والشام، حققه محمد مصطفى، القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، دار احياء الكتب العربية، ١٣٨١/ ١٩٦٢ .

(٥٢) ـــــــ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ٢ج، حققه محمد احمد دهمان، دمشق، مكتب الدراسات الاسلامية، ١٩٤٩ ـ ١٩٥٦م .

ب . المصادر الغربية مرتبة حسب التسلسل التاريخي لسني زيارة مؤلفيها للأرض المقدسة:

(53) Burchard of Mt. Zion (visited the Holy Land in 1232 A.D.), "A description of the Holy Land", in Palestine Pilgrim's Text Society, Vol. XII, London, 1897.

(54) Le Continuateur Anonyme de Guillaume de Tyr, dit De Rothelin (visited Jerusalem in 1261 A.D.), "La Sainte Cité De Iherusalem = Les Saints Lieux et le Pelerinage de la Terre Sainte 1261", In Itinéraires à Jérusalem et Descriptions de la Terre Sainte, rédigés en français aux XI°, XII°, XIII° siècles, ed. by Henri Michelant et Gaston Raynaud, Genève, Imprimerie Jules - Guillaume Fick, 1882.

(55) Auteur Anonyme (visited Jerusalem in 1280 A.D.), "Pelerinages et Pardouns de Acre" in Itinéraire à Jérusalem et Descriptions de la Terre Sainte, rédigés en français aux XI°, XII°, XIII° siècles, ed. by Henri Michelant et Gaston Raynaud, Genève, Imprimerie Jules - Guillaume Fick, 1882.

(56) Fra Niccolo of Poggibonsi (visited the Holy Land from 1346 to 1350 A.D.), A Voyage Beyond the Seas, Jerusalem, The Franciscan Press, 1945.

(57) Maundeville, John (d. 1350 A.D.), The Marvellous Adventures Of Sir John Maundeville, edited by Arthur Layard, Westminster, 1895.

(58) De La Brocquière, Bertrandon (visited Jerusalem in A.D. 1432 and 1433 A.D.), "The Travels of Bertrandon de la Brocquiere, A.D. 1432, 1433" in Early Travels in Palestine, ed. by Thomas Wright, London, George Woodfall and Son, 1848, pp. 283 - 382.

(59) Casola, Pietro (visited Jerusalem in 1494 A.D.), Pilgrimage to Jerusalem in the year 1494, ed. by Margaret Newett, The University Press, Manchester, 1907.

(60) The Chaplain to Sir Richard Guylforde (visited the Holy Land in 1506 A.D.), The Pylgrymage of Sir Richard Guylforde to the Holy Land, A.D. 1506, ed. by Sir Henry Ellis, London, J.B. Nichols and Son, 1851.

٢. الدراسات والمراجع الثانوية

أ. الدراسات والمراجع العربية مرتبة حسب التسلسل الابجدى

(٦١) كرد علي، محمد، كتاب خطط الشام، ٦ج، دمشق، مطبعة المفيد، ١٩٢٥م - ١٩٢٨م.

(٦٢) الكرملي، الاب انستاس مارى البغدادى، النقود العربية وعلم النميّات، القاهرة، المطبعة العصرية، ١٩٣٩م.

(٦٣) سركيس، خليل، تاريخ اورشليم اى القدس الشريف، بيروت، مطبعة المعارف، ١٨٧٤م.

(٦٤) العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، القدس، مطبعة المعارف، ١٩٦١م.

ب. القواميس والمعاجم

(٦٥) البستاني، بطرس، كتاب محيط المحيط، ٢ج، بيروت، ١٨٧٠م.

(٦٦) الزركلي، خير الدين، الاعلام: قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ١٠ج، الطبعة الثانية، القاهرة، مطبعة كوستاتسوماس، ١٩٥٤ - ١٩٥٩م.

(٦٧) حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت ١٠٦٧/ ١٦٥٧)، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ٢ج، حققه محمد شرف الدين يالتقيا ورفعت بيلكه الكليسي، استانبول، مطبعة المعارف، ١٩٤١ - ١٩٤٣م.

(٦٨) كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، ١٥ج في ١٥، دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٥٧ - ١٩٦١م.

(٦٩) سركيس، يوسف اليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة، القاهرة، مطبعة سركيس، ١٩٣٠م.

(٧٠) عبد البديع، لطفي، فهرس المخطوطات المصورة، ٣ج في ٨م، القاهرة، معهد الخطوطات العربية، ١٩٥٤ - ١٩٦٣م.

ج • الدراسات والمراجع الاوربية مرتبة حسب التسلسل الابجدى :

(71) "Aragen", Grand Larousse Encyclopedique, 10 vols., Paris, Librairie Larousse, 1960 - 1964.

(72) Arberry, Arthur John, Sufism: an account of the mystis of Islam, London, Allen, 1950.

(73) Ben Cheneb, Mohamad "Ibn Taimiya" The Encyclopaedia of Islam, vol. II, pp. 421 - 423.

(74) Besant, Walter and Palmer, E.H. Jerusalem the City of Herod and Saladin, London Richard Bentley and Son, 1888.

(75) Brockelmann, Carl, "Al-Olaimi", The Encyclopaedia of Islam, vol. III, ed. by M. Th. Houtsma and A.J. Wensick, Layden, Brill, 1936.

(76) Brockelmann, Carl, Geschichte der Arabishen Litteratur, 2 vols. Leiden, Brill, 1937 - 1949.

(77) Buhl, Fr., "Al-Kuds", The Encyclopeadia of Islam, vol. II, ed. by M.Th. Houtsma and A.J. Wensick, Leyden, Brill, 1927.

(78) Creasy, Edward, S., History of the Ottoman Turks, Beirut, Khayat's, 1961.

(79) Demombynes, Gaudefrey, La Syrie a l'Epoque des Mamlouks d'apres les Auteurs Arabes, Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1923.

(80) Heyd, Wilhelm, Histoire du Commerce du Levant au Moyen-Age, 2 vols., Leipzig, Furey Raynaud, 1885.

(81) King, E.J., The Knights Hospitallers in the Holy Land, London, Methuen and Co., 1931.

(82) Juynboll, Th.W., "Ibn Kaim Al-Djawziya", The Encyclopaedia of Islam, vol. II, pp. 392 - 393.

(83) Lane-poole, Coins and Medals, Their place in History and Art, 3rd edit., London, Patermoster Row, 1894.

ج • الدراسات والمراجع الاوربية مرتبة حسب التسلسل الابجدى :

(71) "Aragen", Grand Larousse Encyclopedique, 10 vols., Paris, Librairie Larousse, 1960 - 1964.

(72) Arberry, Arthur John, Sufism: an account of the mystis of Islam, London, Allen, 1950.

(73) Ben Cheneb, Mohamad "Ibn Taimiya" The Encyclopaedia of Islam, vol. II, pp. 421 - 423.

(74) Besant, Walter and Palmer, E.H. Jerusalem the City of Herod and Saladin, London Richard Bentley and Son, 1888.

(75) Brockelmann, Carl, "Al-Olaimi", The Encyclopaedia of Islam, vol. III, ed. by M. Th. Houtsma and A.J. Wensick, Layden, Brill, 1936.

(76) Brockelmann, Carl, Geschichte der Arabishen Litteratur, 2 vols. Leiden, Brill, 1937 - 1949.

(77) Buhl, Fr., "Al-Kuds", The Encyclopeadia of Islam, vol. II, ed. by M.Th. Houtsma and A.J. Wensick, Leyden, Brill, 1927.

(78) Creasy, Edward, S., History of the Ottoman Turks, Beirut, Khayat's, 1961.

(79) Demombynes, Gaudefrey, La Syrie a l'Epoque des Mamlouks d'apres les Auteurs Arabes, Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1923.

(80) Heyd, Wilhelm, Histoire du Commerce du Levant au Moyen-Age, 2 vols., Leipzig, Furey Raynaud, 1885.

(81) King, E.J., The Knights Hospitallers in the Holy Land, London, Methuen and Co., 1931.

(82) Juynboll, Th.W., "Ibn Kaim Al-Djawziya", The Encyclopaedia of Islam, vol. II, pp. 392 - 393.

(83) Lane-poole, Coins and Medals, Their place in History and Art, 3rd edit., London, Patermoster Row, 1894.

ج . الدراسات والمراجع الاوربية مرتبة حسب التسلسل الابجدى :

(71) "Aragen", Grand Larousse Encyclopedique, 10 vols., Paris, Librairie Larousse, 1960 - 1964.

(72) Arberry, Arthur John, Sufism: an account of the mystis of Islam, London, Allen, 1950.

(73) Ben Cheneb, Mohamad "Ibn Taimiya" The Encyclopaedia of Islam, vol. II, pp. 421 - 423.

(74) Besant, Walter and Palmer, E.H. Jerusalem the City of Herod and Saladin, London, Richard Bentley and Son, 1888.

(75) Brockelmann, Carl, "Al-Olaimi", The Encyclopaedia of Islam, vol. III, ed. by M. Th. Houtsma and A.J. Wensick, Layden, Brill, 1936.

(76) Brockelmann, Carl, Geschichte der Arabishen Litteratur, 2 vols. Leiden, Brill, 1937 - 1949.

(77) Buhl, Fr., "Al-Kuds", The Encyclopeadia of Islam, vol. II, ed. by M.Th. Houtsma and A.J. Wensick, Leyden, Brill, 1927.

(78) Creasy, Edward, S., History of the Ottoman Turks, Beirut, Khayat's, 1961.

(79) Demombynes, Gaudefrey, La Syrie a l'Epoque des Mamlouks d'apres les Auteurs Arabes, Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1923.

(80) Heyd, Wilhelm, Histoire du Commerce du Levant au Moyen-Age, 2 vols., Leipzig, Furey Raynaud, 1885.

(81) King, E.J., The Knights Hospitallers in the Holy Land, London, Methuen and Co., 1931.

(82) Juynboll, Th.W., "Ibn Kaim Al-Djawziya", The Encyclopaedia of Islam, vol. II, pp. 392 - 393.

(83) Lane-poole, Coins and Medals, Their place in History and Art, 3rd edit., London, Patermoster Row, 1894.

(84) Lavoix, Henri, Monnaie a Legendes Arabes, Frappees en Syrie par les Croisades, Paris, Joseph Baer et Co., 1877.

(85) Margoliouth, David, Samuel, Cairo, Jerusalem and Damascus: Three Chief Cities of the Egyptian Sultans, New York, Dodd, Mead and Company, 1907.

(86) Massignon, Louis, "Tarika", The Encyclopaedia of Islam, vol. IV, ed. by M.Th. Houtsma and A.J. Wensick, Leyden, Brill, 1934.

(87) Michaud, J.F., Histoire des Croisades, 3 tomes, Paris, Imprimerie J. Claye, 1857.

(88) Micholant, Henri and Raynaud, Gaston, Itineraires a Jerusalem et Descriptions de la Terre Sainte, redigee en francais aux XI°, XII°, XIII° siecles, Geneve, Imprimerie Jules-Guillaume Fick, 1882.

(89) Poliac, A.N., Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon, 1250-1900, London, 1939.

(90) Popper, William, Egypt and Syria under the Circassian Sultans, 1382-1468 A.D.: Systematic Notes to Ibn Taghri Birdi's Chronicles of Egypt, 2 vols., Berkley and Los Angeles, University of California Press, 1955, 1957.

(91) Prescott, H.F.M. (ed.), Jerusalem Journey Pilgrimage to the Holy Land in the Fifteenth Century, London, Butler and Tanner Ltd., 1954.

(92) Runciman, Steven, A History of the Crusades, 3 vols., Cambridge University Press, 1951 - 1954.

(93) Sauvaget, Jean, La poste aux chevaux dans l'empire des Mamlouks, Paris, Maisonneuve, 1941.

(94) Slane, William MacGuckin, Catalogue des manuscripts arabes, Paris, Impr. Nationale, 1883 - 1895.

(95) Le Strange, Guy, Palestine under the Moslems: A Description of Syria and the Holy Land from A.D. 650 to 1500, Beirut, Khayat's, 1965.

(96) Ziadeh, Nicola, Urban Life in Syria under the Early Mamluks, Beirut, The American Press, 1953.

(84) Lavoix, Henri, Monnaie a Legendes Arabes, Frappées en Syrie par les Croisades, Paris, Joseph Baer et Co., 1877.

(85) Margoliouth, David, Samuel, Cairo, Jerusalem and Damascus: Three Chief Cities of the Egyptian Sultans, New York, Dodd, Mead and Company, 1907.

(86) Massignon, Louis, "Tarika", The Encyclopaedia of Islam, vol. IV, ed. by M.Th. Houtsma and A.J. Wensick, Leyden, Brill, 1934.

(87) Michaud, J.F., Histoire des Croisades, 3 tomes, Paris, Imprimerie J. Claye, 1857.

(88) Michelant, Henri and Raynaud, Gaston, Itineraires a Jerusalem et Descriptions de la Terre Sainte, rediges en francais aux XI°, XII°, XIII° siecles, Geneve, Imprimerie Jules-Guillaume Fick, 1882.

(89) Poliac, A.N., Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon, 1250-1900, London, 1939.

(90) Popper, William, Egypt and Syria under the Circassian Sultans, 1382-1468 A.D.: Systematic Notes to Ibn Taghri Birdi's Chronicles of Egypt, 2 vols., Berkley and Los Angeles, University of California Press, 1955, 1957.

(91) Prescott, H.F.M. (ed.), Jerusalem Journey Pilgrimage to the Holy Land in the Fifteenth Century, London, Butler and Tanner Ltd., 1954.

(92) Runciman, Steven, A History of the Crusades, 3 vols., Cambridge University Press, 1951 - 1954.

(93) Sauvaget, Jean, La poste aux chevaux dans l'empire des Mamlouks, Paris, Maisonneuve, 1941.

(94) Slane, William MacGuckin, Catalogue des manuscripts arabes, Paris, Impr. Nationale, 1883 - 1895.

(95) Le Strange, Guy, Palestine under the Moslems: A Description of Syria and the Holy Land from A.D. 650 to 1500, Beirut, Khayat's, 1965.

(96) Ziadeh, Nicola, Urban Life in Syria under the Early Mamluks, Beirut, The American Press, 1953.

(84) Lavoix, Henri, Monnaie a Legendes Arabes, Frappees en Syrie par les Croisades, Paris, Joseph Baer et Co., 1877.

(85) Margoliouth, David, Samuel, Cairo, Jerusalem and Damascus: Three Chief Cities of the Egyptian Sultans, New York, Dodd, Mead and Company, 1907.

(86) Massignon, Louis, "Tarika", The Encyclopaedia of Islam, vol. IV, ed. by M.Th. Houtsma and A.J. Wensick, Leyden, Brill, 1934.

(87) Michaud, J.F., Histoire des Croisades, 3 tomes, Paris, Imprimerie J. Claye, 1857.

(88) Michelant, Henri and Raynaud, Gaston, Itineraires a Jerusalem et Descriptions de la Terre Sainte, rediges en francais aux XI°, XII°, XIII° siecles, Geneve, Imprimerie Jules-Guillaume Fick, 1882.

(89) Poliac, A.N., Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon, 1250-1900, London, 1939.

(90) Popper, William, Egypt and Syria under the Circassian Sultans, 1382-1468 A.D.: Systematic Notes to Ibn Taghri Birdi's Chronicles of Egypt, 2 vols., Berkley and Los Angeles, University of California Press, 1955, 1957.

(91) Prescott, H.F.M. (ed.), Jerusalem Journey Pilgrimage to the Holy Land in the Fifteenth Century, London, Butler and Tanner Ltd., 1954.

(92) Runciman, Steven, A History of the Crusades, 3 vols., Cambridge University Press, 1951 - 1954.

(93) Sauvaget, Jean, La poste aux chevaux dans l'empire des Mamlouks, Paris, Maisonneuve, 1941.

(94) Slane, William MacGuckin, Catalogue des manuscripts arabes, Paris, Impr. Nationale, 1883 - 1895.

(95) Le Strange, Guy, Palestine under the Moslems: A Description of Syria and the Holy Land from A.D. 650 to 1500, Beirut, Khayat's, 1965.

(96) Ziadeh, Nicola, Urban Life in Syria under the Early Mamluks, Beirut, The American Press, 1953.